

كتاب

أهداف التريية القرآنية

للدكتور / سعد خليفة



حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الأديب للنشر والتوزيع



اسم الدار	دار الأديب للنشر والتوزيع
اسم الكتاب	أهداف التربية القرآنية
اسم المؤلف	د / سعد خليفة
رقم الإيداع	٢٠١٨/٢٧٠٢٨
الإخراج الفني	لدار الأديب (نجلاء زغلول)
الغلاف	من تصميمات الدار

مقدمة

و الأهداف هي الغايات التي تسعى التربية من أجل تحقيقها ، أو قل إن شئت هي ثمرة التربية المرجوة ، و التي تغدو التربية عبثاً لا طائل منه ما لم يتم تحقيقها .

و ما من شك في أن التربية أعظم و أشرف عمل يقوم به المسلم وذلك يرجع إلى أن التربية هي وظيفة الانبياء التي لأجلها بعثهم الله - سبحانه - كما قال ربنا عز وجل :

(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [سورة الجمعة / الآية : ٢]

فقوله سبحانه [و يزكيهم] بيان للمهمة الكبرى التي يقوم به الأنبياء من تربية أممهم على العقيدة النقية الصحيحة التي لا غش فيها ، وعلى التوحيد الخالص لله رب العالمين ، تلك التربية التي تخلق من الإنسان خلقاً جديداً

يقول صاحب الظلال - رحمه الله - :

وانها لتزكية وانه لتطهير ذلك الذي كان يأخذهم به الرسول - صلى الله عليه وسلم - تطهير للضمير والشعور، وتطهير للعمل والسلوك، وتطهير للحياة الزوجية، وتطهير للحياة الاجتماعية. تطهير ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد

ومن التصورات الباطلة إلى الاعتقاد الصحيح

ومن الأساطير الغامضة إلى اليقين الواضح

وترتفع به من رجس الفوضى الأخلاقية إلى نظافة الخلق الإيماني

ومن دنس الربا والسحت إلى طهارة الكسب الحلال.. إنها تزكية شاملة للفرد والجماعة ولحياة السريرة وحياة الواقع ، تزكية ترتفع بالإنسان وتصوراته عن الحياة كلها وعن نفسه ونشأته إلى آفاق النور التي يتصل فيها بربه، ويتعامل مع الملائكة الأعلى ، ويحسب في شعوره وعمله حساب ذلك الملائكة العلوي الكريم (١)

(١) في ظلال القرآن / سيد قطب- ط ١ دار الشروق- ج ٦ - ص ٣٥٦٢



و هذا ما تهدف إليه التربية ، تهدف إلى بناء الإنسان بناء متكاملًا : إيمانًا و أخلاقيا وعلميا و عقليا ليتحرر من العبودية إلا لله و ليكون غسانا صالحا مصلحا يصلح نفسه و يجاهدها حتي يسهل قيادها إلى كل خير ثم ينقلب بعد ذلك إلى غيره فيأخذ بيده إلى ما فيه صلاحه وفلاحه في الدنيا و الآخرة

وتحديد أهداف التربية في غاية الأهمية لان تحديد الاهداف ضروري لتحديد الوسائل والطرق التي يجب سلوكها من اجل تحقيق الغايات التي تسعى التربية لأجلها ، بل لا اكون مبالغا إذا قلت : إن تحديد الأهداف يؤثر في عمليات التربية الإسلامية كلها من حيث النظرية و التطبيق ، من اجل ذلك كان هذا الكتاب الذي بين أيدينا
[أهداف التربية القرآنية]

ويشتمل الكتاب على خمسة فصول :-

الفصل الأول : تعبيد الناس لربهم.

الفصل الثاني : تربية الفرد المسلم.

الفصل الثالث : إقامة الأسرة المسلمة.

الفصل الرابع : إقامة المجتمع المسلم والأمة المسلمة.

الفصل الخامس : توحيد جهود العاملين للإسلام.

و إليك البيان و التفصيل





الفصل الأول: تعبيد الناس لربهم

من أعظم أهداف التربية القرآنية تعبيد الناس لربهم - سبحانه - فهو - سبحانه - الخالق الرازق المدبر فلا رب للناس غيره ولا إله لهم سواه قال تعالى:

(وَابْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧)) (سورة العنكبوت)

وقال سبحانه: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (٥٦: الذاريات)

فإن كانت الغاية من الخلق عبادة الله وحده عبادة شاملة تحرر العبد من أسر الهوى وأسر العادة والعرف الاجتماعي ومن كل عبودية إلا العبودية لله كان لزاماً على الأمة المسلمة أن تقوم في نفسها بامتثال الإسلام عقيدة وسلوكاً ونظام حياة متكامل وأن تحمل الأمانة الكبرى والتبعة الثقيلة الملقاة على كاهلها لتحرر البشر من عبودية البشر والشجر والحجر والقوانين والطواغيت^(٢). ليعبدوا الله وحده ويدينون بحكمه المطلق الشامل المتمثل في خضوع الجميع لأمره وشرعه، وهي مهمة الأمة المسلمة ووظيفتها التي ابتعثها الله وأخرجها لأجلها حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وحتى يتحقق بسط سيادة الشرع الحكيم على كل بني البشر، ولو أن الأمة المسلمة - لا قدر الله - قصرت في أداء مهمتها لفقدت خيريتها وتميزها، بل لذهب الله بها وأتى بقوم يؤدون المهمة مجاهدين صابرين لا يخافون لومة لائم، ومما تقرر في كتاب الله - سبحانه -

أَنْ أَمْتَنَا الْمُسْلِمَةُ لَمْ يَخْرِجْهَا اللَّهُ لِنَفْسِهَا بَلْ لْغَيْرِهَا، قَالَ رَبَّنَا: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران / ١١٠)

(٢) الطواغيت: جمع طاغوت ويعني به كل فرد أو طائفة أو قيادة أو إمامة تنمرّد على الله وتتجاوز حدها وتدعي لنفسها الألوهية والربوبية وتحكم بغير ما أنزل الله، تحمل الناس على حكمها بالإغراء أو الإكراه، والطاغوت هو كل ما عيّد من دون الله. يراجع في ذلك كتاب المصطلحات الأربعة لإبي الأعلى المودودي وفي المعجم الوسيط الطاغوت هو الطاغوي المعتدي أو كثير الطغيان، وكل رأس في الضلال يصرف عن طريق الخير والطاغوت هو الشيطان والكاهن والساحر وكل ما عيّد من دون الله (المعجم الوسيط) ج ١ ص ٢٤.



قال القرطبي - رحمه الله - : مدح هذه الأمة ما أقاموا ذلك واعتصموا به فإذا تركوا التغيير وتواطأوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم وكان ذلك سبباً لهلاكهم (٣).

وقال السعدي رحمه الله: هذا تفضيل من الله بهذه الأسباب التي تفوقوا بها سائر الأمم وأنهم خير الناس نصحاً ومحبة للخير ودعوة وتعاليم وإشارة وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر وجمعاً بين تكميل الخلق، والسعي في منافعهم بحسب الإمكان، وبين تكميل النفس بالإيمان بالله والقيام بحقوق الإيمان (٤).

وفي قوله سبحانه : (أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ) (تتهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (إيماء إلى التبعية الثقيلة التي تجب على الأمة وفي قوله [الناس] أي لهداية الناس وتحريرهم من ربة الكفر والجاهلية الجهلاء، واستنقاذهم من الظلمات الحالكة التي يتخبطون فيها: ظلمات الكفر لينعموا بنور الإيمان، وفي الآية كذلك ما يدل على أن الأمة لا يكفيها أن تهتدي في خاصة نفسها ثم تترك إلى الدعة والراحة!! فما لهذا خلقت. وبمنظرة متأنية في كتاب الله نجد كثيراً من الآيات التي تحمل الأمة المسلمة هذه المهمة ، وتتوط بها هذه التبعية مهمة انتشال العباد من مستنقع الجاهلية الأسن بكل مساوئه التي أعظمها على الإطلاق عبادة غير الله وإقصاء شرعه عن حياة الناس. ومن هذه الآيات ما يوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم والأمة داخلة فيها.

وآيات يوجهها القرآن الكريم إلى الأمة المسلمة مباشرة واليك بعضها:

أولاً: آيات تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا.....) (الأعراف: ١٥٨).
وقال: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (إبراهيم: ١)

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ط دار الفكر ج٢ ص ١١٨٨.
(٣) عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ط مؤسسة الرسالة الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ص ١١٢ - ١١٣.



وقال (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٌ (٣٦)) (الرعد: ٣٦).
وقال: (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازَعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ) (الحج: ٦٧).

يقول الشنقيطي رحمه الله:

أمر الله - جل وعلا - نبيه - صلى الله عليه وسلم - في هذه الآية الكريمة: أن يدعو الناس إلى ربهم أي إلى طاعته، وطاعة رسله، وأخبره فيها أنه على صراط مستقيم أي: طريق واضح لا اعوجاج فيه، وهو دين الإسلام الذي أمره أن يدعو الناس إليه^(٥).

وقال البيضاوي: (وادع إلى ربك) (إلى توحيدهِ وعبادته) (إنك لعلَى هدى مستقيم - طريق إلى الحق سوي)^(٦).

وقال سبحانه: (وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (القصص: ٨٧).

وقال سبحانه: (فَذَلِكَ فَادِعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) (الشورى: ١٥).

وقال سبحانه: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) (النحل: ١٢٥).

وقال سبحانه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧).

وقال سبحانه: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) (آل عمران: ٦٤).

وقال سبحانه: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (١) (الفرقان).
وقال ربنا - سبحانه - : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) (المائدة: ٦٧).

(٥) أضواء البيان للشنقيطي/ ط ١ دار إحياء التراث ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ ج ٣ ص ٥٣٧.
(٦) تفسير البيضاوي ط دار الكتب العلمية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ج ٢ ص ٩٦.



هذه الآيات وغيرها من الآيات التي تخاطب النبي - صلى الله عليه وسلم - وتحمله دعوة الناس إلى الله، وتعبيدهم لربهم - سبحانه - وإن كان الخطاب موجهاً فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيها المسلمون جميعاً لأن الأصل في خطاب الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - دخول أمته فيه إلا ما استثنى،

وليس من هذا المستثنى أمر الله تبارك وتعالى بالدعوة إليه ومعنى ذلك: أن الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية وشرفها أن أشركها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وظيفة الدعوة إليه^(٧). ويؤكد دخول الأمة مع نبيها - صلى الله عليه وسلم - في التكليف والتشريف بالدعوة إلى الله قوله جل وعلا: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف: ١٠٨).

(قل هذه سبيلي (واحدة لا عوج فيها ولا شك ولا شبهة)

(أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني).

فنحن على هدى من الله ونور نعرف طريقنا جيداً ونسير فيها على بصر وإدراك ومعرفة لا نتخبط، ولا نتحسس، ولا نحدث فهو اليقين البصير المستنير ننزه الله - سبحانه - مما لا يليق بألوهيته، وننفصل وننعزل ونتميز عن الذين يشركون به (وما أنا من المشركين) لا ظاهر الشرك ولا خافيه، هذه سبيلي فمن شاء فليتابع، ومن لم يشأ فأنا سائر في طريقي المستقيم^(٨).

ومما يؤخذ من الآية أن دعوة الناس إلى الله، وإلى توحيده وعبوديته المطلقة هي طريق النبي - صلى الله عليه وسلم - وطريق من اتبعه وآمن به، فمن تخاذل وتراجع، ومن قصر وتقاعس مع القدرة فليس من أتباعه - صلى الله عليه وسلم -.

(٧) د/ عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة ط ٤ مؤسسة الرسالة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م ص ٣٠٨.
(٨) سيد قطب: في ظلال القرآن ط دار الشروق ١٤١٥ هـ - ١٩٩٧ م ج ٤ ص ٢٠٤٣.

أهداف التربية القرآنية

ثانياً: مخاطبة الأمة: هناك آيات كثيرة توجّه للأمة المسلمة مباشرة تأمرها بالدعوة إلى الله، والعمل الدؤوب على تبليغ كلمته، وتعبيد الناس لله وحده من هذه الآيات:-

قوله سبحانه: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (سورة البقرة: ١٤٣).

وقوله سبحانه: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (فصلت: ٣٣).

والاستفهام الوارد بمعنى النفي ومعنى الآية: لا أحد قولاً ممن استجمع تلك الصفات من الدعوة إلى الله -تعالى- والعمل الصالح والإعلان بكونه من المسلمين اعتزاز وتفخر (٩).

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله: فلا شيء أحسن منه، ولا أوضح من طريقته، ولا أكثر ثواباً من عمله (١٠). وقال العماد بن كثير رحمه الله: أي دعا عباد الله إليه وقال في موضع آخر: والصحيح إذن أنها عامة كما قال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري أنه قال بعد أن تلا الآية: هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الأرض إلى الله أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته وقال إنني من المسلمين هذا خليفة الله (١١).

وقوله سبحانه: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج / ٤١).

فهذه الآيات تحمل الأمة المسلمة القائد تبعة تعبید الناس لربهم، ودعوة الخلق إلى الحق، وإخراج البشرية من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وهي مهمة لا منجاة للأمة إلا بها، ولا خيرية لها بدونها، فهي أمة صالحة مصلحة لا يكفيها أن تكون صالحة في نفسها بل تتخطى ذلك إلى إصلاح الأمم.

(٩) تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٣٥٣.
(١٠) الشوكاني: فتح القدير ج ٤ ص ٧٣٤.
(١١) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ط دار التراث ج ٣ ص ١٠١.



أهداف التربية القرآنية

قال تعالى: (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ) (هود: ١١٦).

وفي الآية إرشاد إلى أن الأمم إذا خلت من الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر حلت بهم المصائب والنكبات. ولولا: حرف تحضيض بمعنى هلا، والمقصود بالتحضيض هنا تحذير المعاصرين للنبي - صلى الله عليه وسلم - ومن سيأتي بعدهم من الوقوع فيما وقع فيه أهل القرون الماضية من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يصيب اللاحقين ما أصاب السابقين.

وقوله: أولو بقية أي: أصحاب مناقب حميدة وخصال كريمة وعقول راجحة، وأصل البقية ما يصطفيه الإنسان لنفسه من أشياء نفيسة يدخرها لينتفع بها.

ومنه قولهم: فلان من بقية القوم أي: من خيارهم وأهل الفضل فيهم^(١٢).

فأما النهي عن الفساد، ولما الهلاك، والإفساد في الأرض أعظم وأشد من الشرك بالله سبحانه وتعالى والكفر به، وعلى الأمة السعي الحثيث وأخذ الأمر بجذ لتتجو من الهلاك والخسران ولها في أنبياء الله أعظم أسوة، لاسيما نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي صبر على الأذى، وتجرع غصص الصبر على قومه وعتوهم وعنادهم وهو يروضهم بلين وحكمة كالسائس المحترف حتى بلغ ما أنزل إليه من ربه.

- النبي - صلى الله عليه وسلم - قدوة في الدعوة والعمل على هداية الناس: قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حياته جادا عاملا لا يعرف اللعب، ولا يعرفه اللعب ليله ونهاره سره وجهره العمل على هداية البشرية كلها، لم يكن همه الدنيا ولا زينتها، بل همه الآخرة لا يحملهما واحداً، بل هم الدنيا كلها ينفق وقته وماله وجهده وذكاءه وعبقريته وكل ما يملك من أجل الدعوة إلى الله تكبد المشقات، وتحمل الصعوبات، واستعذب الألم، وجهر بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم .

(١٢) التفسير الوسيط/ د: محمد سيد طنطاوي ط دار المعارف ج ٧ ص ٢٩٠.



وقد شهد القرآن بذلك قال سبحانه وتعالى:

(وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (المؤمنون: ٧٣).

وقال: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى: ٥٢)

لم يكتف - صلى الله عليه وسلم - بدعوة عشيرته الأقربين وسائر العرب في الجزيرة العربية بل حمل دعوته إلى خارجها فدعا الأمم المجاورة لا يسألهم على ذلك أجراً، كتب إلى كسرى الفرس، وقيصر الروم، وإلى هوزة بن علي باليمامة، والمنذر بن ساري بهجر، وإلى جيفر وعباد بن الجندى بعمان، وإلى ابن شمر الغساني، وإلى النجاشي وغيرهم.

فلم يتوقع - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة - بل خلع ثياب القعود، ولبس حلة الحركة والجد، وقاد قطار الدعوة، وجاس به خلال الديار، وعبر الفياضي، ونزل الأمصار يدعو الناس إلى الهداية والرشد وصدق الله إذ يقول: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب: ٢١).

ولم يكن - صلى الله عليه وسلم - مهموماً بأمر الدين داعياً إلى الله في الرخاء فقط، بل في الشدة يقاوم الاستضعاف لا يبالي بالشدائد، وقد روى ابن إسحاق في السيرة ما يؤكد ذلك ففي حصار الشعب الذي جاع فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - مهموماً بأمر الدين داعياً إلى الله في الرخاء فقط، بل في الشدة يقاوم الاستضعاف لا يبالي بالشدائد، وقد روى ابن إسحاق في السيرة ما يؤكد ذلك ففي حصار الشعب الذي جاع فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - وجاع أصحابه الكرام حتى أكلوا أوراق الشجر صابرين محتسبين لا جريرة لهم إلا إيمانهم بالله وإصرارهم على تبليغ كلمته وحمل رسالته يقول ابن إسحاق رحمه الله: لما رأت قريش النبي - صلى الله عليه وسلم - قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقدرًا وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وجعل الإسلام يفتشو في القبائل اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب



أهداف التربية القرآنية

على ألا ينكحوا إليهم، ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعون منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ثم تعاهدوا، وتواتقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شعبه، فاجتمعوا إليه، وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جعل لا يصل إليهم شيئاً إلا سرا متخفياً به من أراد صلتهم من قريش

وقد كان أبو جهل بن هشام - فيما يذكرون - لقي حكيماً بن حزام بن خويلد بن أسد ومعه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهي عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه في الشعب فتعلق به وقال: - أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاءه أبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فقال مالك وله؟ فقال يحمل الطعام إلى بني هاشم فقال أبو البختري: طعام كان لعمته عنده بعثت إليه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خل سبيل الرجل قال: فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه فأخذ أبو البختري لحي بعير^(١٣). فضربه به فشجعه ووطأه وطئاً شديداً، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه فيشتموا بهم ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً سراً وجهراً مبادياً بأمر الله لا يتقي فيه أحداً من الناس^(١٤). فتأمل آخر الخبر: (ورسول الله - صلى الله عليه وسلم -) على ذلك أي: رغم ذلك الحصار والتجويع والمقاطعة يدعو إلى الله بكل وسيلة يتحين الفرص يعلن كلمة الحق مبادياً لا يخشى في الله لومة لائم وتأمل صبر الصحابة على الجوع حتى أكلوا الخبط^(١٥). وورق الشجر، فإذا ذهب أحدهم إلى السوق ليشتري طعاماً لأولاده رجع بخفي حنين خالي الوفاض، وما ذلك إلا لمكر المشركين وعلى رأسهم أبو لهب، تأمل ذلك وسائل نفسك لم صبر المسلمون؟ وكيف استعذبوا العذاب؟ والجواب إنه الأيمان الذي خالطت بشاشته القلوب فلم يعد للألم أثر وعاد عذاباً لشعورهم بالمسئولية.

(١٣) لحي بعير أي: عظم فك بعير.

(١٤) سيرة ابن هشام ط ٢ دار الفكر ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م ص ٦٤٣.

(١٥) الخبط: ما سقط من ورق الشجر بالخبط والنفط - المعجم الوجيز باب الخاء ص ١٨٥.



يقول الشيخ صفى الرحمن المباركفوري :

فكان الصحابة يشعرون شعوراً تاماً ما على كواهلهم للبشر من المسؤولية الفخمة الضخمة وإن هذه المسؤولية لا يمكن عنها الحياد والانحراف بحال، فالعواقب التي تترتب على الفرار من تحملها أشد وخامة ، وأكبر ضرراً مما هم فيه من الاضطهاد، وأن الخسارة التي تلحقهم وتلحق البشرية جمعاء من هذا الفرار لا يقاس بحال المتاعب التي كانوا يواجهونها نتيجة هذا التحمل^(١٦). فبسبب الشعور بالمسؤولية تجرع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم مرارة هذا الحصار وتقلبوا في لظى هذه المؤامرة الماكرة ليلبثوا الرسالة التي أدركوا حقيقتها وطبيعتها وأنها لا بد أن تبلغ للناس بجهد من البشر فكان الصبر زادهم في طريقهم الممتد.

ولقد كانت التربية الجادة على منهج القرآن الكريم عاملاً هاماً من عوامل الصمود والتصدي للباطل وأعاصيره وللمدافعين عنه، وكذلك كانت التربية النبوية لهم على الصبر مقصودة في حد ذاتها لأن النصر مع الصبر، ولأن البلاء سنة الله الماضية التي لا تتحول ولا تتبدل قال ابن إسحاق وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له:

يا ابن أخي إن أهلك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا الذي كانوا قالوا له فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق قال: فظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قد بدا لعمه فيه بداء، وأنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه قال:

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته " ، قال ثم استعبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فبكى ثم قام ، فلما ولي ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا ابن أخي قال: فأقبل رسول الله - صلى

(١٦) صفى الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم ص ١٤٣ ط ١ دار القلم بيروت بدون.



الله عليه وسلم - فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت لا أسلمك لشيء أبداً^(١٧). وهذه القصة يستفاد منها إصرار النبي - صلى الله عليه وسلم - على تبليغ دعوة الله مهما كلفه الأمر من المشاق، ومهما تكبد من الأذى ولو عادته الدنيا كلها فليس الأمر مما يقبل المساومة هكذا ينبغي للداعية اليوم أن يكون. ينبغي له أن يعلم أن الأمر لا يقبل المساومة، وأن المسألة مسألة حياة أو موت لا تقبل التميع.

وظيفة الأنبياء وهدفهم تعبيد الناس لربهم :

قال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)

(الأنبياء: ٢٥)

قال السعدي رحمه الله : فكل الرسل الذين من قبلك مع كتبهم زبدة رسالتهم وأصلها: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة^(١٨).

وقال سبحانه:

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النحل: ٣٦)

فلما في رسل الله تعالى وأنبيائه القدوة، فهم صلوات الله عليهم الدعاة إلى الله، السائرون على طريق الهدى، العاملون على هداية الخلق، المحتملون الأذى في سبيل الله - سبحانه - والقرآن الكريم يقص علينا قصص الأنبياء لنتعلم ونقتدي، فقد سلكوا الشعاب وهجروا الأوطان. والأهلين وصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصر الله.

وتأخذ طرفاً سريعاً من قصة نوح وقصة يوسف عليهما السلام ففي ذلك كفاية.

^(١٧) سيرة ابن هشام ج ١ دار الفكر ص ٢٠٦ ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.
^(١٨) تفسير السعدي (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) للشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي ط ٢ مؤسسة الرسالة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ص ٤٧٠.

أولاً: نوح عليه السلام

قال تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَاراً (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً (٩)) (نوح/٢:٩)

والآيات ترسم لنا صورة رائعة للتفاني وبذل النفس والنفيس ونسيان الذات، والعمل الجاد الدؤوب المتواصل لتبليغ دعوة الله واستنقاذ المشركين من ريق الشوك وهوة الكفر السحيقة وظلمة الوثنية الحالكة فما هو نوح -عليه السلام- لا يدع وسيلة من وسائل الدعوة العامة الظاهرة والخاصة الخفية إلا توصل بها. ما ترك طريقاً إلا سلكه لينقذ قومه من الكفر، ويهديهم إلى طريق الله المستقيم: دعاهم بالليل والنهار سراً وجهاً صابراً محتسباً لا يعرف اليأس ولا القنوط ألف سنة إلا خمسين عاماً.

ألا ما أعلى همته وما أصبره! إنه عليه سلام الله ليضرب المثل الأعلى للدعاة لاسيما في زمننا وواقعنا: المثل الأعلى في التوكل على الله - والاستعانة به والبذل والتضحية له والتفاني في تبليغ الدعوة دونما كلال وإنك لتر من دعاة اليوم من اكتفى بخطبة الجمعة - وإن تيسرت له وتراه يائساً من المدعوين يلقي باللائمة عليهم لأنهم لا يستجيبون وهي ساعة دعاهم فيها بالنهار

ولم يكلف نفسه السعي والحركة، ولم يجلس خاليا يفكر ويخطط وينظم ويبحث عن حلول لمشكلات الدعوة إن هذا لشئ عجاب!!! على الداعية إذن أن يتعلم فنون الدعوة وأساليبها، وأن يجعل من وقته وقتاً يخصصه للإبداع الدعوي والتخطيط، فليس الأمر بالتمني ولا بالتخلي، وليس الأمر هيناً، بل هو الحياة كلها:



حياة الداعية وهمه، ولن تفلح دعوة ضاق أفق حملتها وقل ذكاؤهم، ولن تثمر دعوة أنفق حملتها الفتات من كل شيء، بل لكي تثمر لأبد وأن يكون حملتها مهمومين بها في ليلهم ونهارهم، في جدهم وهزلهم، في صحوهم ورفادهم، في سفرهم وترحالهم، وفي إقامتهم وحلهم وصدق الله : (إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)) (الطارق)

فليتحرك الدعاة وليغشوا الناس في منازلهم، وليشاركوا الناس أفراحهم وأتراحهم وهمومهم ومشكلاتهم، ولينقبوا عن أحوالهم فيمدوا يد العون للمحتاجين، وليوضحوا الدرب للحائرين، ولير الناس منهم الصدق والاهتمام بلا تكلف، وليعلم الدعاة أن المنبر وحده لا يكفي، بل المعاشية الكاملة للناس، والضرب في الأسواق بلا يأس ولا قنوط كما فعل نبي الله ورسوله نوح عليه السلام.

يقول صاحب الظلال رحمه الله:

هذا ما صنع نوح -عليه السلام- وهذا ما قال، عاد يعرضه على ربه، وهو يَقُومُ حسابه الأخير في نهاية الأمد الطويل، وهو يصور الجهد الدائب لا ينقطع (إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا) (نوح: ٥) لا يمل ولا يفتر ولا ييأس أمام الإعراض والإصرار (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا) (نوح: ٦) فراراً من الداعي إلى الله مصدر الوجود والحياة، ومصدر النعم والآلاء، وهو لَا يَطْلُبُ أجراً على السماع، ولا ضريبة على الاهتداء.

الفرار ممن بدعوههم إلى الله ليغفر لهم، ويخلصهم من جريرة الإثم والمعصية والضلال ومع الدأب على الدعوة، وتحين كل فرصة، والإصرار على المواجهة اتبع نوح عليه السلام كل الأساليب فجهر بالدعوة تارة، ثم زواج بين الإعلان والإسرار تارة (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا) (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩)) (نوح).

وفي أثناء ذلك كله طمعهم في خير الدنيا والآخرة، وأطمعهم في الغفران إذا استغفروا ربهم فهو سبحانه - غفار الذنوب (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) (نوح: ١٠)





وأطمعهم في الرزق الوفير اليسير من أسبابه التي يعرفونها ويرجونها: وهي المطر الغزير الذي تثبت به الزروع، وتسير به الأنهار، كما وعدهم رزقهم الآخر من الذرية التي يحبونها والأموال التي يطلبونها ويعزونها (يرسل السماء عليكم مدراراً (١١) ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً (١٢)) (نوح).

إنه الجهد المضني، والعناء المرهق، والصبر الجميل، والإصرار الكريم من جانب نوح عليه السلام لهداية الخلق، وهو لا مصلحة له ولا هم له، القضية إنما هي رحمة تملأ قلبه وتفيض على عباد الله^(١٩).

ويقول البيضاوي رحمه الله: (قال ربي إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً): أي دائماً (واني كلما دعوتهم) : إلى الإيمان (ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً). أي دعوتهم مرة بعد أخرى، وكرة بعد أولى على أي وجه أمكنني ثم لتفاوت الوجوه. فإن الجهار أغلظ من الإسرار، والجمع بينهما أغلظ من الأفراد، أو لتراخي بعضها عن بعض^(٢٠). فعلى معاشر الدعاة أن يعوا ذلك الدرس العظيم من نوح -عليه السلام- فمن فهم دوره وواجبه تجاه دينه، خاصم وجفى الراحة، وهجر السكون والكمون والتفوق، فالحركة هي قانون الوجود والركون سبيل الفساد، ألم تر إلى الماء الجاري كيف يكون عذبا رقيقاً تهش له النفس وترغبه؟

والى الماء الراكد كيف يفسد ويأسن ويتعفن وتأنفه النفس وتتفر منه الطباع ؟

فمثل ذلك مثل الداعية المتحرك بدعوته يفتح لها آفاقاً، ويملك زمام المبادرة، ولا ينتظر الناس بل يغشاهم. ومثل الداعية الغافل يحبس نفسه على حيه أو منبره .

ما على الدعاة إلا التسليح بسلاح العلم وأن يتوكلوا على الله ويبلغوا دعوة الله إلى خلقه والنتائج على الله فقط ابذر البذرة أيها الداعية، واغرس الفسيلة، ولا تنشغل بالثمرة فهي من أمر الله وهو وحده المسؤول عنها، والقادر على إنباتها وإثمارها.

(١٩) سيد قطب في ظلال القرآن ج٦ ص ٣٧١٠ - ١٣٧١١ ط دار الشروق.
(٢٠) تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٥٣٠ ط - دار الكتب العلمية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.



وعلى الداعية كذلك أن يصبر على الناس: على إعراضهم وعنادهم وجدالهم وأذاهم فلا دعوة بدون أذى كما أنه لا راحة بلا تعب

ولله در أبي تمام:

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها تتال

إلا على جسر من التعب^(٢١).

وليحذر الداعية اليأس، وليكن ذا أمل فلعل كلمة لم يقلها بعد يفتح الله بها قلوباً غلفاً وأعينا عمياً وآدانا صماً، وقد قيل لداعية يوماً: لقد قلتم كثيراً ولم يسمع أحد لكم فإلى متى تقولون والناس لا يستجيبون؟ فقال: لعل الكلمة التي فيها نجاتي لم تأت بعد، وصدق الله - عز وجل - إذ يقول: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)

(القصص: ٥٦)

يقول الأستاذ/ عبد الكريم زيدان في تعليقه على قصة نوح -عليه السلام- ويلاحظ أن التأكيد على أن العبودية لله ظاهرة وبارزة في جميع أساليب الدعوة منها الآيات التي ذكرناها قبل قليل مثل قوله تعالى حكاية عن نوح: (فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)

(الأعراف: ٥٩).

وقوله تعالى: (قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) (٢) أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا (٣) (نوح).

(٢١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي تحقيق محمد عبده عزام ج ١ ص ٧٣ ط ٥ دار المعارف ١٩٨٧.



فنوح عليه السلام تلطف مع قومه في صيغ الخطاب، لكن مع وضوح إخبارهم بأن الله هو المعبود الحق، وأن عليهم أن يعبدوه وحده لا يشركون بعبادته أحداً^(٢٢).

ثانياً: يوسف عليه السلام.

دعا الله عز وجل في كل أحواله، حتى وهو سجين في غياهب الظلمات، حتى وهو غريب عن أهله وعشيرته بعيد عن عطف أبيه وحنان، لم ينس يوسف -عليه السلام- رسالته ودعوته فقام بها على أكمل وجه وأحسنه لم يتعلل بغربة ولا سجن ولا استبعاد، ولم يتفنى -حشاه- في اختراع المعاذير التي يركبها مطية يهرب عليها بعيداً عن المسؤولية كما هو الحال عند كثير ممن تصدوا للدعوة، وجرفهم التيار، وأسرتهم الدنيا ببريقها وشدة أسرها فخاضوا في الخائضين، وركبوا متن الشطط مع المراكبين إن الدعوة إلى الله تعالى واجب شرعي وهي من وظائف رسل الله ولكن أراد الله - تعالى - تكريم وتشريف المسلم فكلفه بما كلف به رسله، وهو الدعوة إلى الله.

وأداء هذا الواجب الشرعي ليس له وقت محدد كواجب الصلاة، وإنما يجب القيام به كلما أمكن ذلك، وها هو الستار يرفع عن حجرة فيها يوسف - عليه السلام - ومعه فتیان يسألانه ويستفتيانه في رؤياهما، فاغتنم يوسف - عليه السلام - الفرصة السانحة ولم يضعيها على نفسه، فهي صفقة رابحة لا محالة فكل من تاجر مع الله ربح

اغتنم يوسف - عليه السلام - الفرصة ودعاها إلى التوحيد الخالص، وإلى عبادة الله وحده والرضا بحكمه فلا حكم إلا له، ولما دعاها وبصرهما وأدى دوره تجاه دينه وبلغ الرسالة أول الرؤيا لهما.



(٢٢) المستفاد من قصص القرآن الكريم د/ عبد الكريم زيدان ج ١ ص ١٣٤ ط ١ مؤسسة الرسالة ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م

قال تعالى:

(وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ
فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْنَأُ بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا
طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ
لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ لِللَّهِ شُرَكَاءَ شَيْءٌ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبِي السَّجْنَ أَرَأَيْتَ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
(٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ
إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
(٤٠). (يوسف/ ٣٦ - ٤٠)

لم يشغله -عليه صلاة الله وسلامه - سجنه عن دعوته، ولم يحل الضيق الذي ألم به بينه وبين العمل الجاد على هداية الناس، وهكذا فعل رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم فبينما كان مهاجراً والطلب في إثره، وهو في طريق الهجرة معه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه لقي في طريقه بريده بن الحصيب الأسلمي في ركب من قومه، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا وهذا يدل على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يغفل عن الدعوة حتى وهو في طريقه مهاجراً إلى المدينة والقوم يطلبونه، وهكذا يجب أن يكون الداعي إذا كان صادقاً في دعوته مشغلاً بها لا يفكر إلا بها، ولا يتحرك إلا من أجلها، ولا يبخل عليها بشيء من وقته وجهده، ولا يشغله عنها شاغل حتى في أخرج الساعات، وأضيق الحالات، وأدق الظروف وأصعبها، وحتى عند ابتلائه بالمصائب والنكبات^(٢٣).

ولقد تدرج يوسف - عليه السلام - في الدعوة، وكان صبوراً حكيماً ذكياً عالماً بالأولويات فركز على التوحيد الذي يعني أن الله هو المعبود الحق، وأنه صاحب الحكم المطلق، مع التركيز على أهمية الإيمان بالبعث واليوم الآخر، إذ الصلاح مرتبط بذلك ولا يرد الناس عن الفساد والظلم إلا بالإيمان باليوم الآخر، والخوف من يوم الحساب

(٢٣) السابق نفسه ج ١ ٢٩٥ - ٢٩٦



(إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) (يوسف: ٣٧)

وقال داعياً إلى التوحيد، والى عبادة الله وحده، والرضا بحكمه:

(أَأَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)).

قال صاحب الظلال:

لقد رسم يوسف - عليه السلام - بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة كل معالم هذا الدين، وكل مقومات هذه العقيدة، كما هز بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزاً شديداً عنيفاً^(٢٤) وهكذا سائر الأنبياء كانت وظيفتهم الدعوة إلى الله، وهدفهم الذي يعيشون له هداية الناس وتعبيدهم لله ربهم متوسلين في ذلك بكل الوسائل الدعوية المشروعة من وعظ ولارشاد ونصح وترغيب وترهيب، متسرلين الصبر السابغ الجميل الفضفاض، متسلحين بسلاح العلم النافع، والأخلاق الكريمة الفاضلة، والقُدوة الصالحة.

يقول الشيخ رضا أحمد صمدي:

إن هذا الدين إذا تأمله المتأمل علم أنه صيغ ليكون المتمسك به داعياً إليه دالاً عليه، ومع مزيد من تأمل يرى المرء أن من أراد أن يكون مسلماً دون تبعات ومسئوليات تجاه إسلامه فإنه رام ضرباً من التدين شبيهاً بتدين الرهبان في الكهوف والصوامع والبيع وقد تقرر أنه لا رهبانية في الإسلام^(٢٥) ويقول نفع الله به - في موضع آخر:

إن التحرك للدين وبذل المجهود في الدعوة إلى الله، والتمكين لشرع الله وإعلاء كلمته في الأرض يجب أن يكون عنصراً أصيلاً في النسيج الإيماني لكل مسلم فلا يفتأ يحاسب نفسه في كل زمن: ماذا قدم لدين الله؟

(٢٤) الظلال/ ٤ ص ١٩٨٩

(٢٥) ٣٠ طريقة لخدمة الدين للشيخ رضا أحمد صمدي ط ١ دار الوطن ٢٠٠١ ص ٢٣



يتقلب في مضجعه قلقاً لا يهنأ بنومه، ولا يطيب له وسن، ترتاده أخبار المسلمين فيهمتم ويغتم،

ويفكر في سبيل إيصال الحق إلى الخلق فيخاف أن يقصر، يقلق من تنامي الكفر والتعسف، يجزع من قلة الناصرين لدين الله، إنه لا يفكر في جاره فقط أو صديقه كيف يدعوه؟ إنه يفكر في سكان الكرة الأرضية كيف يدخلهم في دين الله الواحد أفواجا؟ يا لها من همة لو وجدت لها فؤادا وأحسب أن هذه النفس لو تلفت هما على حال الدين لما كان ذلك كثيراً جللاً^(٢٦)

إن تعبيد الناس لربهم ودعوتهم إلى الله قضية مسلم ينتمي الإسلام لمحض كونه مسلماً وتركيبته كمسلم لن تستقيم إلا بتبني هذه القضية بحيث تضحي حياة المسلم ممزوجة بهذا الهم وليس للأمة ولا لأي مسلم من قيمة إن هوجلست يتفرج على مهرجان ذبح الأمة الإسلامية ظاناً أنه لن يذبح مع المذبوحين^(٢٧)

نماذج من حياة الصحابة في العمل

من أجل نشر الإسلام في ربوع الأرض

وضرب الصحابة لنا أروع مثل في حمل هم الدين، والعمل له، وبذل النفس والنفيس لهداية الناس إلى الحق.

فهذا أبو بكر الذي أسلم مع أول دعوة ثم ينطلق داعياً يريد أن يهدي الناس إلى النور الذي اهتدى إليه، ونعم به فيبذل ماله ووقته ونفسه في سبيل الله، ويعتق العبيد وينقذهم من بين أنياب المشركين، ما يفعل ذلك إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى.



^(٢٦) السابق ص ٢٧
^(٢٧) السابق ص ٣٧



وهذا الطفيل بن عامر الدوسي يسلم الله تعالى ولنترك الحديث له:

قال: فعرض على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإسلام، وتلا على القرآن قال: والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه قال، فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت: يا نبي الله: إني أمرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه قال: (اللهم اجعل له آية).. قال فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية^(٢٨) تطلعتني على الحاضر^(٢٩) وقع نور بين عيني مثال المصباح قال: قلت: اللهم في غير وجهي إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم قال: فتحول فوق في رأس سوطي

قال: فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق، وأنا أهبط إليهم من الثنية قال: حتى جئتهم فأصبحت فيهم.

قال: فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً قال: قلت: إليك عني يا أبي فلست منك ولست مني

قال: لم يا بني؟، قال: قلت: أسلمت وتابعت دين محمد - صلى الله عليه وسلم -

قال: أي بني فديني دينك.

قال: فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ثم تعالى حتى أعلمك ما علمت.

قال: فذهب فاغتسل وطهر ثيابه.

قال: ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم.

ثم أتتني صاحبتني فقلت: إليك عني فلست منك ولست مني.

قالت: لم بأبي أنت وأمي؟

^(٢٨) الثنية : الطري في الجبل - المعجم الوسيط ج ١ ص ١٠٦
^(٢٩) تجعلين مطلاً على منزل القبيلة قرب الماء.



قال: فرق بيني وبينك الإسلام ، وتابعت دين محمد - صلى الله عليه وسلم -

قالت: فديني دينك .

قال: قلت فاذهبي إلى حني ذي الشرى^(٣٠) قال ابن هشام: ويقال: حمى ذي الشرى - فطهري منه، وكان ذو الشرى صنما لدوس وكان الحمى حمى حموه له به وشل^(٣١) من يهبط من جبل.

قال: قالت: يأبى أنت وأمي، أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئاً ؟

قال: قلت: لا أنا ضامن لذلك.

قال: فذهبت فاغتسلت، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام، فأسلمت ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأببطأوا عليّ، ثم جئت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة فقلت له: يا نبي الله: إنه قد غلبني على دوس الزنى فادع الله عليهم.

فقال: اللهم اهد دوساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم.

قال: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة بمن أسلم معي من قومي ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيت من دوس، ثم لحقنا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين، ثم لم أزل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

حتى إذا فتح الله عليه مكة قلت:

يا رسول الله ابعتني إلى ذي الكفين - صنم عمر بن حممة - حتى أحرقه^(٣٢)

(٣٠) ذو الشرى: صنم كانوا يعبدونه وحنا حنية قريبة منه بها بركة ماء (سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٤).

(٣١) الوشل شلال صغير المعجم الوسيط ص ١٠٨١

(٣٢) وكان صنما من خشب.



قال ابن إسحاق: فخرج إليه، فجعل طفيل يوقد عليه النار ويقول

يا ذا الكفين لست من عبّادكا

ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا (٣٣)

هذه قصة الصحابي الجليل - الطفيل بن عمرو - أسلم وملاً نور الإيمان قلبه فأبى إلا أن يسطع على من حوله ، وعرف بفطرتة السليمة النقية أن عشيرته أولى الناس بدعوته، فدعا أباه فأسلم، ودعا زوجته فأسلمت،

ثم دعا قومه فأسلم منهم عدد كبير، واهتدى به جم غفير منهم، وهو بهذا الجهد والوعي الدعوي ليوقف الدعاة على حقيقة ثمينة على الأمة المسلمة أن تعض عليها بالنواجذ وهي: أن الإسلام دين الإيجابية والحركة الرحمة، وأن المسلم الحق من أصلح نفسه ووطن نفسه على الإيمان، ثم أصلح غيره وسعى في عمارة الكون حوله بالإيمان.

وهذا (ربي بن عامر) وقصته مشهورة يقول ابن كثير:

ثم بعث إليه سعد رسولاً آخر يطلبه وهو ربي عامر، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللالئ الثمينة والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربي بثياب صفيقة، وسيف وترس وفرس قصيرة ،

ولم يزل راكبها حتى داس بها طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل عليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك.

فقال: إني لم آتكم وإنما جئكم حين دعوتكموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

(٣٣) سيرة بن هشام/ ج ٢ ص ٢٤: ٢٦



فقال رستم: ائذنوا له.

فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها.

فقالوا: له ما جاء بكم؟

فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدين إلى خلقه لتدعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، وإن أباي قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله.

قالوا: وما موعود الله؟

قال: الجنة لمن مات على قتال من أباي، والظفر لمن بقى.

فقال رستم: قد سمعت مقاتلكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنتظروا؟

قال: نعم كم أحب إليكم؟ يوماً أو يومين.

قال: لا بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا.

فقال: ما سن لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن تؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل.

فقال: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد يجبر^(٣٤) أدناهم على أعلاهم، فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أعزَّ وأرجح من كلام هذا الرجل؟

فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا، وتدع دينك إلى هذا الطلب أما ترى ثيابه؟

(٣٤) يجبر: ينفذ ويعيد.



فقال: ويلكم لا تنظروا إلى ثيابه، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل ويصونون الأحساب^(٣٥)

والقصة تلمح فيها هدف المسلمين من جهادهم وهو: تعبيد الناس لربهم، وتلمح فيها العزة والقوة والثقة والاعتدال والثقة في النصر والغلبة، والاعتداد بالإسلام وتعاليمه العظيمة،

وكذلك الاعتزاز بالسنة والحرص على تطبيقها وهذا مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله \$ وهو أن الاتباع سبب الهداية.

غاية الجهاد تعبيد الناس لربهم :

قال تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ)

وقال: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ)

وقال: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) . (التوبة)

فهي إذن بيعة بين الأمة المؤمنة وربها، وصفقة رابحة تدفع الأمة أعلى ما عندها ثمناً للسلعة التي تحبها: تدفع الروح والمال لتتال الجنة التي أعدها الله للمؤمنين، وهي تبعة كما يبدو من الثمن المدفوع ثقيلة لا يعين عليها إلا الله الذي يعين المسلم على العبادة والعمل للإسلام، وهذا معنى قوله تعالى في سورة الفاتحة (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)) (الفاتحة). أي: نستعين بك على عبادتك

وبدون الجهاد لا يعز الدين، ولا يقام في الأرض، فالجهاد منقذ الدين والأمة من الهوان والذلة والخسران، ولن يدخل الناس في دين الله أفواجاً إلا به، ولن تكون المهابة في قلوب أعدائنا إلا به، غز لا يفرغ أعداء الله في الأرض ولا أولياؤهم يمثل الجهاد.

(٣٥) البداية والنهاية لابن كثير / ج ٤ ص ٤٠



أهداف التربية القرآنية

قال - تعالى - :

(قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) (التوبة: ٢٩)
فَالْغَرَضُ مِنْ قِتَالِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَسْلَمُوا صَارُوا آمِنِينَ لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

يقول أستاذنا سيد قطب رحمه الله: وجاهد الإسلام ليقم في الأرض نظامه الخاص ويقره ويحميه، وهو وحده النظام الذي يحقق حرية الإنسان تجاه أخيه الإنسان، حيثما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعال ويلغي في الأرض عبودية البشر للبشر في جميع أشكالها وصورها، وليس هناك فرد ولا طبقة ولا أمة تشرع الأحكام للناس، وتسبب لهم عن طريق التشريع، إنما هناك رب واحد للناس جميعاً هو الذي يشرع لهم على السواء، ولإليه وحده يتجهون بالطاعة والخضوع كما يتجهون إليه وحده بالإيمان والعبادة سواء. فلا طاعة في هذا النظام لبشر إلا أن يكون منفذاً لشريعة الله موكلًا عن الجماعة ليقوم بهذا التنفيذ حيث لا يملك أن يشرع هو ابتداءً

لأن التشريع من الألوهية وحدها، وهو مظهر الألوهية في حياة البشر فلا يجوز أن يزاوله إنسان فيدعي لنفسه مقام الألوهية وهو واحد من العبيد، جاهد الإسلام ليقم هذا النظام الرفيع في الأرض ويقرره ويحميه وكان حقه أن يجاهد ليحطم النظم الطاغية التي تقوم على عبودية البشر للبشر، والتي يدعي فيها العبيد مقام الألوهية ويزاولون فيها وظيفة الألوهية بغير حق، ولم يكن بد كذلك أن يسحقها الإسلام سحقاً ليعلن نظامه الرفيع في الأرض، وما يزال هذا الجهاد لإقامة هذا النظام الرفيع مفروضاً على المسلمين (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ).

(البقرة: ١٩٣)

فلا تكون هناك ألوهية للعبيد في الأرض ولا دينوية لغير الله .





معنى الإسلام:

إن الناس كل الناس لربهم هو المعنى الحقيقي للإسلام، إعلان عام لتحرير الإنسان في الأرض كلها: تحريره من عبودية البشر، ومن أسر الهوى، ومن كل قيد وذلك بإعلان ألوهية الله وحده - سبحانه - وربوبيته للعالمين وإذا كان هذا هو معنى الإسلام فالجهاد مفروض على الأمة، ومشروع ليحطم كل قوة تحول بين البشر وربهم، وكل قوة تقوم على غير نظام الإسلام وعلى غير منهجه^(٣٦)

والجهاد مشروع كذلك لرفع الأذى عن أهل الإسلام الذي يعتنقون دين الحق ويهدون بهدى الله ويفردونه - سبحانه - بالعبودية، ومشروع لحماية الدعاة الذين يبلغون رسالات الله لكي يبلغوا الرسالة دونما عقبات أو معائر.

فليس الدين نظرية فلسفية أو نظرية علمية، وليس كذلك عقيدة ميتة كامنة في الضمير، كما أنه ليس كذلك مجرد شعائر تعبدية تؤدي في المساجد ودور العبادة، وإنما الدين حركة والعقيدة حية إيجابية متحركة تحرك المسلم، وتصوغ منه عنصرا فعالا مؤثرا في البيئة التي يعيش فيها. إن العمل للدين جهاد وصراع مع الباطل مع الجاهلية المتأبئة الرافضة لحكم الله، المناهضة لشرعه: مع الجاهلية بخيلها ورجلها وجنودها وخططها ونظمها وقادتها، مع الجاهلية المتحفزة المتأهبة دائما لدحض الحق - وأنى لها؟

قال تعالى: (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا). (الكهف: ٥٦)

لقد افترض الله - سبحانه - وتعالى - الجهاد على المسلمين في كل المراحل التي عاشتها الأمة، حتى مرحلة الاستضعاف والغربة في مكة، والمسلمون قلة مستضعفة في الأرض تخاف أن يتخطفها الناس.

(٣٦) الظلال/ ج ٣ ص ١٥٠٨ ط دار الشروق



أهداف التربية القرآنية

قال - تعالى - : (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ تَذِيراً (٥١) فَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً (٥٢) (الفرقان / ٥١ - ٥٢)

جهاد بالقرآن بالحجة بالكلمة القوية المؤثرة، وكلمات القرآن سيوف باترة مشرعة على رقاب أعداء الحق، وهي كذلك قلاع يعتصم المسلمون بها، وحصون تحميهم، والقرآن قوة لا يستهان بها بل هو قوة لا تقف أمامها قوة، وإعصار لا يعدله إعصار يأخذ بمجامع القلوب، ويمزق الحجب دونها ويجوس خلال ديارها يرويهها من ظمأ، وينيرها من ظلام، ولا يدلك على قوة القرآن مثل قوله تعالى:

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ). (فصلت: ٢٦)

وهي آية تشي بما للقرآن من أثر يدركه أعداء الله الأمر الذي جعلهم يهابون سماعه فسدوا آذانهم.

وفي سورة العاديات المكية إشارة إلى الجهاد، وقد نزلت والمسلمون لا قوة لهم، ولا دولة ومما يؤخذ منها: أن الكنود والجحود لا بد له من جهاد بالخيال المغيرة صباحاً. لأنه سنة الله في إهلاك الظالمين، فليس الجهاد في الإسلام أمراً طارئاً بل خط متصل لا ينقطع، وقد شرعه الله - سبحانه وتعالى - ليكون الحكم له كما أن الأمر له

قال سبحانه: (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً (٣)).

(العاديات)

وقال سبحانه: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ). (الأعراف/ ٥٤)

وشرع ليحطم كل قوة عابثة تحول بين الناس وبين سماع الحق الذي يعرف طريقه ويصل إلى القلوب.





شرع ليربي الأمة على الرجولة والتضحية والجلد والفداء، ولا لم يشرع الجهاد ليكون سيفاً مسلطاً على رقاب العباد: فإما الإسلام، ولما الموت، إنما كان الجهاد حملة إنذار، ودفع قوي إلى دين العظيم الذي لا يقبل ديناً سواه.

ولما أمر الله المؤمنين بقتال المشركين حتى لا تكون فتنة قال لهم: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). (التوبة: ٥)

هذا هو الهدف من قتال المشركين: أن يلبوا نداء الفطرة، ويتوبوا إلى الله من كفرهم وينضموا إلى حظيرة الإسلام، وأن يسلموا لله ربهم، ويؤدوا ما افترضه عليهم من الفرائض، ومن المقرر أن عبادة غير الله انحراف بالفطرة السوية عما خلقها الله - سبحانه - عليها وجبلها من التوحيد كما روى مسلم في صحيحه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال فيما يرويه عن رب العزة سبحانه: (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهن عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً) (٣٧)

فالجihad إنما يهدف إلى رد الناس إلى الأصل الذي خلقهم الله عليه: إلى الفطرة السليمة إلى الحنيفية السمحة، ويريد أن يستسلم الناس لله وحده فلا سعادة في الدارين إلا بالخضوع والاستسلام لله، ولا ذلة ولا خسران إلا بمخالفة أمره كما روى أحمد بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده ولا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري) (٣٨)

وقد فهم صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك جيداً: فهموا أن الله لا يعبد وحده في الأرض بلاد جهاد ولا تضحية، وفهموا أن أول خطوة في الطريق الطويل بذل الروح فمن ضمن بها لم يضع قدمه على أول خطوة فيه.

(٣٧) مسلم (كتاب) الجنة وصفة نعيمها وأهلها (باب) صفات أهل الجنة وأهل النار ح ٢٨٦٥ ج ٤ ص ٢١٩٧
(٣٨) صحيح رواه أحمد في المسند ح ٥٦٦٧ ج ٢ ص ٩٢ وأبو يعلى في مسنده والطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٨٣١ وفي الإرواء برقم ١٢٦٩



كان ذلك الهدف حاضرا في حس الصحابة في كل معركة خاضوها ففي صحيح البخاري عن جبير ابن حية قال: فندبنا عمر، واستعمل علينا النعمان بن مقرن حتى إذا كنا بأرض العدو، خرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفا فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم فقال المغيرة: سل ما شئت. قال: ما أنتم؟

قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر فبينما نحن كذلك إذا بعث رب السموات ورب الأرض تعالى ذكره، وجلت عظمته إلينا نبيا من أنفسنا نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا - صلى الله عليه وسلم - أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا - صلى الله عليه وسلم - عن رسالة ربنا أنه من قُتل منا صار إلى الجنة في نعم لم ير مث لها قط، ومن بقي منا ملك رقابكم^(٣٩) فتأمل الحديث وانظر إلى تلك العزة في غير كبر، والثقة في غير اغترار، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، ولما كانت هذه العزة ثمرة للجهاد في سبيل الله، كما أن الذلة التي تعيشها الأمة في حاضرها البئيس بسبب ترك الجهاد، والجزاء من جنس العمل، روى البخاري في صحيحه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)^(٤٠)

يقول بن القيم رحمه الله: والمقصود من الجهاد إنما هو أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله: فإن من كون الدين كله لله إذلال الكفر وأهله وصغاره وضرب الجزية على رؤوس أهلهم، والرق على رقابهم فهذا من دين الله، ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم، وإقامة دينهم كما يحبون حتى تكون لهم الشوكة والكلمة^(٤١)

ويقول رحمه الله: لما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام ومنازل أهل أعلى المنازل في الجنة كما لهم الرفعة في الدنيا فهم الأعلون في الدنيا والآخرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذروة العليا منه،

(٣٩) البخاري مع الفتح ج ٦ ص ١٩٠
(٤٠) البخاري (كتاب الإيمان باب) فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ح ٢٥ ج ١ ص ١٧
(٤١) أحكام أهل الذمة لابن القيم ج ١ ص ١٨



واستولى على أنواعه كلها: فجاهد في الله حق جهاده بالقلب والجنان والدعوة والبيان والسيف والسنان وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده ولهذا كان أرفع العاملين ذكرا وأعظمهم عند الله قدرا^(٤٢)

ويقول رحمه الله في موضوع آخر: فإنه لما نزل عليه (يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)).
(المدثر)

شمر عن الدعوة، وقام في ذات الله أتم قيام، ودعا إلى الله ليلا ونهارا وسرا وجهرا، ولما نزل عليه (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (الحجر: ٩٤)

فصدع بأمر الله لا تأخذه فيه لومه لائم، فدعا إلى ربه الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى والأحمر والأسود والجن والإنس^(٤٣)

إن على الأمة المسلمة أن تواجه ذلك التحدي مع قوى البغي والشر وأعداء الحق على اختلاف أشكالهم وأجناسهم، ولن مواجهة ذلك التحدي الصعب هو الأمانة التي يجب على الأمة ألا تخونها، لأن خيانة الأمانة أمر عظيم، وفتنة في الأرض وفساد كبير.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

(الأنفال: ٢٧)

ولابد للأمانة من رجال يحملونها تربوا في كنف الإسلام وفي محرابه وعلى أخلاقه، رجال يعرفون قدرهم وقدر التبعة التي يحملونها، رجال لا يقلدون أعداءهم بل يزدرونهم ولا يكبرونهم بل يحتقرونهم في الله، رجال يعتدون بدينهم وقيمهم ومبادئهم وهويتهم، رجال بمعنى الكلمة يظهرون في المواقف الصعبة التي تمر بها أمتهم.

^(٤٢) زاد المعاد ج ١ مؤسسة الرسالة السابعة ١٤٠٧/١٩٨٦ ص ١٢
^(٤٣) السابق ج ١ ص ١٢

أهداف التربية القرآنية

لا تزيدهم المحن إلا صلابة وصفاء كالذهب الخالص لا تزيده النار إلا صفاء ونقاء وجودة والناس معادن كمعادن الذهب والفضة، ورجال المحراب بما يحركهم من خوف ورجاء وانطلاق وتحرر وقوة وجلد وهمة عالية، هؤلاء الرجال هم حاملوا الأمانة حق حملها والمجاهدون في سبيل الله حق الجهاد، الباذلون الروح في سبيل نشر الإسلام، المتحررون من أسر الشهوات والهوى وحب الدنيا بما ثورته من ضعف وطمع .

إنهم بحق الثقل الذي يمنع الأرض أن تميد، ولن كانوا قلة لا يضرهم ذلك، فذلك الذهب قليل في المعادن.

قال الله عز وجل: (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ) (سبأ/١٣)، وقال سبحانه: (وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (يوسف/١٠٣).

وقال سبحانه: (وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْطَوِّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) . (الأنعام/١١٦).

فالجihad الإسلامي إذن وإعداد الرجال والقوة له هدفه وهو تعبيد الناس لربهم. وهذا الصديق أبو بكر يعد العدد، ويرسل الجنود لحرب المرتدين، قد أقسم ألا يتركهم حتى يشهدوا شهادة الحق ولا فلا عصمة لدمائهم ولا لأولادهم من سيوف المسلمين، وهو - رضي الله عنه - الذي أرسل الجيوش إلى الشام، وبدأ حركة الفتوحات الإسلامية الراشدة، والتي طافت شمسها الأرجاء تنشر النور والهداية، وتأخذ بأيدي الناس إلى الله، وأتم المسيرة.

الفاروق عمر - رضي الله عنه - الذي اتسعت الدولة الإسلامية في عهده، وانتشر التوحيد على ربا الشام، وربوعه وعلى ربا العراق وربوعه ومصر الحبيبة وغيرها من البلاد، وما فعل ذلك الصحابة إلا ليخلصوا الناس من ظلم الكفر والوثنية، وليمدوا إليهم أيديهم فيأخذوهم مسلمين إلى دين الحق لا يسألونهم مالا ولا أجراً، فمن أسلم واهتدى كان واحداً منهم له ما لهم وعليه ما عليهم، وهذا حوار بين خالد بن الوليد رضي الله عنه وأمير اسمه جرجة في معركة اليرموك يروي ابن كثير في البداية والنهاية فيقول:



أهداف التربية القرآنية

وخرج جرجة أحد كبار الأمراء من الصف واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما فقال جرجة: أخبرني فاصدقني ولا تكذبي فإن الحر لا يكذب،

ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاه لك فلا تسله على أحد إلا هزمه؟ قال: لا. قال فيما سميت سيف الله؟ قال: إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه وتأبيناً عنه جميعاً، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبأيعناه. فقال لي أنت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين ودعا لي بالنصر فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين. فقال جرجة: يا خالد إلى ما تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل.. قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية ومنعهم قال: فإن لم يعطوها؟ قال: نوذنه بالحرب ثم نقاتله. قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترضه الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا قال جرجة: فلمن دخل فيكم اليوم مثل مالكم من الأجر والذخر؟

قال: نعم وأفضل. قال: كيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبأيعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع وانكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا فقال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك وإن الله ولي ما سألت عنه فعند ذلك قلب جرجة الترس ومال مع خالد وقال علمني الإسلام فمال به خالد إلى فسطاط صب عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين^(٤٤) وهذا الخبر وذلك الحوار يتضح فيه جليا أن المسلمين ما قاتلوا أعداءهم حبا في سفك الدماء ولا تشفيا من أعدائهم ولا رغبة في غنيمة قلت أو كثرت ولا حبا في العلو أو الظهور ولا إظهاراً لقوتهم وقدرتهم على مصارعة الرجال وإنما حاربوا وصبروا على قطع الحلاقم وبتر الصوارم وبذلوا المهج ليعبد الناس ربهم وحده - لا شريك له ويدينون له.

(٤٤) البداية والنهاية لابن كثير / ج ٤ ص ١٢ - ١٣ ط دار الكتب العلمية بدون.



قاتلوا لتطهير الأرض من الشرك والكفر وظلماته.

قاتلوا لتعمير الأرض وفق منهج الله.

قاتلوا ليحكم في الناس شرعه، ويكفر الناس بما وراءه.

قاتلوا وحملوا مشاعل النور لينقشع الظلام الذي يعيش الناس فيه.

فإذا أسلم الناس فلا قتال ولا دماء بل الحب والإخاء.

نحن أولى بذلك منهم: لقد حض القرآن الأمة المسلمة على العمل للدين والبذل له، وسلك إلى ذلك مسالك عديدة غير الأمر المباشر، ومن ذلك أنه ذكر حرص أهل الباطل على باطلهم وبذلهم وتضحيتهم وإنفاقهم لمحق الحق وإطفاء نوره وإظهار الباطل ونصرته،

وإنه لعجيب أن يرى المسلم أهل الباطل يتمسكون بباطلهم ويناصرونه، وفي المقابل يرى تخاذل أهل الحق وتقاعسهم عن نصره الحق؛ لخوف أو ضعف أو عرض من أعراض الدنيا، واليك طائفة من الآيات القرآنية التي تريك كيف يتعصب الكافرون الضالون لكفرهم، وينصرونه، ويبذلون له ويحبونه قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) (البقرة: ١٦٥)

يقول ابن كثير رحمه الله: يذكر الله تعالى حال المشركين في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة حيث جعلوا له أندادا أي أمثالا ونظرا، يحبونهم معه ويحبونهم كحبه وهو الله لا إله إلا هو ولا ضد له ولا ند له ولا شريك له^(٤٥)

ويقول القرطبي رحمه الله: لما أخبر الله - سبحانه وتعالى - في الآية قبل ما دل عليه وحدانيته وقدراته وعظم سلطانه، أخبر أن مع هذه الآيات الباهرة لذوي العقول من يتخذ معه أندادا...

(٤٥) تفسير ابن كثير/ ج ١ ط دار التراث ص ٢٠٥

أهداف التربية القرآنية

والمراد: الأوثان والأصنام التي كانوا يعبدونها كعبادة الله مع عجزها قال مجاهد: قوله تعالى (يحبونهم كحب الله) أي: يحبون أصنامهم على الباطل كحب المؤمنين الله مع قدرته، وقال ابن عباس والسدي المراد بالأنداد: الرؤساء المتبعون الذين يطيعونهم في معاصي الله^(٤٦)

والآية كما ترى تصريح بحب الكفار للأنداد أصناما كانت أم رؤساء يشرعون للناس ما لم يأذن به الله.

ومن تَوَاصَى الكفار بنصره باطلهم، وصبرهم في طريق الذود عن عقيدتهم، وعملهم على إضلال الناس وتعبيدهم لغير الله ما ورد في قوله تعالى من قصة إبراهيم (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ). (الأنبياء-٦٨) فبلغ بهم الكفر مبلغه

وألحقوا نبي الله وأبا الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - في النار انتصارا لباطلهم وآلهتهم التي بان لهم ضلالها وعجزها حتى

(فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ). (الأنبياء-٦٤)

ورغم اعترافهم بظلمهم إذ عبدوا من دون الله أصناما لا تملك لنفسها - فضلا عن غيرها - ضرا ولا نفعاً، رغم ذلك بذلوا وانتصروا للباطل، ومن ذلك قول الله جلا وعلا: (وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ). (ص:٦)

يقول الحافظ بن كثير رحمه الله: وهم سادتهم وقادتهم ورؤسائهم وكبرائهم قائلين: امشوا - أي: استمروا على دينكم.

واصبروا على آلِهَتكم أي: ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد إن هذا لشيء يراد

(٤٦) تفسير القرطبي/ج ١ ص ٥٣٤



قال ابن جرير: إن هذا يدعوننا إليه محمد - صلى الله عليه وسلم - من التوحيد لشيء يراد به من الشرف عليكم والاستعلاء، وأن يكون له منكم أتباع ولسنا نجيب إليه^(٤٧) فليست القضية إذن خطب عشواء، وليست الحركة الجاهلية حركة غافلة متخبطة أو عشوائية اعتباطية، بل حركة منظمة مدروسة، وخطط منظمة مقصودة: إنها الحرب المعلنة على الإسلام الحرب التي لا تعرف إلا الدماء والقتال، وإنه التواصي على الصبر في المعركة فهم يعملون أن النصر مع الصبر، وإنه كذلك النشاط في الحركة والقوة والاندفاع وعلوا الهمة في العمل يصور ذلك لفظ (وانطلق) فالانطلاق فيه ذلك المعنى، كما توحى لفظة (الملا) بالاجتماع والاصطلاح على حرب الإسلام، وإنه التواصي والتناصح والتحمل وتجرع الأسى والأذى من أجل باطلهم تلمحه من لفظ (واصبروا) إنه التناصح والتواصي بالصبر الذي تفتقده الحركات الإسلامية التي يفترض أنها تعمل للإسلام، إنه كما يقول الراشد نفع الله به: (إنه اليوم صراع سياسي حربي منظم لإقامة الدول الجاهلية ولقد أقاموها وصراعهم مستمر لإدانتها وترسيخها وتربية الأجيال الجديدة على الكفر، وليس الأمر مجرد فساد خلقي وفجور وخمور يمكن أن ينحصر وعظ الواعظين إزاءها، وفي هذا ما يوجب على أصحاب الغيرة الإسلامية والعقيدة الإيمانية في كل الأشياء من التعاون والانتظام والتخطيط وتكميل النقص التربوي والتوسع العددي الإيمانية في كل الأشياء من التعاون والانتظام والتخطيط وتكميل النقص التربوي والتوسع العددي في عملية استدرائية من خلال ممارسة جهادية سياسية غير متهورة تقام بها دول إسلامية رجالها دعاة حركيون، وكل مسلم مطالب بإبداء أثر في هذا الاستدراك والمشاركة فيه بنوع من الخير حسب استطاعته، ولا معنى لحياة امرئ سلبى يرتع في هذه الدنيا أكلا وشربا وتلذذا بالنساء،

والمفكرون من حوله لا يحاول أن يبدي موقفه منهم، والسياسيون عن يمينه وشماله بين صالح وطالح يصطرعون وهو يتفرج، إن السلبية والانعزالية والتفرج ما هي إلا تعابير مخففة مجازية يابأها عبد الرحيم بن الأخوة الشيباني الشاعر مفسر القرآن، وبعد ذلك موتا فالمرء والسيف عنده - مالم يبدي أثراً (حي كمييت مسلول كمغمود)

(٤٧) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٧٠



وبلغ الرافعي مبلغاً أقصى فرأى وجود السلبي غير مبرر، وأندرك بوجوب الجلاء وأنك إن لم تزد شيئاً على الدنيا: كنت أنت زائداً على الدنيا^(٤٨)

ونفس المعنى الذي قصده الرافعي سبقه إليه قطري بن الفجاءة

حينما قال:

وما للمرء خير في حياة

إذا ما عدَّ من سقط المتاع

ومن الآيات التي تذكر بذل أهل الكفر لنصرة كفرهم، ولصد الناس عن سبيل ربهم قول الله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (الأنفال: ٣٦)

قال السعدي رحمه الله:

يقول تعالى مبيناً عداوة المشركين وكيدهم ومكرهم ومبارزتهم لله ولرسوله، وسعيهم في إطفاء نوره ولخماده كلمته، وأن وبال أمرهم سيعود عليهم، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

فقال: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي: يبطلوا الحق وينصروا الباطل ويبطل توحيد الرحمن، ويقوم دين عبادة الأثان^(٤٩)

وصدق الله العظيم: (يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (الأنفال/٣٦).

والواقع خير شاهد على ذلك، فالنصارى وأولياؤهم من الكفار ينفقون المليارات لإخراج المسلمين من إسلامهم، والحيلولة دون انتشار الإسلام، بل إن المنصرين يشنون هجومهم على الإسلام خوفاً على قومهم من معرفته أكثر من رغبتهم في تنصير المسلمين،

(٤٨) المسار/ محمد أحمد الراشد: ص ١٨، ١٩ ط دار المنطلق.
(٤٩) تفسير السعدي ط ١٤١٧ ١٩٩٦ موسمه الرسالة ص ٢٨٢



فهم يخافون الإسلام ويرددون دائماً: إنه الدين الوحيد الخطر عليهم، ويفضل الغرب أن يظل بالنصرانية رغم علمانيته وللحاده، ورغم تهميشه للكنيسة هناك، ويأتي تبشير الغرب بالنصرانية مسوغاً اصطنعه ليواجه التوسع الإسلامي.

ولقد اخترع المنصرون وسائل عديدة لصد الناس عن الإسلام ولنشر باطلهم وخرافاتهم منها :

١- استغلال الكوارث والحروب الأهلية:

التي يثيرونها وما ينتج عنها من دمار وخراب فضلا عن الأوضاع المأسوية من أيتام وأرامل وما يحتاجون إليه حتى أصبحت نسبة اللاجئين من المسلمين تمثل أعلى نسبة في العالم.

٢- توزيع الأناجيل:

وقد ازدادت كمية الأناجيل الموزعة على المستوى العالمي إلى رقم جديد لم يسبق الوصول إليه في الماضي حيث بلغت النسبة ١٤٠% مما كانت عليه في العام الماضي (١٩٩٩) وهذه الإحصائيات تمثل ما تم توزيعه عن طريق جمعيات الإنجيل المتحدة فقط كما هو مبين أدناه.

- إفريقية : ٤٠.٢٠٨.٥٦٨ إنجيل
- آسيا: ٢٥.٦٦٩٧٧.٦١١ إنجيل
- الشرق الأوسط وأوروبا: ٧.٢٨٢٠.٥٨١ إنجيل
- الأمريكتان: ١٥.٧٦٣.٠٦٢ إنجيل

وقد سمحت الصين لمطبعة (أميتي) في نيانجج بطباعه ١٥ مليون نسخة نقلا عن التقرير العالمي لجمعيات الإنجيل المتحدة.





٣- الوكالات التنصيرية : -

والعمل التنصيري الخارجي هو أهم ما يشغل الكنائس المنظمة هذه الأيام ففي الوقت الحاضر هناك ٤٠٠ وكالة تنصير (أي منظمات خصيصاً في حقل التنصير) يعمل بها ٢٦٢.٣٠٠ منصر متفرغ، وهو يكفلون الكنائس ٨ بلايين دولار سنوياً وكل سنة يصدر ١٠٠٠٠٠ كتاب وبحث جديد حول التنصير الخارجي

السينما من الوسائل الحديثة والمؤثرة:

لسعة انتشارها فقد بدأ عرض عرض الأفلام التنصيرية في القرى الإفريقية في كينيا، ووصل عدد المسلمين الذين حضروا بعض هذه العروض ٢٠٠٠ مسلم، أبدى منهم استعدادهم للتحويل إلى النصرانية، وما أسرع ما كانت متابعة المنصرين لهم، وتقديم العون والمساعدات لهم، ووافق بابا الفاتيكان على الظهور لأول مرة في فيلم غنائي أطلق عليه: (الرجل الذي جاء من بعيد).

وأنتجت الكنيسة البروتستانتية في أمريكا فيلماً عن حياة المسيح من وجهة نظر الكنيسة بتكلفة عدة ملايين من الدولارات، ولقد شاهد الفيلم ٥٠٣ مليون شخص منهم ٢٣ مليون قرروا الالتزام بالمبادئ العامة للنصرانية وتم عرض الفيلم في ١٠٧ دولة استفادت منه ٣٨٠ منظمة تنصيرية عرضته ضمن برامج دعوتها والفيلم موجود بـ ٢٤١ لغة مختلفة ويتم ترجمته حالياً إلى ١٠٠ لغة أخرى، ويقوم بالإشراف على عرضة ٣٢٠ فريق عرض. وهناك وسائل أخرى للتنصير والتبشير كالمدارس والجامعات الغربية المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي، وكذا البعثات الخارجية التي لا تخفي أهدافها.

ومن تلك الكليات والمدارس كلية البنات الأمريكية بشارع رمسيس، وكليات البنات الأمريكية بأسبوط والأقصر، ومدرسة الأزكية للبنات بالقاهرة، ومدارس الأسقفية الإنجليزية بسراي القبة، وكلية التجارة بالعاطرين بالأسكندرية، ومدارس الأمريكان بالقاهرة.



ناهيك عن شبكات الإنترنت وأجهزة الكمبيوتر التي تقوم بدور كبير في الصدد عن سبيل الله ونشر التحلل والفساد الخلقي، وكذا المجالات والدوريات التنصيرية التي تبلغ ٣٠١٠٠ مجلة دورية، ومحطات الإذاعة والتلفزيون التي يبلغ عددها ٣٢٠٠ محطة وبلغ عدد أجهزة الكمبيوتر في خدمة التنصير ٢٠٦٩٦١٠٠٠ جهاز وعدد المنصرين العاملين خارج أوطانهم ٣٩٨٠٠٠ منصر، وعدد المنظمات التي تبعث بمنصرين ٢٣٢٠٠ منظمة^(٥٠)

وصدق الله العظيم (ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَغْلِبُونَ) (الأنفال/٣٦)

وما ذكرته عن إتفاق أهل الباطل وبذلهم هو قطرة من بحر، وغيض من فيض، والآن ليسأل المسلمون أنفسهم هذا السؤال: هل أنفق المسلمون لنشر الحق والنور مثلما أنفق الكافرون لنشر الباطل والزور؟ وهل خططوا كما يخطط الكافرون؟

حيثما تكون الإجابة بالإثبات سيكون الحال غير الحال

بل أكثر من ذلك هناك إنفاق ما هو أغلى من الذهب والورق هناك تحمل الألم وبذل الروح من أجل الباطل وصدق الله إذ يقول:

(وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (النساء/١٠٤))

وهذه وقعة اليرموك نصر الله فيها الحق وأهله ودحر الشرك وأهله يقول ابن كثير: وتجلل القيقلان وأشرف من قومه من الروم بيرانسهم وقالوا: إذا لم نقدر على نصر دين النصرانية فلنمت على دينهم، فجاء المسلمون فتلوهم عن آخرهم^(٥١)

(٥٠) مجلة البيان العدد ١٥٣ جمادي الأولى ص ١٤٢١ هـ أغسطس ٢٠٠٠م
(٥١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١٣ ط دار الكتب العلمية بدون



ومن نماذج الإصرار على نشر العقيدة النصرانية: ذلك النموذج لفتاة ألمانية تدعو إلى عقيدتها النصرانية في ألمانيا بإصرار عجيب، وتصميم لا يعرف الفتور، تطرق الباب على شاب مسلم في ألمانيا في السادسة صباحاً، فلما علم أن غرضها دعوته إلى عقيدتها بين لها أنه مسلم .

وأنه ليس في حاجة إلى أن يسمع منها فطلت تجادلها، وتلح عليه أن يمنحها ولو دقائق من أجل المسيح، فلما رأى إصرارها أوصد الباب في وجهها، ولكنها أصرت على تبليغ عقيدتها وتغريه، باعتناق دينها^(٥٢)، إنه جلد أصحاب الباطل وأهل الضلال، وإنه التفاني من أجل بلوغ الهدف، إنهم يعلمون أن من داوم على طرق الباب فتح له.

وثمة نموذج آخر على الإصرار والتفاني في العمل والسهر والبذل يريك كيف يعمل أرباب الضلال لينشر باطلهم وتقوى شوكتهم، وهو نموذج أهدف من إبرازه بث الحماسة في قلوب العاملين للإسلام فليس أهل الباطل أولى منهم بالعمل والإصرار ولليك القصة (أرسلت الدولة اليابانية في بدء حضارتها بعوثاً دراسية إلى ألمانيا كما بعثت الأمة العربية بعوثاً، ورجعت بعوث اليابان لتحضر أمتها ورجعت بعوثنا خالية الوفاض فما هو السر؟

لنقرأ هذه القصة حتى نتعرف على الإجابة

يقول الطالب (أوساهير) الذي بعثته حكومته للدراسة في ألمانيا.

لو أنني اتبعت نصائح أستاذي الألماني الذي ذهبت لأدرس عليه في (جامعة هامبورج) لما وصلت إلى شيء، وكانت حكومتي أرسلتني لأدرس أصول الميكانيكا العلمية، وكنت أحلم أن أتعلم كيف أصنع صغيراً؟ كنت أعرف أن كل صناعة وضعت يدك على سر هذه الصناعة كلها، وبدلاً من أن يأخذني الأساتذة إلى معمل أو مركز تدريب عملي أخذوا يعطونني كتباً لأقرأها، وقرأت حتى عرفت نظرية الميكانيكا كلها، ولكنني ظللت أمام المحرك أياً كانت قوته وكأنني أقف أمام لغز لا يحل.

(٥٢) علو الهمة د/ محمد بن إسماعيل ص ٢٩٦



وفي ذات يوم قرأت عن معرض محركات إيطاليا الصنع كان ذلك أو شهر، وكان معي راتبي، ووجدت في المعرض محركاً قوة حصانين ثمنه يعادل مرتبي كله، فأخرجت الراتب ودفعته وحملت المحرك وكان ثقيلًا جداً وذهبت إلى حجرتي، ووضعتة على المنضدة، وجعلت أنظر إليه وكأنني أنظر إلى تاج من الجواهر، وقلت لنفسني هذا هو سر قوة أوربا لو أصنع محركاً كهذا لغيرت تاريخ اليابان، وطاف بذهني خاطر يقول: إن هذا المحرك يتألف من قطع ذات أشكال وطبائع شتى: مغناطيس كحدوة الحصان، وأسلاك وأذرع رافعة. وعجلات وتروس وما إلى ذلك لو أنني استطعت أن أفك قطع المحرك وأعيد تركيبها بالطريقة نفسها التي ركبوها بها، ثم شغلته فاشتغل أكون قد خطوت خطوة نحو سر (موديل) الصناعة الأوربية .

وبحثت في رفوف الكتب التي عندي حتى عثرت على الرسوم الخاصة بالمحركات، وأخذت ورقاً كثيراً وأتيت بصندوق أدوات العمل ومضيت أعمل، رسمت المحرك بعد أن رفعت الغطاء الذي يحمل أجزائه، ثم جعلت أفككه قطعة قطعة وكلما فككت قطعة رسمتها على الورق بغاية الدقة وأعطيتها رقماً، وشيئاً فشيئاً فككته كله، ثم أعدت تركيبه، وشغلته فاشتغل وكاد قلبي يقف من الفرح، واستغرقت العملية ثلاثة أيام كنت أكل في اليوم وجبة واحدة، وأصيب من النوم ما يمكنني من مواصلة العمل وحملت النبا إلى رئيس بعثتنا فقال. حسناً ما فعلت الآن لا بد أن اختبرك سأتيك بمحرك متعطل وعليك أن تفككه، وتكشف موضوع الخطأ، وتصححه وتجعل هذا المحرك العاطلة يعمل، وكلفتني هذه العملية عشرة أيام عرفت أثناءها موضوع الخلل، فقد كانت ثلاثة من قطع المحرك بالية متآكلة صنعت غيرها بيدي صنعتها بالمطرقة والمبرد.

بعد ذلك قال رئيس البعثة الذي كان يتولى قيادتي روحياً: عليك الآن أن تصنع القطع بنفسك ثم تركيبها محركاً ولكي أستطيع أن أفعل ذلك التحقت بمصانع صهر الحديد وصهر النحاس والألومنيوم بدلاً من أن أعد رسالة الدكتوراة كما أراد مني أساتذتي الألمان تحولت إلى عامل ألبس بدلة زرقاء،



وأقف صاغراً إلى جانب عامل صهر المعادن، وكنت أطيع أوامره كأنه سيد عظيم حتى كنت أخدمه وقت الأكل مع أنني من أسرة (ساموراي) ولكنني كنت أخدم اليابان، وفي سبيل اليابان يهون كل شيء قضيت هذه الدراسات والتدريبات ثماني سنوات كنت أعمل خلالها ما بين عشر وخمس عشر ساعة في اليوم، وبعد انتهاء يوم العمل كنت أخذ نوبة حراسة .

وخلال الليل كنت أراجع قواعد كل صناعة على الطبيعة وعلم (الميكادو) الحاكم الياباني بأمرني فأرسل إلى من ماله الخاص خمسة آلاف جنيه إنجليزي ذهب، اشترت بها أدوات مصنع محركات كاملة، وأدوات وآلات، وعندما أردت شحنها إلى اليابان كانت النقود قد فرغت، فوضعت راتبي وكل ما أذخره، وعندما وصلت إلى ناجازاكي قيل لي: إن الميكادو يريد أن يراك قلت: لن أستطيع مقابلته إلا بعد أن أنشئ مصنع محركات كاملاً، استغرق ذلك تسع سنوات، وفي يوم من الأيام حملت مع مساعدتي عشرة محركات (صنع في اليابان) قطعة قطعة حملتها إلى القصر، ودخل (الميكادو) وانحنينا تحية وابتسم وقال: هذه أعذب موسيقا سمعتها في حياتي: صوت محركات يابانية خالصة هكذا ملكنا الموديل وهو سر قوة الغرب، نقلناه إلى اليابان، نقلنا قوة أوربا إلى اليابان ونقلنا اليابان إلى الغرب^(٥٣)

هذه قصة الكفاح والصبر والعمل الدؤوب المتواصل لسنوات طويلة، وبذل الراحة والمال والجهد، وتحمل الأذى وتجرع غصص الهوان، ونسيان النفس والأهل في سبيل العلم والتقديم والغلبة والظهور والتحرر من سيطرة الغرب الملحد الكافر.

وهنا يبرز دور التربية القرآنية للأمة المسلمة التي يجب عليها أن تبذل وتعمل ليكون الدين كله لله، والمفترض أن أمتنا المسلمة في جهاد دائم لا ينقطع لتحقيق كلمة الله في الأرض.



يقول الأستاذ / سيد قطب رحمة الله:

والمسلمون إذن مكلفون بتبعات إنسانية تجاه هذه البشرية بحكم وصايتهم هذه عليها ووصاية كتابهم على كتابها، هم مكلفون وقد جاءت هذه الأمة وسطاً عدلاً بين طرفي التفریط والإفراط في كل اتجاهات الحياة، كما ترسم لها حدود هذا الدين ومبادئه.. فكان عليها أن تنهض بهذا العبء وألا تتكل عنه لأنه نصيبها المقدور لها في الحياة من خالص الحياة

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)
(البقرة/ ١٤٣)

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ
بِالله) (آل عمران ١١٠)

ولا يصدن العاملين للإسلام تفشي الفساد وعمومه وقوة أعاصيره، فهكذا الفساد كثير وأهله كذلك يقول الأستاذ/ محمد أحمد الراشد:

ورغم الفساد فإن الداعية المسلم لن يتخلى عن محاولة انتشار العباد، وإن كان وساوس ألياس من الإصلاح لن تلبس أن تتبدد أمام لحظة انتباه إيماني تريه مكانته المتوسطة لموكب الإيمان السائر، أخذ عن السلف ولا بد أن يسوق له قدر الله خلقاً يتسلم الأمانة منه، ذلك وعد الله، وإنه لموكب لن ينقطع أبداً مضى به القول على لسان النبي - صلى الله عليه وسلم - حين قال فيما روي مسلم في صحيحه عن ثوبان قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم :-

(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) (٥٤)

(٥٤) مسلم (كتاب) الإمارة (باب) لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ح ١٩٢٤ ج ٣ ص ١٥٣٤



وفي سورة العصر كفاية

بل إنه لا منجاة لتلك الأمة من الخسران إلا بالسعي الحثيث، والحركة الوثابة لرد الشاردين الحائرين إلى درب الله القويم، واستخلاصهم من بين براثن الفتنة، وفي سورة العصر كفاية قال تعالى: (وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) . (العصر / ١-٣))

فالخسران محقق بالبشرية كلها، يحيط بها من كل جانب كما يحيط السوار بالمعصم، ما أن يحاول الإنسان التقلت حتى يحيط الخسران به، ويهوله من كل باب، ولكن الله رحمة منه بعباده فتح لهم بابا ينفذ منه من رام النجاة، باب هو بمثابة كوة في جدار من نفذ منه أفلح وهذا الباب هو باب الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والصبر.

فإن رامت الأمة المسلمة النجاة والفلاح آمنت، ودعت الناس للإيمان، وتواصت بالحق والصبر الذي هو زاد الطريق، والتواصي بالصبر ؛ لأن سنة الابتلاء ماضية لا تتخلف ولا تتبدل، والطريق شائك والمعثر كثيرة والدرب مضرج بالدماء، فلا بد من التواصي على العمل والبذل لحمل الرسالة والنهوض بالأمانة الكبرى، ولابد من التكاتف والتضامن والوعي الذي تلمحه في لفظ التواصي.

يقول صاحب الظلال - رحمه الله - : فمن خلال لفظ التواصي ومعناه وحقيقته تبرز صورة الأمة -أو الجماعة- المتضامنة المتضامنة، الأمة الخيرة الواعية القيمة في الأرض على الحق والعدل والخير، وهي أعلى وأنصع صورة للأمة المختارة، وهكذا يريد الإسلام أمة الإسلام، وهكذا يريد أمة خيرة قوية واعية قائمة على حراسة الحق والخير،

متواصية بالحق والصبر في مودة وتعاون وتأخ تتضح بها كلمة التواصي في القرآن: والتواصي بالحق ضرورة، فالنهوض بالحق عسير،





والمعوقات عن الحق كثيرة :

- هوى النفس .
- ومنطق المصلحة .
- وتصورات البيئة .
- وطغيان الطغاة .
- وظلم الظلمة .
- وجور الجائرين .

والتواصي تذكير وتشجيع ولشعار بالقربى في الهدف والغاية، والأخوة في العبء والأمانة، فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية، إذ تتفاعل معاً فتتضاعف وتتضامن بإحساس كل حارس للحق أن معه غيره يوصيه، ويشجعه، ويقف معه، ويحبه ولا يخذله، وهذا الدين هو الحق -

لا يقوم إلا في حراسة جماعة متعاونة متواصية متكافلة على هذا المثال والتواصي بالصبر كذلك ضرورة، فالقيام على الإيمان والعمل الصالح وحراسة الحق والعدل من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة، ولا بد من الصبر لا بد من الصبر على جهاد النفس وجهاد الغير، والصبر على الأذى والمشقة، والصبر على تبجح الباطل، وتتفخ الشر والصبر على طول الطريق، وبطء المراحل، وانطماس المعالم، وبعد النهاية، والتواصي بالصبر يضاعف المقدرة بما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف، ووحدة المتجه، وتساعد الجميع وتزودهم بالحب والعزم والإصرار إلى آخر ما يثيره من معاني الجماعة التي لا تعيش حقيقة الإسلام إلا في جوها، ولا تبرز إلا من خلالها، ولا فهو الخسران والضياع^(٥٥).



وقد أجاد ابن القيم -رحمه الله- وأفاد في تعليقه على سورة العصر حيث قال:

فأقسم - سبحانه وتعالى- بالدهر الذي هو زمن الأعمال الرابحة والخاسرة على أن كل واحد في خسر إلا من كمل قوته العلمية بالإيمان بالله، وقوته العملية بالعمل بطاعته، فهذا كماله في نفسه، ثم كمل غيره بوصيته له بذلك، وأمره إياه به، وبملاك ذلك وهو الصبر فكمل نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، وكمل غيره بتعليمه إياه ذلك ووصيته له بالصبر عليه ولهذا قال الشافعي رحمه الله: لو فكر الناس في سورة العصر لكفتهم^(٥٦)

ويقول رحمه الله- في موضع آخر: فالله -سبحانه- لم يكتف منهم بمعرفة الحق والصبر عليه، حتى يوصي بعضهم بعضا ويرشده إليه، ويحثه عليه فإذا كان من عدا فهو من الخاسرين^(٥٧)

والمعنى أن من لم يتعلم الحق ويعمل به، ويعلمه للناس ويدعوهم إليه، ويحضهم عليه ويوصيهم بالصبر عليه فلا نجاة له بل هو من الخاسرين.

غلام يموت ليحيا التوحيد

إذا كانت سورة العصر فيها كفاية ففي قصة غلام الأخدود آية، فيه قصة يقف المسلم أمامها يغشاه الخجل، ينكس من الحياء رأسه، فنحن رجال وهذا غلام بكل ما تحمله الكلمة من معاني الضعف البدني والفكري والقلبي كذلك، وهو غلام في مواجهة طاغية عات متجبر يدعي لنفسه الألوهية، يتهده بالعذاب، ويرهبه بزيانته وكلابه المسعورة ويعدده بالزلفى وحسن المآب لو رجع عن طريقه، ونكل عن مراده، فلا العذاب الأليم المحقق به من كل حذب يثنيه ويرهبه، ولا القربى بعلوها ونعيمها تثنيه وتغريه وتجذبه.

إن نصرة التوحيد، ونشر الحق، وهداية الناس كانت مطلبه، واستعلى الغلام على الفتن فتنة العذاب، وفتنة النعيم، فتنة الحياة الدنيا وزهرتها.

^(٥٦) إغائة اللهفان/ للعلامة ابن القيم ١/ص ٣٢

^(٥٧) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم/ ص ٧٣

أهداف التربية القرآنية

ولنما استعلى بالإيمان بالله تعالى وشعر الغلام الحدث بالمسئولية، وأحس بها، وليس في الأرض مسلم سواه، ورغم لين عوده، وضعف صلبه حمل التبعة، وبلغ أشده، وباع لله نفسه، ونقى عقيدته، ورد الأمر كله لله، وربط الله سبحانه - على قلبه، لما قتل الطاغية جليسه الذي برأ من العمى فأسلم .

وقتل الراهب أمامه ؛ ليرغبه ويرهبه ، فثبت ولم يفر

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة	تقوم مقام النصر إن فاته النصر
قد كان فوت الموت سهلاً فردّه	إليه الحفاظ المر والخلق الوعر
أثبت في مستنقع الموت رجله	وقال لها من تحت أخمصك الحشر
ما مات حتى مات مضرب سيفه	من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
تردي ثياب الموت حمرا فما دجى	لها الليل إلا وهي من سندسي خضر ^(٥٨)

وقد كان العقل ينصحه في ذلك الموقف بالفرار على الأقل، وقد نجاه الله مرتين من الموت وفي كل مرة يعود يثبت للملك عجزه وبشريته، أو يقبل الزلفي والكراسي العالية التي تباع لأجلها القيم والمبادئ والعقائد، وكل شئ عند عبيد المناصب ومحبي الحياة، لكنه ضحى بمهجته، وقدم موته ثمنا ليحيا التوحيد. ولما عجز الملك عن قتله، فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: وما هو؟

قال : تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: بسم الله رب العالم، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنني فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوق السهم في صدغة، فوضع يده في صدغة في موضع السهم، فمات فقال الناس: آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام...^(٥٩)

^(٥٨) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ط ١ - دار المعارف - بدون - ج ٢ - ص ٤٠
^(٥٩) جزء من حديث طويل رواه مسلم عن صهيب الرومي / شرح صحيح مسلم للنووي - ج ١٨ - ص ٤٢٠ برقم ٣٠٠٥



وهكذا تنمو شجرة التوحيد، وتترعرع ولا ترتوي إلا بدماء الشهداء، وهكذا لن يكون توحيد الله في أرضه إلا بتضحية وبذل وثبات، ولقد ظن الملك الطاغية كظن جميع الطغاة أن قتل أصحاب الدعوات قتل للدعوات، ولم يعملوا أن قتل أصحاب الدعوات حياة لدعواتهم وسبحان الله فهذا الغلام هو الذي لم يتحمل التعذيب ودل على الراهب واعترف أنه معلمه هو نفسه الذي يقدم اليوم على الموت طائعا مختاراً، بل ويساعد خصمه على نفسه، ويعطيه السهم من كنانته، ويدله على الطريقة الوحيدة في اعتقاده - التي يمكن أن يموت بها - ولعلك تسأل لماذا أقدم الغلام على الموت؟ والجواب لأنه الطريقة التي ينتشر بها التوحيد، ويهتدي الناس بها، ويعبدون الله - وحده - لا شريك له، ولو لم يقضي بذلك العقل، لهذا أقدم الغلام على الموت مخلصاً لله وهذا ما يملكه، وعلى الله أن يتم القصد، ويسدد الخطأ، وكان ذلك على الفور فلم يكذب يقتل الغلام حتى آمن الناس بربه الذي مات في سبيله، وانتصرت مقاييس السماء على مقاييس العقل وإنه لمثل قرآني كريم فريد، يعلمه القرآن للمسلمين، ويضعه أمامهم ليتأملوه، وليقتدوا به وليثبتوا كما ثبت أصحاب الأخدود .

إنه مثل رائع على استعلاء الإيمان على الفتن إن مؤمني الأخدود هم الأساتذة الذين علموا بلالاً وصهيباً وعماراً وسلمان، ولا زالوا يعلموننا نحن أحفاد هؤلاء المؤمنين كيف يكون الصبر عند البلاء؟، وكيف تكون التضحية بأعز ما يملك الإنسان في سبيل عقيدته، إنني لأتصور الأرض وقد خربت، والنيران قد أضرمت، والمؤمنين وقد وقف كل واحد منهم ينتظر دوره ليكون وقوداً لهذه الدعوة حتى لا يتعطل مدها، وحتى تستمر في انطلاقها إلى أبد الآبدين، إن المؤمنين عندما يتصورون ذلك كله يتبدد ظلام السجون، وتزول وحشة الغربة وتتضاءل فنون التعذيب التي يبتكرها مدعو الألوهية في عصورهم المختلفة والمتباعدة...

وإن المؤمنين اليوم ليعيشون على أمجاد مؤمني الأخدود ومن ماثلهم من المؤمنين يعتزون بهم في محنتهم، ويتصبرون في فتنهم، فما نزلت بالمؤمنين نازلة في هذه الحياة إلا وجدوا سلوتهم في مؤمني الأخدود .





وما امتدت يد الظلم والطغيان إلى المؤمنين تقتل وتشرد وتعذب وتضطهدهم إلا اتخذوا أسوتهم مؤمني الأخدود.

فنحن في صلاتنا مع مؤمني الأخدود خاشعين أمام هذا الإيمان متضائلين إزاء تلك التضحية ونحن في ذكرنا مع مؤمني الأخدود نتقرب إلى الله بذكرهم، ونتفياً ظلال رحمته بتلاوة قصتهم ونحن في محنتنا مع مؤمني الأخدود تتأسى بصبرهم، وتفتدى بثباتهم، ونحن في سرائنا مع مؤمني الأخدود نستمد منهم عزيمتنا، ونستوحي همتنا ليكونا عوناً لنا في ضرائنا أبعد هذا كله يقول قائل: إن مؤمني الأخدود قد بادوا وبادت دعوتهم إلى الأبد؟ وهل هناك حياة يختارها عاقل لنفسه أفضل وأشرف من هذه الحياة الخالدة؟

إن مؤمني الأخدود لو عقدوا أطول اجتماع على أرفع مستوى، وخططوا لنصرة دعوتهم وتخليدها على أعلى مستوى للعقل البشري والتفكير الإنساني لما قدر لهم أن يحرزوا عشر هذا النصر الذي توجت به هاماتهم عندما قاموا بحق دعوتهم في مواجهة الطغيان غير عابئين بما توحى به المقاييس المادية في مثل هذا الموقف الرهيب. فإلى المؤمنين الصامدين في ميدان النضال من أجل إعلاء كلمة الله، إلى الدعاة الصامدين بالحق من أجل نصر دين الله، إلى الأبطال المجاهدين الباطل في عزة وإباء ابتغاء مرضاة الله، إلى الرابضين في سجونهم معتصمين بحبل الله، إلى الفئة المؤمنة التي لم ينقم منها عدوها إلا إيمانها بالله، إلى هؤلاء جميعاً أتوجه بنصيحتي أملاً يقوموا بالواجب، ولا يخضعوا للمقاييس المادية التي ثبت فشلها، ولا ترهبكم صولة الباطل فدولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة^(١٠) بل إن المسلم الصادق ليضحى بكل ما يملك من أجل عقيدته التي آمن بها

وبيذل من أجلها كل عزيز عليه حتى مهجته أغلى ما يملك ابتغاء ما عند الله من الأجر والثوبة.



(١٠) هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه/ د. محمد سيد الوكيل/ ص ٢٤-٢٧



أهداف التربية القرآنية

إن القيمة الكبرى في ميزان الله هي قيمة العقيدة، وإن السلعة الراححة في ميزان الله هي سلعة الإيمان، وإن النصر في أرفع صورة هو انتصار الروح على المادة، وانتصار العقيدة على الألم، وانتصار الإيمان على الفتنة، وفي هذا الحادث، انتصرت أرواح المؤمنين على الخوف والألم، وانتصرت على جواذب الأرض والحياة، وانتصرت على الفتنة انتصارا يشرف الجنس البشري كله في جميع الأعصار، وهذا هو الانتصار.

إن الناس جميعاً يموتون أو تختلف الأسباب، ولكن الناس جميعاً لا ينتصرون هذا الانتصار ولا يرتفعون هذا الارتفاع، ولا يتحررون هذا التحرر، ولا ينطلقون هذا الانطلاق إلى هذه الآفاق، إنما هو اختيار الله وتكريمه لفئة كريمة من عباده ؛ لتشارك الناس في الموت وتنفرد دون الناس في المجد: المجد في الملاء الأعلى وفي دنيا الناس أيضاً إذا نحن وضعنا في الحساب نظرة الأجيال بعد الأجيال.

لقد كان في استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحايتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم، ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم؟ وكم كانت البشرية كلها تخسر؟

كما كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير: معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد؟ إنه معنى كريم جداً، ومعنى كبير جداً هذا الذي ربحوه وهم بعد في الأرض، ربحوه وهم يجدون مس النار فتحترق أجسادهم الفانية، وينتصر هذا المعنى الكريم الذي تركته النار^(٦١).

ليس الدين إذن تهوية روح خالصة، وليس طقوساً معتادة وترانيم يتغنى بها، بل هو البذل والفداء والحركة والجهاد، بهذا تثمر شجرة الدعوة وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها بهذا تمتد جذورها ثابتة في أعماق الأرض، ويغدو فرعها في السماء.

(٦١) معالم في الطريق: سيد قطب دار الشروق بدون ص ١٩١ - ١٩٢



أهداف التربية القرآنية

وليس الإسلام انقطاعاً عن حركة الحياة وانعزالاً عن معتزكها الساخن، وليس رهبانية مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان، بل إن ميدان الإسلام هو حياة الناس بكل ما فيها وهذا الإمام الشافعي يجلي لنا جوهر الإسلام وحقيقته، ويعلمنا -رحمه الله- أن الصلاح كله في الحركة والتجول لنشر الدين، وأن الفساد في الكمون والخمود، ويضرب لذلك مثل الماء الجاري، والماء الراكد، فالماء الجاري صالح لا يعتريه فساد ولا تتخلله الآفات، والماء الراكد فاسد ومقر الآفات، وكذلك الأسد قد تهلك إن لم تبحث عن فريستها بحثاً متحركاً.

وكذلك السهام لا تصيب الهدف لولا تحركها من الكنانة إلى القسي، ومنها إلى الهدف فيقول رحمه الله:

إن ساحتاب وإن لم يجر لم يطب	إنني رأيت وقوف الماء يفسده
والسهم لولا فراق القوس لم يصب	والأسد لولا فراق الأرض ما افترست
لملها الناس من عجم ومن عرب	والشمس لو وقفت في الأفق دائمة

وهذا وليد الأعظمي الشاعر الإسلامي يهيب بالداعية أن يتحرك ويحرك الآخرين مبتدئاً بعشيرته الأقربين فيقول :

كن مشعلا في جنح ليل حالك	يهدي الأنام إلى الهدى ويبين
وانشط لدينك لا تكن متكاسلا	واعمل على تحريك ما هو ساكن
وابداً بأهلك إن دعوت فإنهم	أولى الورى بالنصح منك وأقمن
والله يأمر بالعشيرة أولاً	والأمر من بعد العشيرة





الحركة إذن سمة الإسلام، والحد الفصل بين عهد الرخاوة وعهد الجد وحمل الأمانة أمانة هداية البشرية المعذبة بضلالها وتعبيدها لله ربها، نحن نعيش اليوم عصر الحركة والسرعة وقد ودعت البشرية من زمن بعيد عصر الدعة والسكون، ولما يودعه المسلمون بعد فماذا ينتظرون؟!

أن يسبقهم القاصي والداني، ويضحك عليهم الرائح والغادي ما هكذا صاغ القرآن رجالاته، بل صاغ رجالا جفوا المضاجع بلا تراخ أو كلاله، رجالا علموا أنه لا راحة إلا في الجنة دار السلام وراحة البال، وصدق الله إذ يقول: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) (الإنشقاق/ ٦)

وقد كان رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم - يسيحون في البوادي يبلغون الأعراب كلمة الإسلام، ويبشرون به وقد روى مسلم في صحيحه أن أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم - قال: يا محمد : أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك.... (٦٢)

والحديث يدل على تحرك رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم - يدعون الناس إلى الإسلام.

فالأعرابي ما جاء إلى المدينة من نفسه بل بعدما جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم - يدعوه إلى الإسلام والتوحيد وهكذا يكون العاملون للإسلام، يتحركون، ويفشون الناس في مجالسهم ومساجدهم وما أكثر المساجد التي أقفرت من داعية يعلم الناس العقيدة الصحيحة التي جهلها كثير من الناس ويعلمهم الولاء والبراء الذي يحرص أعداؤنا وأذيانهم على طمس معالمه حتى ينشأ جيل من أبناء المسلمين يحبون اليهود والنصارى ويرونهم إخوة في الوطن، وإخوة في الإنسانية، فعلى الدعاة أن يتحركوا ويتبعوا ويجوبوا الأرض، ويعمروا المساجد بدروس العلم، بل ويحرروا المساجد من استعمار أدعياء العلم الذين يزيفون الحقائق، ويدسون السم في العسل، وقد أحسن من قال: بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى.

(٦٢) مسلم (كتاب) الإيمان (باب) السؤال عن أركان الإسلام ج ١٢ ص ٤١.



وهذا رسول الله ﷺ يدور على الناس ويغشاهم في المجالس، ويعرض نفسه ودعوته عليهم وينادي في موسم الحج طالبا ناصرا ينصره حتى يبلغ كلمة الله.

هذا هو الإسلام الحي لا الإسلام الميت المنعزل عن واقع الناس: فرائض ونوافل وذكر واستغفار وعقيدة وشريعة وعبادات ومعاملات وجهاد، وهذا هو الإسلام مصحف وسيف دعاة يحملونها، وهذا هو السر في إنزال الحديد بعد إنزال الكتاب والميزان فلن يبلغ الكتاب للناس ويقيمهم عليه ما لم يكن معه حديد يحميه. قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ). (الحديد: ٢٥)

فلن ينتشر الكتاب والحق، ولن يقوم الميزان في الناس، ولن ينصر دين الله ورسول الله بلا قوة حديدية ترد مكر الماكرين، وتفسح الطريق للعاملين، والله در الدكتور/حسان تحتوت بارك الله فيه فقد جمع بلاغة الدعاة وأعطى كلمة الفصل قال:

حسبوا أن الدين عزلة راهب	واستمرأوا الأوراد والأنكار
عجبا أراهم يؤمنون ببعضه	وأرى القلوب بعضه كفارا
والدين كان ولا يزال فرائضا	ونوافلا لله واستغفارا
والدين حكم باسم ربك قائم	بالعدل لا جورا ولا استهتارا ^(٦٣)

إن من كمل إيمانه بالله صار دالاً عليه لأنه ذاق حلاوة الإيمان فأحب لغيره من الناس أن يذوق ما ذاق، فليس المؤمن أنانياً، بل الإيثار سمته والجود صفته.

(٦٣) المنطق/ محمد أحمد الراشد ص ٩٠



أهداف التربية القرآنية

ما المسلم إلا شبكة تصيد الغارقين في بحور الدنيا، وتنتشلهم. ما المسلم إلا نور يتلأل كالقمر ليلة البدر يضيئ الطريق للسائرين، ويهدي الحائرين ويرد الشاردين إلى الطريق المستقيم والدرب القويم، هذا يربي القرآن أتباعه على حب العلم، بل على احتراف العمل من أجل الدين، من أجل إيقاظ المخمورين، ورد السادرين عن غيهم والأمة مسئولة أمام الله - بحكم قوامتها - عن هداية البشر، ولن تكون الأمة المسلمة شاهدة على الأمم يوم القيامة إلا إذا كانت هادية للأمم في الدنيا، فهذه بتلك، والمسلمون اليوم إذل أمة تتفوق في الحضيض الأوهد، ويسومهما أعداؤها سوء العذاب، ويسوقها الكفار كالأنعام؛ بسبب تخلف الأمة عن القيام برسالتها، وتفريطها في إقامة دين الله في الأرض عقيدة وشرعة، ولكن المسلمين يحملون مسئوليتهم مع ذلك، مسئوليتهم نحو أنفسهم، ومسئوليتهم نحو البشرية، ولا يعفيهم منه كل ما وقعوا فيه من الهوان والذلة، بل إن ذلك كله يضاعف مسئوليتهم، إنهم ما وقعوا فيه إلا لتفريطهم في هذا الدين الذي فيه ربنا

(فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤)). (الزخرف)

وأي وزر يتحملونه إذا احتاجت إليهم البشرية غدا فلم تجدهم في المكان الذي ينبغي أن يكونوا فيه؟ مكان الأمة التي تحمل الهدى الرباني وتبينه للناس فأما الله فلن يعجزه تخاذل الذين يحملون اسم الإسلام اليوم وهم غافلون عنه إذا أراد أن يهدي البشرية غدا إلى الدين الحق

فقد قال سبحانه يحذر المسلمين من قبل: (وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (محمد: ٣٨)





فإذا أراد الله للبشرية الهدى فسيفيض لهذا الدين من يحمله، ويدافع عنه كما قال سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) (المائدة: ٥٤) (٦٤)

فحب الله، وتقديم هواه على هوى النفس، وبالتواضع للمؤمنين وخفض الجناح، وبالشدة على الكافرين، وحمل السلاح والجهاد في سبيل الله وعدم المبالاة بالطغاة وأعداء الحق ينتصر المسلمون وينشر دين الله.

شبهة وجواب:-

شبهة قديمة ولدت ثم وئدت في مهدها، ولدت في أيام أعدت فيها سيوف الحق وثقفت وانسلت من أغمارها وطافت في كل مكان لا تجد فتنة أطلت برأسها إلا قطعت رأسها، وقد ولدت هذه الشبهة في عهد الصديق أبي بكر رضي الله عنه - فظن بعض الناس أن المسلمين إذا اهتدوا فلا يضرهم أن يضل غيرهم معتمدين على الفهم الظاهر لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) (المائدة/ ١٠٥)

قال شيخ الإسلام ابن تيم رحمة الله:- قوله تعالى (عليكم أنفسكم) لا يقتضى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا نهياً ولا إنذاراً كما في الحديث المشهور في السنة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه -

أنه خطب على منبر رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) (٦٥)

(٦٤) مذاهب فكرية معاصرة / محمد قطب ص ٦٥١
(٦٥) (صحيح) الترمذي في الفتن (باب) ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ح ٣٠٥٧ ج ٥ ص ٢٥٦ وأبو داود كتاب الملاحم باب الأمر والنهي ح ٤٣٣٨ ج ٤ ص ١٢٢ وصححه اللباني في صحيح الجامع برقم ١٩٧٤



أهداف التربية القرآنية

ثم قال -رحمه الله- بعد كلام طويل (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم). وإنما يتم الاهتداء إذا أطاع الله، وأدى الواجب من الأمر والنهي وغيرهما، وفي الآية فوائد عظيمة: -إحداهما: ألا يخاف المؤمن الكفار والمنافقين لأنهم لن يضروه إذا كان مهتديا الثانية: ألا يحزن عليهم، ولا يجزع عليهم فإن معاصيهم لا تضره إذا اهتدى، والحزن على ما لا يضر عبث، وهذان المعنيان مذكوران في قوله (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) (النحل ١٢٧)

الثالثة: ألا يركن إليهم، ولا يمد عينه إلى ما أوتوه من السلطان والمال والشهوات

كقوله: (لَا تَمُدَّنْ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) (الحجر: ٨٨)

فهناهم عن الحزن عليهم والرغبة فيما عندهم في أية، ونهاهم عن الحزن عليهم والرغبة في أية، فإن الإنسان قد يتألم عليهم ومنهم إما راغبا وأما راهبا.

الرابعة: ألا يتعدي على المعاصي زيادة عن المشروع في بغضهم أو ذمهم أو نهيمهم أو هجرتهم أو عقوبتهم، بل يقال لمن يتعدى عليهم: عليك نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت كما قال: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ) (المائدة: ٨)

وقال: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)

(البقرة: ١٩٠)

وقال: (فَإِنْ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) (البقرة: ١٩٣)





فإن كثيرا من الأمرين الناهين قد يتعدى حدود الله إما بجهل، ولما بظلم وهذا باب يجب التثبت فيه، وسواء في ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين. الخامسة: أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع من العلم والرفق والصبر وحسن القصد وسلوك السبيل القصد فإن ذلك داخل في قوله (عليكم أنفسكم) فهذه خمسة أوجه تستفاد من الآية لمن هو مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيها المعنى الآخر، وهو إقبال المرء على مصلحة نفسه علما وعملا وإعراضه عما لا يعنيه كما قال صاحب الشريعة: (من حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه)^(٦٦) ولا سيما كثرة الفضول الفضول فيجالس المرء من كانت إليه حاجة من أمر دين غيره ودنيا، لا سيما إن كان التكلم في حسد أو رئاسة^(٦٧)

ويقول صاحب الظلال رحمه الله تعليقا على هذه الآية:

إن هذه الآية الواحدة تقر مبادئ أساسية في طبيعة الأمة المسلمة وفي طبيعة علاقتها بالأمر الأخرى: إن الأمة المسلمة هي حزب الله ومن عداها من الأمم حزب الشيطان، ومن ثم لا يقوم بينها وبين الأمم الأخرى ولاء ولا تضامن، لأنه لا اشتراك في عقيدة ومن ثم لا اشتراك في هدف أو وسيلة، ولا اشتراك في تبعة أو جزاء، وعلى الأمة المسلمة أن تتضامن فيما بينها، وأن تتناصح وتتواصى، وأن تهتدى بهدى الله الذي جعل منها أمة مستقلة منفصلة عن الأمم غيرها ثم لا يضيرها بعد ذلك شيئا أن يضل الناس حولها ما دامت هي قائمة على الهدى، ولكن ليس معنى هذا أن تتخلى الأمة المسلمة عن تكاليفها في دعوة الناس كلهم إلى الهدى، والهدى هو دينها هي وشريعته ونظامها فإذا هي أقامت نظامها في الأرض بقى عليها أن تدعو الناس كافة، وأن تحاول هدايتهم وبقي عليها أن تبأشر القوامة كافة لتقيم العدل بينهم لتحول بينهم وبين الضلال والجاهلية التي منها أخرجها.

إن كون الأمة المسلمة مسئولة عن نفسها أمام الله لا يضرها من ضل إذا اهتدت لا يعني أنها غير محاسبة على التقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما بينها أولا، ثم في الأرض جميعا،

(٦٦) (صحيح) الترمذي (كتاب) الزهد ١١ (باب) ح ٢٣١٧ ج ٤ ص ٥٥٨ وابن ماجه (كتاب) الفتن (باب) كف اللسان في الفتنة ح ٣٩٧٦ ج ٢ ص ١٣١٥

(٦٧) (مجموع الفتاوى) شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ٤٧٩/١٤



وأول المعروف للإسلام الله، وتحكيم شريعته، وأول المنكر الجاهلية والاعتداء على سلطان الله وشريعته، وحكم الجاهلية هو الطاغوت، والطاغوت هو كل سلطان غير سلطان الله وحكمه، والأمة المسلمة قوامه على نفسها أولاً وعلى البشرية كلها أخيراً، وليس الغرض من بيان حدود التبعة في الآية كما فهم بعضهم قديماً وكما يمكن أن يفهم بعضهم حديثاً، وأن المؤمن الفرد غير مكلف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا اهتدى هو بذاته، وأن الأمة المسلمة غير مكلفة بإقامة شريعة الله في الأرض إذا هي اهتدت بذاتها وضل الناس من حولها.

إن هذه الآية لا تسقط عن الفرد ولا عن الأمة الفرض في كفاح الشر، ومقاومة الضلال ومحاربة الطغيان، وأطغى الطغيان الاعتداء على ألوهية الله، واغتصاب سلطانه، وتعبيد الناس لشريعة غير شريعته، وهو المنكر الذي لا ينفع الفرد ولا ينفع الأمة أن تهتدي وهذا المنكر قائم^(٦٨)

وعلى هذا فالآية حجة على أهل الشبهة وليست حجة لهم، والأمة لا يضرها من ضل إذا اهتدت، ولكنها لن تهتدي إلا بالأمر والنهي، ولن تهتدي إلا بدعوة الناس الدائمة إلى دين الله.

فإذا دعت الناس إلى الله، ومكنت لدينه وشريعته ثم ضل الناس بعد ذلك فإنه لا يضر الأمة ذلك ولن يضرها كذلك فتنة مهلكة تنزل بالناس لأن النجاة مكفولة لأهل الأمر والنهي الذين يبلغون رسالة الله، وينهون عن الفساد في الأرض

وصدق الله: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) (الأعراف: ١٦٥)..
وقال: (وَنَجِّنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (فصلت: ١٨)

(٦٨) في ظلال القرآن/ سيد قطب/ ج ٢ ص ٩٩٢



وأخيراً لا آخر إن رجال القرآن المربين في محاربيها، العاملين على هداية الناس رجال ينقطعون إلى هذه الدعوة، ويكرسون لها عملهم ومواهبهم وكفائتهم، ولا يطمعون في منصب أو جاه أو وظيفة أو حكومة، ولا يحملون لأحد، حقدا ينتفعون، ويعطون ولا يأخذون ولا يزاحمون طبقة في شئ تحرص عليه، وتتهالك حتى لا تكون حجة عليهم، ولا لشيطان سبيل إليهم، شعارهم الإخلاص والتجرد من الشهوات والأنانيات والعصبية.

وعلى المربين أن يعمقوا في نفوس الدعاة حملة الرسالة الشعور بالمسؤولية إزاء الرسالة وأهمية العمل الجماعي لا الفردي، وحذا لو أسست منظمات علمية دعوية تضطلع بالأمر، مع فقه الأخوة، وتوظيف في الله من أجل الإسلام، والتزام الأخوة في الله وفق شروطها ذلك لأن إحياء فقه الأخوة يساعد على نشر الإسلام في الأرض كلها، ومن المقرر أن التأخي في الله فرض لا يتم العمل للإسلام إلا به. يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي رحمة الله: وأخيراً لا آخر هو ما ترفضه طبيعة الإسلام وتاريخه المجيد، وتتضمنه الفطرة السليمة ونفسية الإنسان الدائمة والأوضاع السائدة هو: وجود حركة إيمانية دعوية إيجابية قوية في العالم الإسلامي تقتزن بصفات الرجولة والطموح وعلو الهمة وبعد النظر والقدرة على مواجهة الطاقات الرئيسية القائدة التي تملك زمام قيادة البشرية، وأصبحت تتحكم في مصائر الشعوب والأقطار الإسلامية من غير حق مبرر، وذلك بإيمان القائمين بهذه الحركة والدعوة القوى، وثقتهم بفضل الإسلام وحاجة البشرية إليه.

ويقترن نشاط هذه الحركة أو الدعوة الإسلامية بروح التضحية والبطولة والجلادة والتقصف والقدرة على المغامرات - إن كل لابد من - فإن الناس ما زالوا مفطورين على تقدير الإيمان القوى، والاعتزاز بالعقيدة والمبدأ وروح المخاطرة، وعلى الإجلال لشيء لا يجدونه عندهم^(٦٩)

لابد إذن من كوادر متسلحة بسلاح العلم والشجاعة، مع حب المغامرة والقدرة على المخاطرة إذا عزم الأمر، كوادر منظمة مترابطة متعاونة كخلية النحل لكل فرد فيها دوره يعرفه ويؤديه لا ينتظر إشارة من أحد ولا أمراً، يعلم أنه على ثغر لابد له من سده، ورحم الله سيدنا أستاذنا حين قال: إن البشرية اليوم في حاجة إلينا، في حاجة إلى عقيدتنا، وفي حاجة إلى مبادئنا، وفي حاجة إلى شريعتنا، وفي حاجة إلى نظامنا الاجتماعي الذي يكفل الكفاية لكل فرد، ويكفل الكرامة لكل إنسان،

(٦٩) ترشيد الصحو الإسلامية/ الشيخ أبو الحسن الندوي ص ٨٩- ٩٠ ط دار السلام بدون.



ويكفل سلام الضمير، وسلام البيت، وسلام المجتمع كما يكفل السلام الدولي العام.

ومن هذه الحاجة الإنسانية بعد عقيدتنا في الله نحن نستمد قوتنا وثباتنا على الدعوة إلى عقيدة الإسلام وشريعته ونظامه الاجتماعي الخاص، ونثبت بعون الله لو تخطفنا الشر والطغيان من كل مكان.

إن البشرية كلها في حاجة إلينا، ومن ثم تبدو جسامة الجريمة التي يرتكبها من يحاولون أن نذوب في أية حركة أو أية منظمة أو أي اتجاه في داخل الوطن الإسلامي أو خارجه على السواء، إن الذين يريدون لنا أن نذوب في حركة قومية أو كتلة دولية أو اتجاه عالمي على فرض أن هناك اتجاها عالميا إنهم يرتكبون جريمتهم في حق البشرية كلها قبل أن يرتكبوها في حق الإسلام أو الوطن الإسلامي، إن مهمتنا أن نتميز، وإن نحمل الشعلة للضالين في شعاب الأرض وفي متاهات الصحراء .

إن مهمتنا أن ننقذ البشرية من الحمأة الآسنة التي تنمرغ فيها اليوم لا أن تذوب معها في تلك الحمأة الآسنة، والله معنا والبشرية كلها ستعرف يوما أن نبوءة الله حق.

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (البقرة: ١٤٣) (٧٠)





أهداف التربية القرآنية

الفصل الثاني: تربية الفرد المسلم

فيما تهدف كل تربية إلى تربية مواطن صالح ينفع مجتمعه، ويحمله على كتفيه عاملاً منتجاً مدافعاً مجاهداً لأجل وطنه يتسع الهدف في التربية القرآنية، ويتعدى حدود الوطن حدود الأرض الضيقة، وحدود القوميات يتسع الهدف ليربي إنساناً صالحاً إنساناً يقود البشرية كلها ويأخذ بيديها إلى الله ربها، ويعمل القرآن على تربية إنسان صالح يتحرك وفق مبادئ ربانية ثابتة شاملة لا وفق قوانين بشرية ناقصة متناقضة متغيرة يثبت الواقع فشلها مع مطلع كل شمس.

يريد القرآن رجالاً صالحين حيثما كانوا لا يتقيد صلاحهم بأرضهم ووطنهم، فإذا خرجوا عنه قعدوا بكل صراط يوعدون ويصدون عن سبيل الله، ويفسدون كما هو الحال في الرجال الذين تربيتهم التربية الغربية .

حيث تربيتهم على تقديس الوطن، ورجال التربية القرآنية أفذاذ في كل شيء: في عبادتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وسلوكهم وعملهم وذكائهم وعملهم أو هم كوادٍ صالحة للسيادة والقيادة، قيادة البشرية جمعاء والعمل لصلاحها لتتهدى وفي سبيل هداية الناس يبذلون أغلى ما يملكون، يبذلون أموالهم وأوقاتهم، بل دماءهم وأرواحهم بحب ورضا، إنهم رجال عالميون متحررون من كل قيد يجذبهم إلى الأرض ويشدهم إليها، وإنك لتلمح صفة العالمية في الآيات المكية الأولى، والتي نزلت في مرحلة الاستضعاف وزمن الغربة حيث لا قوة ولا سند، ومع هذا يربيتهم القرآن على بعد النظر وعلى التطلع إلى خارج الجزيرة، التطلع إلى العالم كله، التطلع إلى صلاح البشرية كلها قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ).

(الأنبياء: ١٠٧)





والآية وإن كانت خطابا للنبي ﷺ فهي لا تخصه وحده بل تنتظم أتباعه والسائرين على دربه والمهتدين بهديه .

فهم كذلك أخرجهم الله ليكونوا رحمة للعالمين، ووصاة عليهم وقادة لهم يقول الأستاذ محمد قطب - نفع الله به -:

تلتقي مناهج التربية الأرضية على أن هدف التربية هو إعداد المواطن الصالح، وتختلف الأمم بعد ذلك في تصور هذا المواطن وتحديد صفاته، فقد يكون هو الجندي الشاكي السلاح المتأهب في كل لحظة للوثوب سواء للعدوان أو رد العدوان، وقد يكون هو الرجل الطيب المسالم الذي لا يحب الاعتداء على أحد ولا اعتداء أحد عليه، وقد يكون هو الناسك المتعبد الذي يهجر الحياة الدنيا وينصرف عن صراع الأرض الكريه، وقد يكون هو العاشق لوطنه المجنون بعنصريته وقد يكون وقد يكون..... تشترك كلها في شئ واحد: هو إعداد المواطن الصالح.

أما الإسلام فلا يحصر نفسه في تلك الحدود الضيقة، ولا يسعى لإعداد المواطن الصالح وإنما يسعى لتحقيق هدف أكبر وأشمل هو: إعداد الإنسان الصالح، الإنسان على إطلاقه بمعناه الإنساني الشامل، الإنسان بجوهره الكامن في أعماقه، الإنسان من حيث هو إنسان لا من حيث هو مواطن - ولا شك - من كل مفهوم التربية عند غير المسلمين^(٧١)

هذا هو الإنسان الذي يريده القرآن، ويربيه ويتعهد بريده إنساناً حراً طليقاً كالطائر متحرراً من كل قيود الأرض لا يأسره وطن، ولا تحده الأرض، ولا يقيدته جني ولا عرف ولا تقليد بل يتحرر من ذلك كله ليكون أسيراً لعقيدته لها يعمل، ومن أجلها يصول ويتحرك ويتعصب ويجاهد، وعليها يؤاخي ويوالي ويعادي، وتتبنق منها أخلاقه ومعاملاته مع كل الناس، إنسان يعلم محاولة تقييده بقومية أو جنس أو وطن محاولة أثيمة . وجريمة نكراء وحرب شعواء على عقيدته، وهي محاولة تهدف إلى تمزيق الأمة المسلمة وإضعافها لتكون لقمة سائغة وفريسة مستسلمة لأعدائها المتوحشين المتربصين.

(٧١) منهج التربية الإسلامية/ محمد قطب ط دار الشروق ص ١٣



يقول صاحب المعالم رحمه الله:

إننا دون شك نملك شيئاً جديداً جدة كاملة، شيئاً لا تعرفه البشرية، ولا تملك هي أن تنتجها ولكن هذا الجديد لابد أن يتمثل في واقع عملي، لابد أن نعيش به أمة وهذا يقتضي عملية بعث في الرقعة الإسلامية، هذا البعث الذي تنتج على مسافة بعيدة أو قريبة تسلم قيادة البشرية فكيف تبدأ عملية البعث الإسلامي؟ إنه لابد من طليعة تعزم هذه العزمة، وتمضي في الطريق تمضي في خضم الجاهلية الضاربة الأطناب في أرجاء الأرض جميعاً، وهي تزال نوعين من العزلة من جانب ونوعين من الاتصال في الجانب الآخر. بالجاهلية المحيطة^(٧٢)

وهذا البعث الذي تحتاجه الرقعة الإسلامية لا يقوم به إلا الإنسان الصالح الذي تربيته التربية القرآنية، ذلك الإنسان الذي يتجرد من المطامع، ويسمو على الأهواء، ويتخلق بأخلاق الإسلام الرفيعة يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي:

والأقطار الإسلامية اليوم بحاجة إلى فريق يتجرد من المطامع، ويخلص للدعوة، ويبتعد عن كل ما يوهم أن همه الدنيا والمادة والتغلب على الحكومة لنفسه أو عشيرته أو حزبه بحل العقد النفسية التي أحدثتها الثقافة الغربية أو أخطاء رجال الدين - أو سوء التفاهم أو قلة الدراسة، والابتعاد عن الإسلام وجوه بالمقابلات والمصادقات والمحادثات والمراسلات والرحلات، وبالأدب الإسلامي الصالح المؤثر، وبالروابط الشخصية، وبالنزاهة وعلو الأخلاق وقوة الشخصية والزهد في حطام الدنيا والعزوف عن الشهوات وتمثل أخلاق الأنبياء وخلفائهم، هذا هو الفريق الذي خدم الإسلام في كل عصر.

وليه يرجع الفضل في تغيير اتجاه دولة بني أمية، وظهور خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز ونجاحه، وقد أعيد هذا التاريخ في عصر الملك المغولي جلال الدين أكبر، وثار من أجل الإسلام،

(٧٢) معالم في الطريق طدار الشروق ص ١٢، ١٣



وصمم على تحويل هذه القارة الإسلامية الواسعة (الهند) - التي عاشت في الحكم الإسلامي أربعة قرون - جاهلية برهمية - وبفضل هذه الدعوى الحكيمة، وبظهور داعية إسلامي مجدد وشخصية إسلامية حكيمة أخلصت للإسلام، وأحسننت فقه الدعوة وبتأثير تلاميذه عاد الهند إلى الإسلام أقوى وأفضل^(٧٣)

فتربية الفرد المسلم تربية صحيحة ليس أمراً هيناً، فهذا داعية يغير وتلاميذه تاريخ الهند ويقف في وجه الفساد حتى عادت الهند إسلامية بعد أربعة قرون من الوثنية البرهمية التي انتصر لها الإمبراطور جلال الدين محمد أكبر الذي انقلب على الإسلام، وحارب شعائره. والإنسان الذي يربيه القرآن هو الذي يقوم بالعمل الصالح، والعمل الصالح هو علة الخلق والإيجاد، وهو مادة الابتلاء والاختيار في الحياة وهو كذلك مقياس النجاح في الآخرة. قال الله سبحانه: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (المك ٢)

ويقول سبحانه: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) (فاطر: ١٠)

يقول القرطبي رحمه الله:

فيه مسألتان: - الأولى: قوله: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) الكلام ثم يبتدي والعمل الصالح يرفعه على معنى يرفعه الله، أو يرفع صاحبه، ويجوز أن يكون المعنى: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب فيكون الكلام متصلاً وأنشدوا:

لا ترض من رجل حلاوة قوله	حتى يزين ما يقول فعال
فإذا وزنت فعاله بمقاله	فتوازننا فأخاء ذاك جمال



(٧٣) رسالة رده ولا أبو بكر لها (لأبي الحسن الندوي ط دار المختار الإسلامية بدون ص ١٧)



وقال ابن المقفع:

قول بلا عمل كثريد بلا دسم، وسحاب بلا مطر، وقوس بلا وتر وفيه قيل:

كل قول بلا فعال هباء
ونكاح بلا ولي سواء

ثم قال:

لا يكون المقال إلا بفعل
إن قولاً بلا فعال جميل

والظاهر أن العمل الصالح شرط في قبول القول الطيب، وقد جاء في الأثر: إن العبد إذا قال: لا إله إلا الله بنية صادقة صادقة نظرت الملائكة إلى عمله، فإن كان العمل موافقاً لقوله سعداً جميعاً، وإن كان عمله مخالفاً وقف قوله حتى يتوب من عمله. وعلى هذا فالعمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله^(٧٤)

وقال ابن كثير رحمه الله: قال إياس بن معاوية القاضي: لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام وقال الحسن وقتادة: لا يقبل قول إلا بعمل^(٧٥)

ومن أجل صلاح العمل لابد من نية وقصد حسن، فلا يبتغي العامل بعمله إلا وجه الله الكريم ولا ينتظر الأجر إلا منه، وكذا لا ينتظر حمداً ولا ثناء من الناس، فإن الإخلاص وحب الثناء لا يجتمعان في قلب أحد.

^(٧٤) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٤١٥٢ - ٤١٥٣ ط دار الفكر ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
^(٧٥) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٤٩



فإذا تمكن أحدهما من القلب ذهب الآخر، وكذا لابد للعمل من متابعة النبي ﷺ التي تدل على صدق الانتماء.

مفهوم العمل الصالح : والعمل الصالح هو الترجمة العملية والتطبيق الكامل للعلاقة بين إنسان التربية الإسلامية من ناحية، وبين كل من الخالق والكون والإنسان والحياة الآخر من ناحية أخرى، ومعلوم أن العلاقة بين الإنسان وربّه هي العبودية، وبين الإنسان والإنسان هي علاقة العدل والإحسان، وبين الإنسان والكون الذي يعيش فيه هي التسخير وبين الإنسان والحياة التي يعيش فيها هي الابتلاء، وبين الإنسان والحياة الأخرى هي علاقة المسؤولية والجزاء^(٧٦)

وعلى هذا فالعمل الصالح هو التطبيق العلمي للعلم النافع الذي يتعلمه المسلم، والعلم قائد العمل ولمامه وحادي ركبته، وهو كذلك ثمرة ذلك العلم النافع يقول ابن القيم رحمه الله: إن العلم إمام العمل وقائد له، والعمل تابع له ومؤتمر به، فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتد به فهو غير نافع لصاحبه بل مضرة عليه، كما قال بعض السلف : من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، والأعمال إنما تتفاوت في القبول والرد بحسب موافقتها للعلم ومخالفتها له، فالعمل الموافق للعلم هو المقبول، والمخالف له هو المردود فالعلم هو الميزان وهو المحك قال تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (الملك/٢). قال الفضيل بن عياض: هو أخلص العمل وأصوبه قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. وقال تعالى (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف: ١١٠)

(٧٦) أهداف التربية الإسلامية د/ ماجد عرسان الكيلاني ص ٤٤ ط الريان ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م



فهذا هو العمل المقبول الذي لا يقبل الله من العمل سواه، العمل الذي يراد به وجه الله ويوافق سنة رسول الله ﷺ، ولا يتمكن العبد من الإتيان بعمل يجمع هذين الوصفين إلا بالعلم فإنه إن لم يعلم ما جاء به النبي ﷺ لم يمكنه قصده، وإن لم يعلم معبوده لم يمكنه إرادته وحده، فلولو العلم لما كان عمله مقبولا، فالعلم هو دليل على الإخلاص، وهو الدليل على المتابعة وقد قال الله تعالى: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (المائدة: ٢٧).

وأحسن ما قيل في تفسير الآية: أنه إنما يتقبل الله عمل من اتقاه في ذلك العمل، وتقواه فيه أن يكون لوجهه على موافقة أمره وهذا إنما يحصل بالعلم.

ولذا كانت هذه منزلة العلم وموقعه عرف أنه أشرف شئ وأجله وأفضله^(٧٧)

فالعامل الصالح المقبول ما كان عن علم صحيح، وكان لوجه الله وابتغاء لمرضاته، وهو العمل الذي يعمل به صاحبه، ويبذل فيه ما وسعه البذل، وأعز أمانيه أن يقبله الله سبحانه وألا يرده، وهذا إبراهيم -عليه السلام- يبني ويرفع القواعد ويبذل بمساعدة ولده ودعاؤه: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة: ١٢٧). وقال تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَتَمَّ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) (المؤمنون: ٦٠)

قال ابن كثير في تفسيره للآية: أي يعطون العطاء وهم خائفون وجلون ألا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشرط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط.

كما قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مالك بن مغول حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة أنها: قالت يا رسول الله: الذين يؤتون ما آتوا وقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟

قال: لا يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلى ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل^(٧٨)

^(٧٧) مفتاح دار السعادة لابن القيم مكتب الإيمان بالمنصورة ط ص ١١٩
^(٧٨) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٤٨



ويرى شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله- أن الحسنات هي العمل الصالح فيقول رحمه الله والحسنات هي العمل الصالح، والعمل الصالح هو ما أمر الله به ورسوله من واجب ومستحب، والذي أمر الله به هو الذي شرعه الله، وهو الموافق لسنة رسول الله ﷺ فقد أخبر -سبحانه- أنه من أخلص قصده لله، وكان محسناً في عمله، فإنه مستحق للثواب سالم من العقاب^(٧٩)

وعلى هذا فالإنسان الصالح الذي تهدف التربية القرآنية إلى صياغته

هو أولاً: الإنسان اذي يخلص من أعماله كلها، ويتبع ولا يبتدع، وهو الإنسان الذي يمضي قدماً إلى الأمام ولا يلتفت إلى الوراء، بل يجعل إلى ربه يطلب رضاه ولا ينتظر ثناء من أحد ولا مدحاً يقول ابن القيم رحمه الله: لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة الثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار، والضرب والحوت، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص^(٨٠)

وهو ثانياً الإنسان الصالح المصلح الذي يصلح نفسه أولاً بالإيمان بالله - سبحانه - وبالعالم النافع والعمل الصالح، ثم يتعدى نفعه إلى الناس من عمل على تبليغهم الكمال الذي بلغه

وبأخذ العهد على نفسه أن يتعهدهم بالدعوة الدؤوبة، والإرشاد المستمر، والتذكير الذي لا ينقطع حتى يصلحهم، ويترقى بهم في مدارج الكمال، وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمرنا الله -سبحانه- أن نسأله الهداية إليه في كل ركعة يقول ابن القيم رحمه الله: إن السائر إلى الله والدار الآخرة بل كل سائر إلى مقصد لا يتم سيره، ولا يصل إلى مقصوده إلا بقوتين: قوة علمية وقوة علمية، فبالقوة العلمية يبصر منازل الطريق، ومواضع السلوك فيقصد سائراً فيها ويتجنب أسباب الهلاك ومواضع العطب وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصل،

^(٧٩) النبوات/ شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٢٦ - ١٢٧ ط دار القلم بيروت بدون
^(٨٠) الفوائد/ ابن القيم ص ١٩٨



فقوته العامية كنور عظيم بيده يمشي في ليلة مظلمة شديدة الظلمة، فهو يبصر بذلك النور ما يقع على الماشي في الظلمة في مثله من الوهاد والمتالف ويعتريه من الأحجار والشوك وغيره، وليبصر بذلك النور أيضاً أعلام الطريق وأدلتها المنصوبة عليها فلا يضل عنها

فيكشف له النور عن الأميين:- أعلام الطريق، ومعاطبها وبالقوة العملية يسير حقيقة، بل السير هو حقيقة القوة العملية، فإن السير هو عمل المسافر، وكذلك السائر إلى ربه إن أبصر الطريق وأعلامها، وأبصر المعائر والوهاد والطرق الناكبة عنها فقد حصل شطر السعادة والفلاح، وبقي عليه الشطر الآخر، وهو أن يضع عصاه على عاتقه ويشمر مسافراً في الطريق قاطعاً منازلها منزلة بعد منزلة فكلما قطع مرحلة استعد لقطع أخرى، واستشعر القرب من المنزل فهانت عليه مشقة السفر، كلما سكنت نفسه من كلال السير، ومواصلة الشد والرحيل، وعدّها قرب التلاقي وبرد العيش عند الوصول، فيحدث لها ذلك نشاطاً وفرحاً وهمة.

فهو يقول : يا نفس أبشري فقد قرب المنزل، ودنا التلاقي فلا تتقطعي في الطريق دون الوصول فيحال بينك وبين منازل الأحبة، فإن صبرت وواصلت السرى وصلت حميدة مسرورة جذلة.

وتلقّتك الأحبة بأنواع التحف والكرامات، وليس بينك وبين ذلك إلا صبر ساعة، فإن الدنيا كلها كساعة من ساعات الآخرة، وعمرك درج من درج تلك الساعة، فأنه الله لا تتقطعي في المنازل فهو والله الهلاك والعطب لو كنت تعلمين، فإن استصعبت عليه فليذكرها ما أمامها من أحبائها، وما لديهم من الإكرام والإنعام. وما خلفها من أعدائها، وما لديهم من الإهانة والعذاب وأنواع البلاء. فإذا رجعت فإلى أعدائها وما لديهم من الإهانة والعذاب وأنواع البلاء فإذا رجعت فإلى أعدائها رجوعها، وإن تقدمت فإلى أحبائها وصولها، وإن وقفت في طريقها أدركها أعداؤها فإنهم وراءها في الطلب، ولا بد لها من قسم من هذه الأقسام الثلاثة فلتختر أيها شاءت، ولتجعل أحاديث الأحبة حاديها وسائقها، ونور معرفتهم وإرشادهم هاديها ودليلها، وصدق ودادهم وحبهم غذاءها وشرابها ودواءها ولا يوحشه انفراده في طريق سفره،



ولا يغتر بكثرة المنقطعين فألم انقطاعه وبعاده واصل إليه دونهم وحظه من القرب والكرامة مختص به دونهم. فما معنى الاشتغال بهم والانقطاع معهم؟ وليعلم أن هذه الوحشة لا تدوم بل هي من عوارض الطريق، وسوف تبدو له الخيام، وسوف يخرج إليه المثلقون يهنئونه بالسلامة والوصول إليهم، فيا قرّة عينه إذ ذاك، ويا فرحته إذ يقول: (يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ) (يس: ٢٦) ^(٨١)

فبالعلم النافع المضى الذي يبصرك الطريق وأعلامه ومعاطيه، وبالعلم الصالح الذي تعمل به وتدعو الناس إليه تكن إنساناً صالحاً، وعلى قدر تفريطك في ذلك تخسر من الهداية التي أنت في حاجة إليها ما كانت فيك عين تطرف وقلب يخفق وعرق ينبض، بل عن حاجتك إلى الهداية بتحصيل القوتين العلمية والعملية أشد من حاجتك إلى الطعام والشراب.

والإنسان الصالح ثالثاً هو الذي لا يفصل بين العلم والعمل بل هما بالنسبة له جناحاً الطائر يطير بهم مصعداً، فأني له أن يصعد بلا جناحين أو بلا جناح؟

فلا غنى للمسلم عن العلم الذي يبصر به طريقه، وعن العمل الذي يترجم به ذلك العلم سلوكاً واقعياً، وبلا عمل لا قيمة للعلم، بل إن من قصر في العمل فعلم ولم يعمل كان أحمق لا عقل له، إذ أنه يعمل على تركية غيره، ويقصر في تركية نفسه، وصدق الله إذ يقول: (اتَّبِعُوا النَّاسَ بِالْبَرِّ وَتَتَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (البقرة: ٤٤).

وقال ابن كثير رحمه الله: والغرض أن الله سبحانه - ذمهم على هذا الصنيع، ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرُونَ بالخير ولا يفعلُونَ، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له، فإن الأمر بالمعروف معروف،

وواجب على العالم ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به، ولا يتخلف عنهم كما قال شعيب عليه السلام لقومه: (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفَكُمْ إِلَى مَا أَنَهَاكُمْ عَنْهُ) (هود: ٨٨)

(٨١) طريق الهجرتين/ ابن القيم ص ٢٣١



فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما ترك الآخر على أصح قول العلماء من السلف والخلف^(٨٢)

والدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعية إليه هو الآفة التي تصيب التقوى بالشك لا في الدعاة وحدهم، ولكن في الدعوات ذاتها، وهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم؛ لأنهم يسمعون قولاً جميلاً، ويشهدون فعلاً قبيحاً فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل، وتخبو في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة، وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشعه الإيمان، ولا يعودون يثقون في الدين بعدما فقدوا ثقتهم برجال الدين.

إن الكلمة تتبع مئةً وتصل هامة مهما تكن طنانة رنانة متحمسة إذا هي لم تبعث من قلب مؤمن بها، ولن يؤمن إنسان بما يقوله حقاً إلا أن يستحيل هو ترجمة حية لما يقول، وتجسيماً واقعياً لما ينطق، عندئذ يؤمن الناس، ويثق الناس، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق، إنها حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من رنينها، وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها، إنها تستحيل يومئذ دفعة حياة لأنها منبثقة من حياة^(٨٣)

وبعد فالسؤال الذي يفرض نفسه الآن:

كيف صاغ القرآن الكريم ذلك الفرد المسلم الذي يحمل التبعة والشعلة، ويكون لبنة قوية في صرح المجتمع المسلم المنشود؟ كيف أخرجت التربية القرآنية الفرد المسلم الذي يقوم بالعمل الصالح؟

والجواب إجمالاً: عني القرآن الكريم بتربية الفرد كما يلي: أولاً: تعميق الإيمان بالله واليوم والآخر في نفس المسلم. ثانياً: تحرير الإنسان من العبودية إلا الله. ثالثاً: تربية الفرد المسلم على الإيجابية. رابعاً: تربية العقل. خامساً: تربية الإرادة عند المسلم، واليك التفصيل.

^(٨٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٨٥
^(٨٣) الظلال ج ١ ص ٢٨



أولاً: تعميق الإيمان بالله واليوم الآخر في نفس المسلم

فالإيمان بالله هو السياج الذي يحول بين الفرد وبين الهبوط والإنفلات، وهو الذي يضبط الشهوات، ويحفظ النفس من الانفعالات السيئة التي قد تفسد على الفرد حياته، وهو في مواجهة الشهوات التي أصبحت داء ووباء أصاب الناس في المنزل والشارع والمدرسة والعمل والسوق، وباء ومشكلة أعيت المربين، فهي مشكلة موجهة كالسيل المتدفق لا يكاد يقف في وجهها شئ فهي إن لم تنتهياً في المنزل عبر وسائل الإعلام المختلفة توفرت في الشارع يتولى كبرها النساء العاريات المائلات المميلات، وفي المدارس المختلفة في كل مراحل التعليم، وفي الأسواق حيث ينصب الشيطان فسطاطه ويضع عرشه، ويوزع سراياه في الناس، ويفتح أبواب الشهوات على مصراعيها تلاحق الناس كبيرهم وصغيرهم هذا كله مع أن الشوات زينت للناس في أصل الفطرة كما أخبر الله - سبحانه - بذلك فقال: (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ) (آل عمران: ١٤)

يقول صاحب الظلال (زَيْنَ للناس) وصياغة الفعل للمجهول هنا تشير إلى أن تركيبهم الفطري قد تضمن هذا الميل، فهو محبب ومزين، وهذا تقرير للواقع من أحد جانبيه ففي الإنسان هذا الميل إلى هذه الشهوات، وهو جزء من تكوينه الأصيل لا حاجة إلى إنكاره، ولا إلى استنكاره في ذاته، فهو ضروري للحياة البشرية كي تتأصل، وتنمو، وتطرد

ولكن الواقع يشهد كذلك بأن في فطرة الإنسان جانباً آخر يوازن ذلك الميل، ويحرس الإنسان أن يستغرق في ذلك الجانب وحده، وأن يفقد قوة النفخة العلوية أو مدلولها وأيحاءها هذا الجانب، هو جانب الاستعداد للتسامي، والاستعداد لضبط النفس ووقفها عند الحد السليم من مزاوله هذه الشهوات، الحد الباني للنفس والحياة، مع التطلع المستمر إلى ترقية الحياة، ورفعها إلى الأفق الذي تهتف إليه النفخة العلوية، وربط القلب البشري بالمأ الأعلى والدار الآخرة ورضوان الله،





أهداف التربية القرآنية

هذا الاستعداد الذي يهذب الاستعداد الأول وينقيه من الشوائب، ويجعله في الحدود المأمونة التي لا تغطي فيها جانب اللذة الحسية ونزعتها القريبة على الروح الإنسانية وأشواقها البعيدة والاتجاه إلى الله، وتقواه هو خيط الصعود والتسامي إلى تلك الأشواق البعيدة^(٨٤)

والآية الكريمة وإن وضحت أن الميل إلى الشهوات مركز في أصل الفطرة، فإنها توضح بجلاء أن الحصن المنيع والقلعة الحصينة التي يتحصن المسلم فيها من الشهوات هو الإيمان بالله -تعالى- الإيمان الذي يحول بين المسلم وبين الهبوط في هوة سحيقة من الشهوات والضياح لا قرار لها، وهو الذي يضبط الشهوات ويحفظ النفس من ليهبها ويوجهها إلى الدرب القويم الذي تبني فيه ولا تدمر، وتعمر ولا تخرب، إن الإيمان بالله -سبحانه- الذي يعمقه القرآن في قلب المسلم هو السلاح الذي يتسلح المسلم به في مواجهة الشهوات وكثيراً ما يقرن القرآن بينه وبين الإيمان باليوم الآخر؛ لتكون نظرة المسلم نظرة بعيدة تتخطى عالم الحس، القريب وإنه كما يقول الأستاذ محمد قطب نفع الله به:-

يلفت النظر في السور المدنية خاصة الربط بين الأمرين معا: الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر سلباً وإيجاباً، وربط ذلك بالعقائد والشرائع والشعائر وأنماط السلوك والأخلاق سواء عند المؤمنين بهما، والكافرين قال الله عز وجل (وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (البقرة: ٢٣٢)

وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (البقرة: ٢٦٤)

وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء: ٥٩)

(٨٤) الظلال / ج ١ ص ٣٧٤



أهداف التربية القرآنية

وقال: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) (التوبة: ٢٩)

وقال: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب: ٢١)

وإن كان الربط مباشرا في السور المدنية بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر فهو موجود في السور المكية كذلك، وإن ذكر كل منهما على حده. قال تعالى: (إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) (النحل: ٢٢)

وقال: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاعَتٌ مُّسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يَضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعِمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَئِكَ يَجْزُونَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقُونَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦)). (الفرقان / ٦٣ - ٧٦))





والدلالة التربوية لهذا الأمر أن الإيمان بالله وباليوم الآخر كل قائم بذاته، ومتعمق في أغوار النفس ثم مرتبطين متلازمين متكاملين، هو الأداة الكبرى في منهج التربية الإسلامية التي تؤدي ثمارها المرجوة بالتعهد المستمر، والمتابعة اليقظة الدؤوب، وهذا هو الذي قام به رسول ﷺ بالصورة الفذة التي لا مثيل لها في التاريخ^(٨٥)

لقد كان رسول الله ﷺ حريصاً وهو يربي الرعيّل الأول في مكة على تعميق الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر في نفوسهم، والربط بينهما ليصبح كل منهما مذكراً بصاحبه، فإذا ذكر الواحد منهما تذكر الآخر، فإذا ذكر الإيمان بالله سبحانه وتعالى - تذكر اليوم الآخر، وإذا ذكر الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالله مالك الدنيا والآخرة؛ فارتقى بذلك في مدارج الكمال مع السالكين، وقهر شهوات النفس،

وانتصر على روابط الدم والنسب والقبلية والمصلحة والعرف وموروث الآباء والأجداد، والإيمان بالله ميزان التفاضل في الدنيا والآخرة، وبه الثبات على الصراط فيهما قال الله سبحانه: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات/١٣)

وعلى قدر الإيمان يؤتي الإنسان النور الذي يسير به على الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا أمرنا الله سبحانه - أن نسأله الهداية إلى الصراط المستقيم فقال سبحانه: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)) (الفاتحة) وأمرنا سبحانه أن نسير على صراطه، وأن نحذر السبل المنحرفة فقال تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) (الأنعام: ١٥٣)

والسير على صراط الله المستقيم في الدنيا لا يكون إلا بمعرفته، والبصر به، ولا يعرفه الإنسان، ولا يبصره إلا بالإيمان الذي يعطى النور على قدره، وبه يثبت الإنسان على طريق الهداية المستقيم، وبدونه ينحرف عنه، قال سبحانه (وَنَقَلَبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) (الأنعام: ١١٠)

(٨٥) كيف ندعو الناس/ محمد قطب ص ٩٦ - ٩٧ ط ١ دار الشروق ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م



والمعنى: كما لم يؤمنوا فلا نثبتهم على الصراط المستقيم، فإنهم لا يثبتون عليه إلا بالإيمان فالإيمان يعطي النور وبالنور يبصر الصراط، ويثبت على ذلك في الدنيا، وكذلك في الآخر يعطي الناس النور على قدر الإيمان، كما قال تعالى: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشْرَاكُمَ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)) (الحديد).

فبالإيمان يكون الثبات على صراط الحق في الدنيا والآخرة، فمن آمن ثبت في الأولى، وعلى قدر ثباته في الأولى يكون ثباته في الآخرة، وبالإيمان يتزود المسلم، ويمضي مع ركب السارين، بل حاجة العبد إلى زاد الإيمان أشد من حاجته إلى الطعام والشراب

وذلك لأنه محتاج إلى الإيمان بعدد أنفاسه، ومحتاج إلى الطعام والشراب مرة في اليوم أو مرتين وبالإيمان يثبت المؤمن عند الابتلاء، ويقوى على تجشم الصعاب ومواجهة أهل الباطل، وقد أخبر الله سبحانه - أن الابتلاء من لوازم الإيمان فقال جل وعلا: (أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)) (العنكبوت).

وقال سبحانه: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠)) (العنكبوت).

فجعل سبحانه البلاء لازمة من لوازم الإيمان، وجعله مثبتاً للعبد عند الفتنة، وتأمل قوله سبحانه: (من يقول آمنا بالله).

ولم يقل من يؤمن بالله، لأنه لو آمن وخالطت بشاشة الإيمان قلبه ما ساوى بين الفتنتين: فتنة الناس الضعفاء التي تزول، وفتنة الله سبحانه - وعذابه الذي لا عذاب مثله، والإيمان بالله يعين المسلم على حمل التبعة، وتحمل تكاليفها الثقيلة، ولأجل المقدرة على حمل التبعة الثقيلة أمر الله نبيه ﷺ بالتعبد والصلاة التي تصل القلب بالله



فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) تَصِفْهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥)) (المزمل).

كما أن الإيمان هو الحل الأمثل، بل الوحيد لكثير من المشكلات التربوية، فنحن نشكو كثيرا من الجرأة على المعاصي، ومن قسوة القلب ومن الفتور، وكثيراً ما نتساءل عن سبب التساقط على طريق الدعوة، وعن الانحراف بعد الهدى، وعن الجهل بفقہ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشتكي أكثر من حب الظهور، ومن مرض التعصب الأعمى لشيخ أو جماعة، وهذه المشكلات تستعصي على الحل في أغلب الأحيان، ولا شك أن أعظم حل وأمثلة لكل هاتيك المشكلات إنما هو الإيمان بالله - سبحانه - والاهتمام المتواصل بالتربية الإيمانية، والواجب على المربين أن يعملوا جهدهم على غرس شجرة الإيمان في قلوب الصغار والكبار، فالإيمان هو المنهج، وهو العلاج، ولن تتلاشي مشكلاتنا التربوية إن لم يكن الإيمان بالله - سبحانه - فالإيمان هو الدواء الناجع الذي يتسلل مباشرة إلى مصدر الداء فإذا هو زاهق. والإيمان باليوم الآخر: والإيمان باليوم الآخر يذكر الإنسان بربه - سبحانه - وقدرته وعدله فيحول بين المسلم والظلم والطغيان والتجبر، ويدفعه إلى مجاهدة النفس وللي العمل الصالح دائماً، ويحول بينه وبين المعاصي، لأنه من أيقن أنه ميت ومبعوث وموقوف ومسئول فإنه يحسن ولا يسيئ، ويصلح ولا يفسد، ويذكر ولا ينسى.

وكذلك يبسر الإيمان باليوم الآخر على المؤمن احتمال حرمان الأرض في سبيل مرضاة الله - جل وعلا - قال تعالى بعد ما ذكر حب الشهوات: شهوة النساء والبنين وحب المال والذهب والفضة والخيول والأنعام والأرض والزرع: (قُلْ أُوْنِبَكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَمُ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (آل عمران: ١٥).



أهداف التربية القرآنية

فلا السلطة ولا القانون ولا الأعراف يمكن أن تحول بين المرء وبين هذه الشهوات الجذابة البراقة المحببة إلى النفس، بل لا بديل يمكن البشرية من الانتصار على الدوافع الفطرية الجامحة، ويمكنها من ضبط الشهوات إلا خوف لقاء الله.

يقول الأستاذ محمد قطب: ولا شيء يمكن أن يعين الإنسان على ضبط هذه الدوافع والوقوف بها عند الحدود المأمونة التي فرضها الله قدر ما يعينه الإيمان باليوم الآخر، الذي يعوض فيه الإنسان عن كل حرمان تعرض له في الأرض بنعيم دائم لا ينفد فضلا عن كونه نعيما أجمل وأصفى وأجود^(٨٦)

ولقد عمق القرآن في نفوس المؤمنين الإيمان باليوم الآخر حينما عرض عليهم مشاهد القيامة كأنها رأي العين، وكأن الساعة واليوم الآخر قد أتى، فهم يشاهدونه ويعيشونه ومن ذلك قوله تعالى: (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ تُكْرِمُ) (٦) خَشَعًا أَبْصَارِهِمْ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسَرِ (٨) . (القمر)

مشهد مجموعة خارجة بسرعة إلى من يدعوها لشيء لا تعرفه وها هم الكافرون يقولون هذا يوم عسر، والمشهد شاخص بارز تراه العين،

وتتملاه كأنه واقع وليس غيبا لم يأت بعد وقوله سبحانه: (وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) (٤٢) مهطعين مقتعي رعوسهم لا يرتدُّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء (٤٣)) (إبراهيم). أربع صور متتابعة متوالية، أو أربعة مشاهد لرواية واحدة يتلو بعضها بعضا في الاستعراض فتتم بها صور شاخصة في الخيال، وهي صورة ترسم كذلك في وسط حي. هؤلاء آدميون بينهم وبين المستمعين صلة الجنس المشترك والحس المشابه، فهي ترسم في نفوسهم حسية، ويصل الشعور بها من هؤلاء إلى هؤلاء بالمشاركة الوجدانية، وبالتحليل المحسوس، فإذا قرأها القارئ تمشت رعدة الهول في حناياه كأنما يلقاه^(٨٧)

(٨٦) منهج التربية الإسلامية/ محمد قطب ص ٢٩٠
(٨٧) التصوير الفني في القرآن الكريم/ سيد قطب ص ٦٠ ط دار الشروق بدون.



ومثل هذا الاستحضار للصورة نجده كذلك في قوله سبحانه: (يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)). (الحج)

والمشهد حي حاضر شاخص في الحس كأنما قامت الساعة، والهول بأخذ القلب، ويتملكه حينما يقرأ، وكأنما قامت الساعة، ومن ذلك قوله سبحانه: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) (يس: ٥١/٥٢) ويعبر عن القيامة واليوم الآخر بلفظ الماضي، وكأنما قامت الساعة، وعرف كل فريق مصيره كما في قوله: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُم وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥)). (الزمر)

حينما يقرأ المسلم هذه الآيات فكأنما يعيش هذه المشاهد، ويتملاها اللحظة الحاضرة؛ فتَهون عليه الدنيا، ويزهد في نعيمها الفاني، ويصبر على الحرمان مؤثراً ما عند الله، ويكبح جماح نفسه، ويضبط شهواته، ويستقيم على الجادة، ويخاف مقام ربه، وينهى النفس عن الهوى الذي يقذف بها في المهالك وصدق الله: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (القصص: ٥٠)





ولقد كان لهذه الآيات وغيرها الأثر في تربية جيل الصحابة الميمون، فوجدنا ما عزا يعترف على نفسه، ويطلب إقامة الحد عليه، وكذا الغامدية، ووجدنا عمير بن الحمام يلقي ثمرات كانت في قرنه لما سمع ذكر الجنة، وقال لئن حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قتل، فكان أول قتيل^(٨٨)

ورأينا صحابة يضحون بأنفسهم، ويبدلون أرواحهم في سبيل الله، وطلبوا لما عنده غير مبالين بالموت ولا الصعاب.

ثانياً: تحرير الإنسان من العبودية إلا لله

إن كلمة الحرية العذبة أنشودة رائعة تتغنى بها الشفاه، كما تتغنى الطيور على أفنانها. وهي ضالة الناس جميعاً، وهدف المصلحين في كل عصر ومصر، ولكن الحرية التي ينشدها الكثيرون حرية ضيقة، إنها الحرية من استعباد البشر للبشر، من رقة المستبدين والمستعمرين، فلا يزال الأقوياء على مر العصور، وكر الدهور يبغيون، ويستعلون ويتجبرون كما قال تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أبناءهم ويستحيي نساءهم إِنَّه كان مِنَ الْمَفْسِدِينَ) (القصص: ٤)

والعالم الجديد لم يزل مولعاً بالاستعلاء والقهر والعدوان، فها هي دول الغرب وأممها تبغي على أمم الشرق، تنهب أقواتها، وتسلب خيراتها، وتسوقها كالأنعام، وتسومها سوء العذاب، وتمتص دماءها، وتقتل رجالها، وتفسد شبابها، وهذا النوع من الاستبداد يرفضه المغلوبون، ويثورون في وجهه) ولكن العبودية أوسع بكثير من هذا، فثمة عبودية للأوهام والتصورات الخاطئة، وعبودية للأشياء العظيمة التي يتصاغر الإنسان إلى جوارها كالكوكب والجبال التي يخلع عليها بعض الناس هالة من التعظيم والتقديس فيسجدون لها، ويسبحون باسمها، ويدعونها في الملمات، بل ويعتقدون فيها النفع والضرر، وإذا مسهم الضر أرجعوا ذلك إلى تقصيرهم في حق هذه المعبودات الباطلة كما قال سبحانه: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ.....). (الأنعام: ١٠٠)

^(٨٨) انظر القصة بتمامها في فقه السيرة النبوية لابن القيم بتحقيق د/السيد الجميلي ط دار الفكر العربي ص ١٧٠



أهداف التربية القرآنية

وقال: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ). (فصلت ٣٧)

وقال جل وعلا: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠). (الأنعام)

وقد قام كل رسول ببيان لقومه شيئا عن حقيقة الكون ووظيفته لكي يحررهم من إيسار الوهم والخرافة، ولكي لا ينحرفوا ويضلوا قال تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنَ الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (الحج: ١٨)

فهذا الكون كله مسبح سماواته وأرضه شمسوه وأقماره ونجومه وجباله وأشجاره ودوابه لا يشذ عن ذلك الموكب المسبح إلا بعض بني الإنسان، وقد كان الإنسان أحرى وقد ميزه الله بالعقل أن يكون في أول قائمة المسبحين.

فليس الكون بكل ما فيه من مظاهر القوة والعظمة إلها يعبد، بل هو مربوب لله عابد له وقد خلق الله السماء والأرض، ثم خاطبها قائلاً (إِنِّي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) (فصلت/ ١١)

ولقد تردى الإنسان في عبودية الأوهام حين صنع بيديه آلهة من الحجر والشجر والحلوى عبدها، ولقد وارى الإنسان الموتى في التراب، ثم دعاهم، واعتقد فيهم النفع والضرر واستغاث بهم، وعبد الأموات الذين لا يملكون لأنفسهم فضلا عن غيرهم ضرا ولا نفعاً،



ولا يملكون موتاً ولا حياة، ولا نشوراً، فأرسل الله الرسل، وأنزل الكتب؛ ليحرر الإنسان من كل عبودية إلا العبودية لله -جلا وعلا- قال تعالى (يا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ). (الحج: ٧٣)

قال ابن كثير رحمه الله - (فاستمعوا له) أنصتوا وتفهموا.. (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له) - أي: لو اجتمع جميعاً تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك، كما قال الإمام أحمد، حدثنا أسود بن عامر حدثنا شمير بن عمار بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة مرفوعاً قال (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلي فليخلقوا مثل خلي ذرة أو ذبابة أو حية) (وأخرجه صاحباً الصحيح من طريق عمارة

عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله -عز وجل- ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة) (٨٩)

ثم قال (وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه) أي: هم عاجزون عن خلق ذباب واحد، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته، والانتصار منه لو سبها شيئاً من الذي عليها من الطيب، ثم أردت أن تستنقذه منه لم قدرت على ذلك هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقه ولهذا قال: (ضعف الطالب والمطلوب).

قال ابن عباس: الطالب: الصنم، والمطلوب: الذباب، واختاره ابن جرير، وهو ظاهر السياق، وقال السري وغيره: الطالب: العابد، والمطلوب: الصنم (٩٠)

ومن وسائل القرآن في تحرير الإنسان من إسهار العبودية الباطلة تلك المناظرات التي عقدها القرآن بين الرسل وأقوامهم، وهي كثيرة منها مناظرة موسى -عليه السلام- لفرعون والتي وردت في سورة الشعراء

(٨٩) البخاري (ك) البياس والزينة (ب) نقض الصور ح ٦٠٩ ج ٥ ص ٢٢٢٠
(٩٠) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٥



قال تعالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمِ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَنْ نَأْخُذَ بِهَا غَيْرِي لِأَجَعَلْتَكِ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩). (الشعراء)

فهذا موسى -عليه السلام- يلتزم أدب الحوار، ويستند إلى الأدلة والبراهين على صحة قوله، فالذي خلق السموات ذات الحُبك، والذي أرسى الأرض وجعل فيها رواسي من فوقها أن تميد بأهلها، والذي خلق الإنسان من العدم، وخلق المشارق والمغارب

هو الإله الحق الذي له الأمر كما له الخلق، فاستدل موسى -عليه السلام- بالخلق على الخالق، وبالكون الواسع الرحيب على الله سبحانه.

وهذا إبراهيم -عليه السلام- يناظر قومهم ويحاورهم قال تعالى: (وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَافِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَآتَاهُمْ اللَّهُ لِي إِبْرَاهِيمَ (٧٧) الَّذِي خَلَقْتَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيُسْقِينِي (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي (٨٠) وَالَّذِي يَمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢). (الشعراء: ٦٩/٨٢).

قوله: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ) (بيان لما دعاهم إليه من نبذ لعبادة غير الله أي: اقرأ أيها الرسول على قومك خبر إبراهيم وقت أن قال لأبيه وقومه - على سبيل التبكيت والزامهم الحجة- : أي شئ هذا الذي تعبدونه من دون الله عز وجل؟ أجابوه بقولهم: (نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين) (أي: فنستمر على عبادتها بدون انقطاع، وكان يكفهم أن يقولوا: نعبد أصناماً، ولكنهم لغباؤهم وعنادهم أرادوا أن يتباهوا ويتفاخروا بهذه العبادة الباطلة، وهكذا عندما تخطئ الأفهام تتباهى بما يجب البعد عنه، وتفتخر بالمرذول من الباطلة،





وهكذا عندما تخطئ الأفهام تتباهى بما يجب البعد عنه، وتفتخر بالمرذول من القول والفعل، وقد رد عليهم إبراهيم -عليه السلام- بما يوقظهم من جهلهم لو كانوا يعقلون فقال لهم: هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله هل تسمع دعاءكم إذا دعوتموها؟

وهل تحس بعبادتكم لها إذا عبدتموها؟، وهل تملك أن تتفعلكم بشئ من النفع، أو بشئ من الضر؟

ولم يستطع القوم أن يواجهوا إبراهيم بجواب بعد أن ألقمهم حجرا بنصاعة فلبأوا إلى التمسح بآبائهم فقالوا: (بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) (أي: قالوا له: نعم هذه الأصنام هي كما قلت يا إبراهيم لا تسمع دعاءنا، ولا تتفعنا، ولا تضربنا، ولكننا وجدنا آباءنا يعبدونها فسرنا على طريقتهم في عبادتها، وأمام هذا التقليد الأعمى ترى إبراهيم -عليه السلام- يعلن عداوته لهم ولمعبوداتهم الباطلة، ويجاهرهم بأن عبادته إنما هي لله تعالى وحده فيقول: (أفأرى ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين) - أي قال لهم إبراهيم على سبيل الإنكار والتأنيب: أفأرى ما كنتم تعبدونها هذه الأصنام التي عبدتموها أنتم وآباؤكم الأقدمون من دون الله تعالى، إنها عدو لي لأن عبادتها باطلة لكن الله تعالى - هو وحده أخصه بالعبادة

وأدين له بالطاعة؛ لأنه هو الذي أوجدني بقدرته، ورباني بنعمته^(٩١) فأصر أكثر الناس على الباطل رغم استيقان أنفسهم من لحق، وأبوا إلا أن يكونوا عبيدا لغير الله: للهوى للنفس للشيطان للمال للنساء للمصلحة، بل تواصلوا على عبادة غير الله كما قال سبحانه عن قوم نوح: (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) (نوح: ٢٣) وكما قال: (وَانْطَلِقِ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ) (ص: ٦٠) وأصروا على عدم سماع الحق، وصموا آذانهم، وهي صورة ترسيم - بما لا يدع مجالا للشك - أنهم عرفوا الحق كما قال سبحانه: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) (فصلت: ٢٦)

(٩١) القصة في القرآن الكريم د/ سيد طنطاوي ص ١٥٤ ط د ز م دار المعارف ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م



وكما قال: (وَإِنِّي كُنَّا دَعْوَتَهُمْ لَتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) (نوح: ٧)

وبعد عبادة الأوهام والخوف من الليل والكون العظيم، وبعد عبادة الأوثان والأحجار تردى البشر إلى هو أشد عمقا، وسعوا إلى العبودية التي يفترض أنهم يفرون منها، وكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، وعبدوا من دون الله بشرا مثلهم، وأحاطوهم بأساطير وجعلوهم من نسل الآلهة ظانين أن لهم طبيعة غير طبيعة البشر، وأن الدماء الزرقاء تجري في عرقهم، فعبدوا الملوك وتحاكموا إلى شرعهم، وعبدوا الصالحين وقدموا لهم القرابين كما قال سبحانه عن فرعون: (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) (النازعات: ٢٤) وقال: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا) (القصص: ٣٨)

- وقال عن النصارى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ). (التوبة: ٣١) فأنزل الله كتبه، وأرسل رسله لتحرر الناس من العبودية إلا لله سبحانه: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ) (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأُنْزِلُ (٤٦) فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَايَةً مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَىٰ (٤٧). (طه)

ونقضا وتفنيدا لمزاعم النصارى المشركين قال ربنا سبحانه:

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤))



مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ
انْظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لِهِمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَتَى يُؤْفِكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي
الْمَهَالِكِ وَصَدَقَ اللَّهُ: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (القصص: ٥٠)

ولقد كان لهذه الآيات وغيرها الأثر في تربية جيل الصحابة الميمون، فوجدنا ما عزا يعترف
على نفسه، ويطلب إقامة الحد عليه، وكذا الغامدية، ووجدنا عمير بن الحمام يلقي ثمرات
كانت في قرنه لما سمع ذكر الجنة،

وقال لئن حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر، ثم
قاتل حتى قتل، فكان أول قتيل^(٩٢)

ورأينا صحابة يضحون بأنفسهم، ويبذلون أرواحهم في سبيل الله، وطلبوا لما عنده غير مبالين
بالموت ولا الصعاب.

ثانياً: تحرير الإنسان من العبودية إلا لله

إن كلمة الحرية العذبة أنشودة رائعة تتغنى بها الشفاه، كما تتغنى الطيور على أفنانها، وهي
ضالة الناس جميعاً، وهدف المصلحين في كل عصر ومصر، ولكن الحرية التي ينشدها
الكثيرون حرية ضيقة، إنها الحرية من استعباد البشر للبشر، من رقة المستبدين
والمستعمرين، فلا يزال الأقوياء على مر العصور، وكر الدهور يبيغون، ويستعلون ويتجبرون
كما قال تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ
أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (القصص: ٤)

والعالم الجديد لم يزل مولعاً بالاستعلاء والقهر والعدوان، فها هي دول الغرب وأممها تبغي
على أرم الشرق، تتهب أقواتها، وتسلب خيراتها، وتسوقها كالأنعام، وتسومها سوء العذاب،
وتمتص دماءها، وتقتل رجالها، وتفسد شبابها، وهذا النوع من الاستبداد يرفضه المغلوبون،

(٩٢) انظر القصة بتمامها في فقه السيرة النبوية لابن القيم بتحقيق د/السيد الجميلي ط دار الفكر العربي ص ١٧٠



ويثورون في وجهه) ولكن العبودية أوسع بكثير من هذا، فثمة عبودية للأوهام والتصورات الخاطئة، وعبودية للأشياء العظيمة التي يتصاغر الإنسان إلى جوارها كالكوكب والجبال التي يخلع عليها بعض الناس هالة من التعظيم والتقدّيس فيسجدون لها، ويسبحون باسمها، ويدعونها في الملمات، بل ويعتقدون فيها النفع والضرر، وإذا مسهم الضر أرجعوا ذلك إلى تقصيرهم في حق هذه المعبودات الباطلة كما قال سبحانه: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ....). (الأنعام: ١٠٠)

وقال: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ). (فصلت: ٣٧)

وقال جل وعلا: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفَلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يهْدني رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠). (الأنعام)

وقد قام كل رسول ببيان لقومه شيئاً عن حقيقة الكون ووظيفته لكي يحررهم من إيسار الوهم والخرافة، ولكي لا ينحرفوا ويضلوا قال تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (الحج: ١٨)

فهذا الكون كله مسبح سماواته وأرضه شمسوه وأقماره ونجومه وجباله وأشجاره ودوابه لا يشذ عن ذلك الموكب المسبح إلا بعض بني الإنسان، وقد كان الإنسان أحرى وقد ميزه الله بالعقل أن يكون في أول قائمة المسبحين.





فليس الكون بكل ما فيه من مظاهر القوة والعظمة إلها يعبد، بل هو مريبوب لله عابد له وقد خلق الله السماء والأرض، ثم خاطبها قائلاً (اِتَّبِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) (فصلت/ ١١)

ولقد تردى الإنسان في عبودية الأوهام حين صنع بيديه آلهة من الحجر والشجر والحلوى عبدها، ولقد وارى الإنسان الموتى في التراب، ثم دعاهم، واعتقد فيهم النفع والضر واستغاث بهم، وعبد الأموات الذين لا يملكون لأنفسهم فضلاً عن غيرهم ضراً ولا نفعاً، ولا يملكون موتاً ولا حياة، ولا نشوراً، فأرسل الله الرسل، وأنزل الكتب؛ ليحرر الإنسان من كل عبودية إلا العبودية لله -جلا وعلا- قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ). (الحج: ٧٣)

قال ابن كثير -رحمه الله- (فاستمعوا له) أنصتوا وتفهموا.. (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له) - أي: لو اجتمع جميعاً تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك، كما قال الإمام أحمد، حدثنا أسود بن عامر حدثنا شمير بن عمار بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة مرفوعاً قال (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلي فليخلقوا مثل خلي ذرة أو ذبابة أو حية) (وأخرجه صاحب الصحيح من طريق عمار بن عمار عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله -عز وجل- ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة) (٩٣) ثم قال (ولن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه) أي: هم عاجزون عن خلق ذباب واحد، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته، والانتصار منه لو سلبها شيئاً من الذي عليها من الطيب، ثم أردت أن تستنقذه منه لم قدرت على ذلك هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحققره ولهذا قال: (ضعف الطالب والمطلوب).

(٩٣) البخاري (ك) الباس والزينة (ب) نقض الصور ح ٥٦٠٩ ج ٥ ص ٢٢٢٠



قال ابن عباس: الطالب: الصنم، والمطلوب: الذباب، واختاره ابن جرير، وهو ظاهر السياق، وقال السري وغيره: الطالب: العابد، والمطلوب: الصنم^(٩٤)

ومن وسائل القرآن في تحرير الإنسان من إसार العبودية الباطلة تلك المناظرات التي عقدها القرآن بين الرسل وأقوامهم، وهي كثيرة منها مناظرة موسى -عليه السلام- لفرعون والتي وردت في سورة الشعراء قال تعالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمِ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَنْ نَأْخُذَ بِهَا غَيْرِي لِأَجَعَلْتَكِ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩)). (الشعراء) فهذا موسى -عليه السلام- يلتزم أدب الحوار، ويستند إلى الأدلة والبراهين على صحة قوله، فالذي خلق السموات ذات الحبك، والذي أرسى الأرض وجعل فيها رواسي من فوقها أن تميد بأهلها، والذي خلق الإنسان من العدم، وخلق المشارق والمغارب هو الإله الحق الذي له الأمر كما له الخلق، فاستدل موسى -عليه السلام- بالخلق على الخالق، وبالكون الواسع الرحيب على الله سبحانه.

وهذا إبراهيم -عليه السلام- يناظر قومهم ويحاورهم قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)). (الشعراء: ٦٩/٨٢).

(٩٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٥



قوله: (إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون) (بيان لما دعاهم إليه من نبذ لعبادة غير الله أي: اقرأ أيها الرسول على قومك خبر إبراهيم وقت أن قال لأبيه وقومه - على سبيل التبكيت وللزامهم الحجة - : أي شئ هذا الذي تعبدونه من دون الله عز وجل؟ أجابوه بقولهم: (نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين) (أي: فنستمر على عبادتها بدون انقطاع، وكان يكفهم أن يقولوا: نعبد أصناماً، ولكنهم لغبائهم وعنادهم أرادوا أن يتباهوا ويتفاخروا بهذه العبادة الباطلة، وهكذا عندما تخطئ الأفهام تتباهى بما يجب البعد عنه، وتفتخر بالمرذول من الباطلة، وهكذا عندما تخطئ الأفهام تتباهى بما يجب البعد عنه، وتفتخر بالمرذول من القول والفعل، وقد رد عليهم إبراهيم -عليه السلام- بما يوقظهم من جهلهم لو كانوا يعقلون فقال لهم: هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله هل تسمع دعاءكم إذا دعوتموها؟ وهل تحس بعبادتكم لها إذا عبدتموها؟، وهل تملك أن تنفعكم بشئ من النفع، أو بشئ من الضر؟

ولم يستطع القوم أن يواجهوا إبراهيم بجواب بعد أن ألقمهم حجراً بنصاعة حخته فلجأوا إلى التمسح بآبائهم فقالوا: (بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) (أي: قالوا له: نعم هذه الأصنام هي كما قلت يا إبراهيم لا تسمع دعاءنا، ولا تنفعنا، ولا تضرنا، ولكننا وجدنا آباءنا يعبدونها فسرنا على طريقتهم في عبادتها، وأمام هذا التقليد الأعمى ترى إبراهيم -عليه السلام- يعلن عداوته لهم ولمعبوداتهم الباطلة، ويجاهرهم بأن عبادته إنما هي لله تعالى وحده فيقول: (أفأرى ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين) - أي قال لهم إبراهيم على سبيل الإنكار والتأنيب: أفأرى ما كنتم تعبدونها أنتم وآباؤكم الأقدمون من دون الله تعالى، إنها عدو لي لأن عبادتها باطلة لكن الله -تعالى- هو وحده أحصه بالعبادة، وأدين له بالطاعة؛ لأنه هو الذي أوجدني بقدرته، ورياني بنعمته^(٩٥) فأصر أكثر الناس على الباطل رغم استيقان أنفسهم من لحق، وأبوا إلا أن يكونوا عبيداً لغير الله: للهوى للنفس للشيطان للمال للنساء للمصلحة، بل تواصلوا على عبادة غير الله

(٩٥) القصة في القرآن الكريم د/ سيد طنطاوي ص ١٥٤ ط د ز م دار المعارف ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م



أهداف التربية القرآنية

كما قال سبحانه عن قوم نوح: (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) (نوح: ٢٣) وكما قال: (وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ) (ص: ٦٠) وأصروا على عدم سماع الحق، وصموا آذانهم، وهي صورة ترسم - بما لا يدع مجالاً للشك - أنهم عرفوا الحق

كما قال سبحانه: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) (فصلت: ٢٦)

وكما قال: (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) (نوح: ٧)

وبعد عبادة الأوهام والخوف من الليل والكون العظيم، وبعد عبادة الأوثان والأحجار تردى البشر إلى هو أشد عمقا، وسعوا إلى العبودية التي يفترض أنهم يفرون منها، وكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، وعبدوا من دون الله بشرا مثلهم، وأحاطوهم بأساطير وجعلوهم من نسل الآلهة ظانين أن لهم طبيعة غير طبيعة البشر، وأن الدماء الزرقاء تجري في عرقهم، فعبدوا الملوك وتحاكموا إلى شرعهم، وعبدوا الصالحين وقدموا لهم القرابين كما قال سبحانه عن فرعون: (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) (النازعات: ٢٤)

وقال: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا) (القصص: ٣٨)

- وقال عن النصارى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ). (التوبة: ٣١) فأنزل الله كتبه، وأرسل رسله لتحرر الناس من العبودية إلا لله سبحانه:





أهداف التربية القرآنية

(أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ) (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَىٰ (٤٦) فَاتَّيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (٤٧). (طه)

ونقضا وتفنيدا لمزاعم النصارى المشركين قال ربنا سبحانه: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ نَاسًا لَّهُمُ الْآيَاتُ ثُمَّ انظُرْ أَتَىٰ يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦). (المائدة)

ثم تردت البشرية بسلم الهبوط إلى ما هو أخط من ذلك، فاتخذت غير منهج الله منهاجا واستبدلت منهجه -سبحانه- بمناهج وطرائق قdda وفلسفات ومبادئ قاصرة فاسدة واهية، بل هي أوهن من بيت العنكبوت يقول الأستاذ عمر سليمان الأشقر: - وتاهت البشرية في عبودية من نوع آخر وهي عبودية المناهج والأفكار، فالبشر في كل عصر وجيل تتفتق أذهان فلاسفتهم عن مبادئ ومناهج وقوانين ونظريات يحكمونها في رقاب العباد، وهي مناهج وقوانين شرع الله وحكمه، وقد شاء الله أن يكون الحكم بين العباد بيده دون سواه (أمر أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ...) (يوسف: ٤٠)

ولم يرض الحق أن يتخذ معه شريكا في حكمه (وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) (الكهف: ٢٦)





وقد ذم اليهود والنصارى الذين أطاعوا أحبارهم ورهبانهم عندما خالفوا الشرع الذي بأيديهم فأحلوا وجرموا بآرائهم،

وقال فيهم: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا) (التوبة: ٣١)

ولكن الأمر العجيب أن أكثر الناس في كل العصور يرفضون منهج الله - عز وجل - وحكمه ويرتضون قوانين البشر وأحكامهم التي تعبدتهم للعباد، وقوانين البشر ومبادئهم مختلفة ويجلب له الخير والهناء^(٩٦)

والقرآن الكريم يحرص على تحذير القلب من تلك العبودية على مختلف أشكالها وصورها وذلك لأن القلب محل الاعتقاد، ومحضنه وموضع النية والإرادة، وبصلاح الاعتقاد والقصد يفلح القلب، ويتحرر الإنسان، وصلاح الاعتقاد بمعرفة الله - سبحانه - وأسمائه وصفاته وأفعاله، وبمعرفته بالملائكة وصفاتهم، والتعرف على اليوم الآخر وما يقع فيه من هناء وشقاء،

وصلاح القصد بابتغاء مرضاة الله في كل حركة وسكنة، فلا يقصد العبد بأعماله وأقواله السمعة أو الرياء أو طلب الحمد والثناء، ليتحقق الإخلاص في العبادة الذي لا يقبل الله إلا سواه، وهو من مقتضيات التوحيد، قال تعالى: (إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) (الزمر: ٣)، وقال: (وَمَا أُمُّوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) (البينة: ٥) وقال: (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) (٢) (الزمر)

وكذلك حذر القرآن قلب المسلم من الخوف إلا من الله، كالخوف من الجن والطواغيت المزيفة والظلمة، وذلك لأن الخوف يشل حركة العبد، ويقضي على ملكاته وفكره، فالكبير العظيم القدير المقتدر مالك الملك هو الله وحده وهو أحق أن يخشى ويتقى، وما سواه فلا قيمة ولا قوة، ولكن استخذاء الناس وجبنهم هو الذي يتسبب في استعلاء الطواغيت والمتجبرين

(٩٦) أثر الإيمان في تحرير الإنسان/ عمر سليمان الأشقر ط ٢ دار النقاش ١٤١١هـ - ١٩٩١م ص ١٥



أهداف التربية القرآنية

قال تعالى حكاية عن مناظرة إبراهيم لقومه: (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) (٨٠) وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون (٨١) الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون (٨٢) (الأنعام)

وهذا هود -عليه السلام- يقيم الحجة على قومه، ويدعوهم إلى التوحيد الخالص فيقولون له: (إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) (٥٤) من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦) (هود)

فرد هود على فريتهم واعتقادهم الباطل بأن آلهتهم الباطلة تصيب أعداءها بأنواع البلاء وشتى المصائب والعاهات رد متوكل على الله ومستعين به، وقد خلال قلبه من العبودية إلا لله الذي يملك نواصي الخلائق بيديه، وهذا موسى وأخوه هارون يخافان بطش فرعون فيقول الله لهما: (قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) (طه: ٤٦)

إن تعلق القلب بالله، والحياة في معيته، واستمداد العون والخير منه هو الحصن الذي تحصن به الصالحون ولا يزالون يلونون به؛ ليوажها الفساد والطغيان، فهذا إبراهيم -عليه السلام- يلقي في النار فيقول: (حسبنا الله ونعم الوكيل) وهذا يونس -عليه السلام- ينادي في بطن الحوت وظلمته: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ). (الأنبياء: ٨٧)

وهذا أيوب -عليه السلام- تصطح الأمراض عليه ثماني عشرة سنة، فيلجأ إلى الله مفتقراً إليه موحداً: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (الأنبياء: ٨٣)

وهذا نوح -عليه السلام- ينادي ربه فيستجيب له: (وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) (٧٦) ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إتهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين (٧٧) (الأنبياء)



أهداف التربية القرآنية

وهذا لوط -عليه السلام- يهدده قومه ويجمعون عليه فيلجأ إلى الله: (رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَتَجْنِيَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١)). (الشعراء).

وهذه العصابة المؤمنة مع داود -عليه السلام- هي قلة قليلة تبرز لفئة كبيرة متسلحة مخيفة فيلجأون إلى الله قائلين: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ.....) (البقرة: ٢٥٠-٢٥١).

وهذه جماعة المسلمين في أحد مع النبي ﷺ يردون على من يخوفونهم بجمع قريش لهم معتصمين بالله: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (١٧٥)). (آل عمران)

هكذا تكون القلوب العابدة لله المتحررة من عبودية ما سواه المستجيبة لأمر الرسول ﷺ حينما أمرهم أن يلاحقوا المشركين على ما بهم من قرح بعد الهزيمة في أحد فاستجابوا، ومر بهم ركب فحذروهم من جمع المشركين لهم فما وهنوا، وما خافوا وبقيت قلوبهم موصولة بالله وهكذا تربي الصحابة على الصلة الدائمة بالله: على رجائه وخوفه والاستغاثة به والاستعانة به فكانوا بحق أحرارا، ما الحرية في أجلى معانيها وأصحها إلا العبودية المطلقة لله. ومعناها: أن تعبد نفسك لله في توجهات قلبك وخواطرك وهواجسك، في أعمالك وأقوالك في كل حياتك (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) (الأنعام)





هذه هي الحرية: إنها العبودية، أما ما يتشدد به كثير من الناس في عصرنا فهو عين العبودية في نظر الإسلام، فما هذه الديمقراطية التي يتشدد بها الإعلاميون والمفكرون إلا عين العبودية وسل نفسك وسل المتشدين بالديمقراطية: من الحاكم ومن المشرع في الديمقراطية؟

سيكون الجواب بملء الفم: الشعب هو الحاكم، وهو صاحب السلطات، وهذه قمة العبودية عبودية البشر للبشر، إذ الحكم لا يكون إلا لمن اتصف بصفات الإلهية قال تعالى: (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حُدَّائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلِلَّهِ مَعَ اللّٰهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلِلَّهِ مَعَ اللّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلِلَّهِ مَعَ اللّٰهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلِلَّهِ مَعَ اللّٰهِ تَعَالَى اللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّهِ مَعَ اللّٰهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللّٰهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) (النمل: ٥٩-٦٥)

ثالثاً: تربية الفرد المسلم على الإيجابية

والإيجابية تعني ألا ينتظر الإنسان إذناً بالحركة في كل صغيرة وكبيرة، بل على المسلم أن يفتح لنفسه أبواباً للعمل يخدم الدين من خلالها، ولا يعني ذلك التمرد ولا التشردم ولا الخروج على الجماعة، بل المعنى أن من ملك أن يعمل للإسلام على بصيرة

فليقتحم السبل وليعمل غير منتظر الإذن فلعل غيره ممن يمتلك القدرة على العمل لا همة له، أو له همة ضعيفة، والله أعلم بعبادة قرب عالم لا همة له، ورب عالم بالمعروف لا يأمر به، ورب عالم بالمنكر لا ينهى عنه ولياك وقولهم:

أهداف التربية القرآنية

كم ترك الأول للآخر؟ فالخير والعمل عطاء من الله، وفضل منه، والله يؤتي فضله من يشاء، وفضل الله ليس حكرًا على أحد، وتذكر دائما أن المسؤولية فردية، وأنه لا يسأل إنسان عن غيره، فمناط التكليف فردي والعلم بذلك من أكبر الدوافع إلى الإيجابية.

والإيجابية كذلك تعني: أن تملك زمام المبادرة، ففعل لغيرك من الأعداء ما ليس لك، أو لعل عندك من الهمة والرغبة ما ليس لغيرك، واحذر من القعود مع الخالفين مع القدرة على السير مع السالكين،

ورحم الله المتنبّي حين قال:

ولست بقانعٍ من كلِّ فضلٍ	بأن أعزى إلى جدِّ همام
عجبت لمن له قدَّ وحد	وينبو نبوة القضم الكهام ^(٩٧)
ومن يجد الطريق إلى المعالي	كنقص القادرين على التمام ^(٩٨)

على الإيجابية والعمل البناء ربي القرآن المسلم، وتعهده بالرعاية، ودفعه إليها دفعاً

قال الله تعالى (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا (٨٤)). (النساء)

قال القرطبي رحمه الله:

كأن هذا المعنى: لا تدع جهاد العدو والانتصار عليهم للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك لأنه وعده بالنصر قال الزجاج: أمر الله تعالى رسول ﷺ بالجهاد وإن قاتل وحده لأنه قد ضمن له النصر.

^(٩٧) القذ: القامة، الحد: البأس، ونبا السيف كل عن الضربة، والقضم من السيوف: المتلثم، والكهام: الذي لا يقطع، والمعنى عجبت من الشاب الذي تعضه السنون بأنيابها ولم يزل قويا فإذا عرض له أمر نبا عنه كما ينبو السيف الكليل المعجم الوجيز ص ٦١، ٤٩١، ٥٤٤

^(٩٨) ديوان المتنبّي/ تحقيق سعيد جودة السحار، ود/عبد المنعم خفاجي ود/ عبد العزيز شرف - ج ١ ص ٤٧٣ مكتبة مصر بدون.



قال ابن عطية: هذا ظاهر اللفظ إلا أنه لم يجئ في خبر قط أن القتال فرض عليه دون الأمة، فالمعنى والله أعلم، أنه خطاب له في اللفظ، وهو مثال ما يقال لكل واحد في خاصة نفسه: أي أنت يا محمد، وكل واحد من أمتك القول له (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك)

ولهذا ينبغي لكل مؤمن أن يجاهد ولو وحده، ومن ذلك قول النبي ﷺ (والله لأقتلنهم حتى تتفرد سالفتي)^(٩٩) وقول أبي بكر وقت الردة: (ولو خالفتني يميني لجاهدتها بشمالي)^(١٠٠) يقول أستاذنا محمد أحمد الراشد نفع الله به:

والمعنى واضح في أمر الله تعالى لنبيه في عدم تكليف أحد إلا نفسه، وألا ينتظر إعانة أحد رغم أن المعلوم من الشريعة أن الأمة كلها مكلفة بالجهاد، ولكن المعنى أن يفترض كل مسلم من الأمة والقُدوة في ذلك نبيها ﷺ - إنه المكلف بالأداء، وأن الله قادر على نصره وينحصر واجبه في تحريض المؤمنين^(١٠١)

والإيجابية التي رعى القرآن المسلم عليها والتي تميزه عن غيره من الناس، وتجعل له السبق والغلبة على أقرانه ونظرائه، وهي كذلك التي تجعل الفرد عنصراً فعالاً في مجتمعه مؤثراً فيما حوله، وفي القرآن حشد هائل من الصور التي يتعلم المسلم الإيجابية منها من ذلك موقف إبراهيم -عليه السلام- مع قومه وكيف واجههم في قوة وكان لإيجابية أثر في بيئته حيث لم يكن -عليه السلام- سلبياً ولا انطوائياً منعزلاً عن الناس متعبداً في صومعته، بل خاض المعركة الشرسة رغم ضراوتها، وواجه قومه بما يكرهون، ورماهم بالحمق والسفه قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالَمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ

(٩٩) البخاري (ك) الشروط (ب) الشرط في الجهاد ح ٢٥٨١ ج ٢ ص ٩٧٥

(١٠٠) تفسير القرطبي / ج ٣ ص ١٤-١٥.

(١٠١) الإيجابية في حياة الداعية / محمد أحمد الراشد ص ١٠



أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدِيرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨)
قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ
(٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا
يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى
أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رِعُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ
يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أَفَ لَكُمْ
وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) (الأنبياء ٥١/٦٧)

يقول الأستاذ عبد الكريم زيدان نفع الله به: فعلى الداعي المسلم أن يعمل جاهدا ليجعل شخصيته الإسلامية مثل أو قريبا من شخصية إبراهيم الإسلامية، فلا يتأثر بالبيئة الفاسدة وأهلها إذا وجد نفسه فيها، كما عليه ألا ترهبه جموع المبطلين ولو كان وحده، فقد كان إبراهيم وحده لم يؤمن له إلا زوجته سارة وابن أخيه لوط .

وليستحضر في ذهنه موقف إبراهيم من قومه من جداله معهم، وفيما قاله لهم وقد جاءوا به على أعين الناس، وليعلم يقينا أن الباطل لا يصير حقا بكثرة أتباعه، وأن الحق يبقى حقا ولم يجد من يحمله ويدعو له غير واحد فقط^(١٠٢)

حينما يقرأ المسلم كتاب الله - عز وجل - ويتأمل قصص الأنبياء يجد فيها الإيجابية الفعالة المؤثرة، ويتعلم أن المسلم ليس مسئولا عن نفسه فقط، بل مسئولا عن بيئته التي يعيش فيها، كذلك عليه أن يقف في وجه الفساد ولا يستسلم لأهله وإن كثر عددهم، بل يأمر وينهي، ويصلح قدر جهده ما أفسده الناس من حوله ولا انجرف مع التيار، وكانت فتنة ما لها من فواق.

(١٠٢) المستفاد من قصص القرآن/د: عبد الكريم زيدان ج ١ ص ٢٠٨



ومن الصور البليغة التي يستشهد بها من القرآن على الإيجابية التي ينبغي أن يربى المسلم عليها قصة الهدد مع سليمان -عليه السلام- فهذا هدد يسير بمفرده دون إذن من قائده مسبق، ولا أمر ينفذه، وكانت إيجابيته سببا في إسلام أمة كاملة

قال تعالى: (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لِأَعَذَّبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحْتَهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأَ بِنَا يُقِينِ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يَخْرُجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦)).

(النمل)

والآيات ترسم لنا صورة ولا أروع لهدد يقظ منتبه ذكي متحرك، اهتبل فرصة سانحة ليلبغ نبأ هاما حرصا منه على أداء دوره كعبد لله -سبحانه وتعالى- وطمعا في نشر التوحيد مع براعة في حسن الأداء، وجودة العرض، وشجاعة الاعتذار، وما اختيار القصة إلا للاستدلال بها كي يؤخذ من ثناياها ثلاثة أمور يستدل بالأدنى منها على الأعلى، فالداعية أولى من الهدد بالعمل الإيجابي، والسعي وراء المصالح، والبحث عن الخير فما من أفضلية خاصة لهذا الطائر الاعتيادي إذا تجاوزنا الإسرائيليات والمبالغات التي لا تفيدها النصوص، والمؤمن الداعي أولى أن يقوم بالعمل المثمر دون انتظار أوامر وتعليمات من الأمير، والنظر إلى قيادات العمل الإسلامي في عدم توقعها القيام بكل الخطط وتوجيه جميع الأوامر أولى، فهذا نبي الله المؤيد بالوحي من جهة، وسخرت له الجن والطير لم يكن قادرا على الإحاطة بجميع الأوامر .





ولم يكن ملما بجميع المعلومات فاحتاج إلى معلومة صغيرة من طائر صغير، فكانت إيجابية التابع عونا لعمل الأمير، وكذلك يستدل بالعمل الصغير للاهتمام بما هو أكبر من ذلك، وقد تقوم إيجابية الداعية بجلب منافع أكبر من الأخبار، وأهم من الشواهد، وهكذا يستدل على التابع والمتبوع ونوع العمل من قصة الهدد لاستلهاهم ما ينبغي أن يكون عليه الواقع الدعوي، وعدم استصغار ما دق منها^(١٠٣)

إن الصحابة - رضوان الله عليهم - تربوا على الإيجابية، بل فهموا من أول لحظة أن هذا الدين صبغ ليكون المنتمي إليه عنصرا فعالا متحركا يعمل له منذ تطأ أقدامه عتبة الإسلام، فهموا أن المسلم القاعد مغبون خاسر، وأن المسلم السلبي ليس له من الإسلام إلا اسمه ورسمه دون جوهره وحقيقته، وهذا الصحابي الجليل ثمامة بن أثال فهل أذاك نبؤه؟

أسلم ثمامة بعد ما وقع أسيرا بيد سرية بعثها النبي ﷺ، ثم قال بعد إسلامه مباشرة: لئن كنت أصبت من أصحابك دما فما الذي توجبه علي؟

فقال النبي ﷺ : (لا تثريب عليك يا ثمامة، فإن الإسلام يجُب ما قبلهن وبشره فانبسطت أسارير ثمامة، وقال: والله لأصيين من المشركين أضعاف ما أصبت من أصحابك، ولأضعن نفسي وسيفي ومن معي في نصرتك ونصرة دينك.

ثم استأذن النبي ﷺ في العمرة فأذن له، فدخل مكة مليبا، فأعلى صوته فكان أول رجل على وجه الأرض يدخل مكة مليبا، فسمعتة قريش فطارت إليه بأسلحتها، فلما هم شاب أن يردي به ويقتله قالوا له: ويحك أتعلم من هذا؟ إنه ثمامة بن أثال ملك اليمامة، والله إن أصبتموه بسوء قطع قومه عنا الميرة، وأماتونا جوعاً، ثم أخبرهم بأنه اختار خير دين، ثم أردف قائلا: أقسم برب هذا البيت إنه لا يصل إليكم بعد عودتي إلى اليمامة حبة من قمحها أو شئ من خيراتها حتى تتبعوا محمداً عن آخركم، وبالفعل استمر ثمامة، وعاد فأمر قومه بمنع الميرة عن قريش.

(١٠٣) الإيجابية في حياة الداعية/ محمد أحمد الراشد ص ١٣-١٤



ففعّلوا حتى أجهدت المقاطعة والحصار قريشا، وكتبوا إلى النبي ﷺ يسألونه بالرحم أن يأمر ثمامة أن يبعث إليهم ما يحتاجونه ففعل ﷺ، وكتب إلى ثمامة بأن يطلق لهم مبرتهم فأطلقها^(١٠٤).

ومن المعلوم أن ثمامة رضي الله عنه - لم يجلس لأستاذ يعلمه كيف ومتى يدعو؟ وكيف يخدم دينه؟ لم يدرس فقه الدعوة ولكنه بمجرد أن أسلم عرف كيف يخدم دينه؟، وكيف يضر أعداءه؟ فضرب عليهم الحصار حتى أجاعهم وأجهدهم، ثم الانضباط الحركي حيث استجاب لأمر قائده ﷺ، وأطلق الميرة بمجرد تلقي الأمر، ودون مناقشة أو جدال.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه - يسعد المسلمون سعادة غامرة، ويكبرون لإسلامه فتكون أول كلماته بعد الشهادتين ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما - أنه لما أسلم عمر كبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد، وقال يا رسول الله ألسنا على الحق؟ قال: (بلى) قال ففيم الاختفاء؟ فخرج رسول الله ﷺ وصهيب بن سنان - رحمه الله - قال: لما أسلم عمر -رضوان الله عليه - ظهر الإسلام ودعى إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقا، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتي به^(١٠٥)

يقول الإمام الراشد محمد أحمد الراشد: ومن خلال تربية المصطفى ﷺ الصحابة صار كل صحابي أمة وحده، وما من صحابي إلا وله سمة معينة، وموقف خاص، وإبداع متميز فمنهم من أشار واقتراح، ومنهم من أوضح وشرح،

ومنهم من أضاف واستدرك فيما يخدم الدعوة وحركة الإيمان: فسلمان الفارسي يستفيد من خليفته الحضارية ويقترح حفر الخندق وحباب بن المنذر رأى الوقوف في بدر على الماء، وآخر ينصب المجانيق في غزوة الطائف وأبو بصير يخطط لحرب عصابات بعيدا عن بنود صلح الحديبية، وعمر بن الخطاب يقرب سيفه في نفس الهدنة من أبي جندل طمعا في أن يستله ويقتل أباه دون مؤاخذه وللصحابة والتابعين بطولات وجولات نستل منها فقط قصة ذلك المجهول في القادسية صاحب الإبداع عند ملاقاته الفرس،

(١٠٤) انظر صور من حياة الصحابة/ عبد الرحمن رأفت الباشا ط ١ دار الأدب الإسلامي ص ٦١-٦٤
(١٠٥) مناقب عمر لان الجوزي تحقيق د/ زينب الفار ط دار الكتب العلمية ص ١٨



حيث نفرت خيل المسلمين من الفيلة، فعمد رجل منهم فصنع فيلا من طين، وأنس به فرسه حتى ألفه، فلما أصبح لم ينفر فرسه من الفيل فحمل على الفيل الذي كان يقدمها فقبل له: إنه قاتلك قال: لا ضير أن أقتل ويفتح للمسلمين^(١٠٦) ومن مظاهر الإيجابية التي ربي المسلمون عليها، الثقة بالنفس، والهمة العالية، وعدم احتقار النفس، وعدم احتقار شيء من المعروف ولو كان قليلا فر درهم سبق ألف درهم وليس العطاء بالكم

قال تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨))

يقول ﷺ (اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة)^(١٠٧)

ويقول ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط"^(١٠٨)

وروى البخاري في أول كتاب الرقائق عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ"^(١٠٩)

والمعنى أن قعود المسلم دون عمل نافع يعملُه وعنده من الوقت والعافية ما يعينه على العمل هو غبن وخسارة بالغة، والمعنى كذلك أن من كان صحيحاً معافى فارغا فليحرص على ألا يغبن بترك العمل بما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه، فمن فرط في العمل فهو المغبون، وما أكثر المغبونين ودليل ذلك قوله ﷺ: - كثير من الناس - فلا يوفق للاستفادة من عافيته ووقته بالعمل المثمر البناء إلا قليلا،

(١٠٦) الإيجابية في حياة الداعية/ محمد أحمد الراشد ص ١٦
(١٠٧) البخاري (كتاب) الزكاة (باب) اتقوا النار ولو بشق تمرة ح ١٣٤٧ ج ٢ ص ٥٠٢
(١٠٨) مسلم (كتاب) البر والصلة (باب) استحباب طلاقة الوجه والشفاعة فيما ليس بحرام ح ٢٦٢٦ ج ٤ ص ٢٠٢٦
(١٠٩) البخاري (كتاب) الرقاق (باب): ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش إلا عيش الآخرة ح ٦٠٤٩ ج ٥ ص ٢٣٥٧



ورحم الله شوقيا حين قال

دقات قلب المرء قائمة له إن الحياة دقائق وثواني
فاصنع لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثاني^(١)

هكذا رعى الإسلام الفرد المسلم على العقيدة التي تمثل قاعدة الإيمان، وأصل الإيمان بالله وملائكته الكرام البررة، وكتبه المطهرة، ورسله الكرام، واليوم الآخر الذي يفصل الله فيه بين الناس، وينتصر للمظلوم من الظالم، والقدر خيره وشره. رياه على العقيدة الحية المثمرة التي تمثل العمل الصالح، فالعقيدة ليست مجردة من العمل وليست شيئاً مستقراً في القلب وكفى، بل هي شجرة طيبة تثمر العمل الطيب، وهي شجرة معطاءة.

وعمق القرآن في نفس المؤمن الإيمان بالله واليوم الآخر، وربط بينهما في كثير من آياته فلا يذكر أحدهما إلا يذكر الآخر معه، وكذلك حرر القرآن المسلم من العبودية إلا لله فالعبودية له - سبحانه - حرية ورفعة وشرف، والعبودية لغيره مذلة ومهانة.

ورعى القرآن المسلم على الحركة والإيجابية فأنشأه عنصراً فعالاً مؤثراً في بيئته يؤثر ولا يتأثر، أعني بالفساد حوله

رابعاً: رياه عقلياً: اهتم القرآن الكريم كثيراً بتنمية عقل المسلم، ورسم الطريق الصحيح له؛ ليمشي حيث يثمر حيث لا تتبدد طاقته، وتضع قدرته فأمره أن ينظر في الكون، ويتأمل فيما حوله ليتعرف على سنن الله التي لا تتخلف ولا تتبدل ورسم له الطريق الموصلة للتفكير العلمي الصحيح قال تعالى:

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) (سورة العنكبوت / ٢٠))



وكذلك حضّنا القرآن الكريم على التفكير الموضوعي المجرد من الهوى والعاطفة والذات فهذا نوح -عليه السلام- يقول لربه:

(رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) (هود: ٤٥) فيكون الجواب:
(قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (هود: ٤٦)

فمعرفة حدود الذات سبيل إلى التفكير الموضوعي، وكذلك نقد الذات سبيل إليه يقول الدكتور/عبد الكريم بكار: إن نقد الذات يمثل إحدى قمم الموضوعية، فهو إقرار ببشرية بني آدم التي لا تستطيع أن تخرج من دوائر الجهل والقصور والخطأ إلا من عصم الله، يخبرنا سبحانه عن أبينا آدم وأما حواء حين أكلا من الشجرة، وبدت لهما سوانتهما،

وعرفا الوقوع في المخالفة فإنهما أسرعاً إلى الإنابة قائلين: (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الأعراف: ٢٣)

وهذا موسى -عليه السلام- يعترف بخطئه قتل القبطي نصرة للإسرائيلي فيقول: (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (القصص: ١٦) وهذا يونس عليه السلام (وَذَا النُّونُ إِذْ ذُهِبَ مَغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأنبياء/٨٧).

وهذه بلقيس ملكة سبأ تعلن توبتها من عبادة الشمس قائلة (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (النمل: ٤٤)

إن نقد الذات سيظل مقياساً للوعي بالذات، وللوعي بالماضي والحاضر، والأمة التي تحرم منه تحرم من الخير الكثير^(١١٠)

(١١٠) فصول في التفكير الموضوعي د/ عبد الكريم بكار ص ١٥٥ ط ١ دار القلم دمشق ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م



وهكذا ربي القرآن الكريم المسلم على التفكير العلمي والموضوعي، ورسم لعقله طريقاً معبداً
مذلاً واضحاً لا غموض فيه؛ ليحسن السير فلا يصبه عطب أو عثار ولا يبدد ملكاته

خامساً: تربية الإرادة عند المسلم

الإرادة قوة الرغبة والاختيار التي توجه الإنسان نحو قصد معين، وهي قوة باعثة يتولد منها
الميل إلى الشيء أو النفور منه، والإرادة هي الوظيفة الثانية من وظائف القلب فحين يفرغ
القلب من الوظيفة الأولى أي: عقل الأفكار والأشخاص والأشياء والمواقف والظواهر التي
تجسد المثل الأعلى، ثم تحليلها وتقييمها يأتي دور الوظيفة الثانية وهي تقبل هذه الأفكار
والظواهر أو رفضها كلياً وجزئياً^(١١)

وعلى هذا فالإرادة قوة كامنة في كل إنسان، وهي قوة فاعلة مؤثرة موجهة توجه الإنسان إلى
العمل أو ترده عنه، وبها يكون الإنسان في صفوف أهل الحق أو في صفوف أهل الباطل،
فهي الدفة المحركة للإنسان، ولذا عني القرآن أيما عناية بتربية الإرادة بكل مستوياتها لاسيما
إرادة العقيدة والقيم لدى نفس الإنسان بنوعه، وإرادة العقيدة والقيم العليا هي الهدف الذي
يعمل القرآن على تنميته، وإرادة الإنسان للنكاح لاستمرار النوع البشري هي مستويات هامت
لكنها وسائل مساعدة للوصول إلى الهدف الرئيسي وهو إرادة العقيدة، والقيم العليا، والمبادئ
المتلى،

فالإنسان فيه ميل طبيعي إلى تعشق المثل الأعلى الذي يرتقي بنوعه عن أن يقف عند
الإسهام في بقائه الجسدي.

وثمة إرادات فرعية تتفرع عن المستويات الأساسية للإرادة قد ذكرها القرآن الكريم وهي إرادات
فعالة مؤثرة منها:-

- إرادة العزة (مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً) (فاطر: ١٠)
- إرادة الإحسان (إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا) (النساء: ٦٢)

(١١) أهداف التربية الإسلامية د/ ماجد عرسان الكيلاني ص ١٢٢



- إرادة الإصلاح (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ) (هود: ٨٨)
- إرادة الهدى (أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ) (النساء: ٨١)
- إرادة النصيحة (وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ) (هود: ٣٤)
- إرادة التيسير (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ) (القصص: ٢٧)
- إرادة التواضع والصلاح (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا) (القصص: ٨٣)
- إرادة الآخرة (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) (آل عمران: ١٥٢)
- إرادة التعليم (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) (طه: ١١٤)

ولإرادة الفضائل والأخلاق، ولإرادة الحلال في المأكل والملبس والجنس، والنفور من الإراتات السيئة والمحرمة التي تقابل الإراتات الفاضلة والمباحة، ومحور هذه الإراتات كلها الذي تتوحد فيه وتتفرع عنه: هو إرادة الله سبحانه وتعالى

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ)
(الكهف: ٢٨)

(وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) (٣٩) (الروم: ٣٩) (١١٢)

ولإرادة الله - سبحانه - هدف التربية القرآنية الأسمى، فالقرآن يربي المسلم على حسن القصد والإخلاص ولإرادة الله في كل قول وفعل، ويحرص القرآن على غرس هذه الإرادة في قلب المسلم ورعايتها وتنميتها، لأنها أم الإراتات، وينبوع الإراتات النبيلة التي تتوجه للارتفاع بالحياة، والعمل على طهرها، وذبوع الحق العدل فيها وسهولتها ويسرها يقول سبحانه: (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ) (غافر: ٣١)

(١١٢) أهداف التربية الإسلامية د/ ماجد عرسان الكيلاني ص ١٢٤



هذه إرادة العدل الذي به قامت السماوات والأرض، وهو أساس الملك والخير في الأرض ويقول سبحانه وتعالى: (وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيَبْطُلَ الْبَاطِلُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) (الأنفال ٧: ٨)

هذه إرادة الحق وتكون بالتدافع بين الحق والباطل، وتكون الغلبة والظفر للحق، والباطل وأهله مخذولون مهزومون بقوة الله ولإرادته.

ويقول سبحانه: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (البقرة: ١٨٥)

ويقول سبحانه: (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ) (المائدة: ٦)
فالتربية القرآنية تربي المسلم على إرادة العقيدة والقيم العليا، على إرادة الله - سبحانه - في كل عمل، وإرادة الله - سبحانه - إرادة مثمرة لكل الإرادات الطيبة النبيلة، أما التربية التي تجعل مثلها الأعلى إرادة الدنيا، إرادة الرفاهية والترف فإنها تفرز عددا من الإرادات الفاسدة ذات الآثار السلبية مثل

١- إرادة الدنيا : (مَنْكُم مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا) (آل عمران: ١٥٢)

ولإرادة الدنيا من شر الإرادات لأنها تحرم صاحبها من ثواب الآخرة، ويا بُؤْسَ من حرم ثواب الآخرة قال تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ تَصِيبٍ) (الشورى/٢٠) ولقد أمر الله نبيه ﷺ أن يعرض عن طالب الدنيا ومريدها فمن كانت الدنيا همه سلك إليها كل طريق تسنح له دون اعتبار لشيء، ومن كان كذلك فلا خير يرجى منه

قال تعالى: (فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) (النجم/٢٩)





أهداف التربية القرآنية

٢- إرادة الفحشاء: (قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ)
(هود: ٧٩)

فكانوا كمن رغب عن اللحم الشهوي ليقبل بدلا منه اللحم المنتن راغبا فيه.

٣- إرادة العدوان: (فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا)
(الإسراء: ١٠٣)

٤- إرادة طمس الحق: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ).
(الصف: ٨)

وقال سبحانه: (وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ)

(غافر: ٥)

٥- إرادة الإفساد: (وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ)

(النساء: ٤٤)

٦- إرادة الخيانة: (وَإِنْ يَرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ)

(الأنفال: ٧١)

٧- إرادة النفاق: (يُرِيدُونَ أَنْ يُآمِنُوكُمْ وَيَأْمِنُوا قَوْمَهُمْ)

(النساء: ٩١)

٨- إرادة الجبن: (إِنْ يَرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا)

(الأحزاب: ١٣)





٩- إرادة التزييف : (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ)

(الفتح: ١٥)

١٠- إرادة الكيد والمكر : (وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ)

(الأنبياء: ٧٠)

١١- إرادة الجاه : (مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ)

(المؤمنون: ٢٤)

ومثلها إرادة العصبية للقوم والوطن والجنس واللون، وإرادة الحرام من المال والمطعم والجنس، وإرادة السلطان والتجبر، وإرادة اللهو، وإرادة المتعة والترف، وإرادة الرزيلة والشهوة، وإرادة الملك الجائر والحكم، وكلها إرادات هابطة في نفسها تهبط بصاحبها، بل بالنوع الإنساني كله إلى أوهد حضيض، تهبط بالإنسان إلى مستنقع آسن وحمأة وبيئة وهوة سحيقة لا منجاة له منها، والواقع في بلاد الغرب التي جعلت الدنيا همها والترف والمتعة الجنسية بغيتها أقول: إن الواقع الغربي يشهد بمدى الانحطاط الذي هبطت إليه تلك البلاد.

فقد وصل الغرب المادي في القرن العشرين إلى مستوى من الانحطاط الخلقي والروحي لم تعرف البشرية في جاهليتها الأولى مثله، ولا قريباً منه.

وحين قال (برتراند راسل) الفيلسوف الانجليزي المعاصر:

إن سيادة الرجل الأبيض قد انتهت لم يقل ذلك لأن الرجل الأبيض قد خلا من العلم، أو فرغ من التقدم المادي، أو توقف عن الصعود الدائم في عالم الإنتاج، ولكنه قال ذلك لأن الرجل الأبيض قد فرغ من الداخل من العقيدة الصالحة، فرغ من الروح، فرغ من الأخلاق بمعناها الإنساني الواسع لا بمعناها النفعية الضيق الذي يمارسه الغرب في وقته الحاضر، ولو كان التقدم العلمي أو الإنتاج المادي أو غير ذلك من الأشياء الموجودة في خارج النفس له الأثر الحاسم في تكييف النفس البشرية لوجب أن يرتفع الغرب اليوم إلى القمة الإنسانية العليا في كل ميدان من ميادين السلوك البشري،

أهداف التربية القرآنية

ولما وجد هذا الوجه القبيح الكالح الكريه الذي يطل به الغرب على العالم اليوم، التمييز العنصري والاستعمار والانحلال الخلقي والانحطاط الروحي والصراع الكريه على التوسع والتملك على حساب الكرامة البرية والفراغ المدمر الذي يعيش فيه العالم من خوف الحرب والهلاك^(١١٣) ويحرص القرآن الكريم على تنمية الإرادات النبيلة التي يرتقي بها النوع الإنساني كله، وذلك بعرض المثل الأعلى الذي يضحي الإنسان في سبيله، ويبذل روحه، وكل عزيز عليه لأجله.

والتربية القرآنية لا تجيز للمسلم أن يضحي من أجل الدنيا أو الهوى، وتجيز للمسلم أن يضحي لأجل المثل الأعلى الذي ترتقي به إرادة الإنسان النبيلة.

والمسلم يقرأ القرآن فيعرض له نماذج كثيرة للمثل الأعلى الذي يحتذى، وأنبياء الله خير مثل يحتذى فيه صدقهم وإخلاصهم وأخلاقهم وعبادتهم، والنبي ﷺ خير مثل يقتدى قال تعالى :

- (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدْ) (الأنعام/ ٩٠)
- (وَإِذْ كَرِهَ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمُ إِتَهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا) (مريم/ ٤١)
- (وَإِذْ كَرِهَ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِتَهُ كَانَ مَخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) (مريم: ٥١)
- (وَإِذْ كَرِهَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلُ إِتَهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) (مريم: ٥٤)
- (وَإِذْ كَرِهَ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسُ إِتَهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا) (مريم: ٥٦)
- (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (الأنبياء: ٨٣)
- (وَإِذْ التَّوْنُ إِذْ ذُهِبَ مَغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ تَقْدَرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأنبياء: ٨٧)
- (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) (الأنبياء: ٨٩)
- (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤)
- (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب: ٢١)

(١١٣) معركة التقاليد/محمد قطب ط ١١ دار الشروق ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ص ٨١-٨٢



إن المسلم يتعشق المثل الأعلى، ويقتدي به، ويضحي لأجله، وبذلك ترتقي إرادة الخير والعقيدة والقيم عنده، وهكذا يتربى المسلم في مدرسة القرآن: عقيدة صحيحة، إيمان عميق بالله واليوم الآخر، وعقل مفكر متأمل باحث، وعبودية لله خالصة، وإرادة قوية تميل به وتدفعه إلى الخيرات، إرادة تنمو بالمثل الأعلى الذي يعشقه المسلم.

مسلم عابد مخلص إيجابي بصير لا يدب على غير هدى، مؤمن بالله متمسك بأمره، منته عن نهيه، مجد لا يعرف الهزل، وإنما يأخذ الأمور بجد وحزم، متحرك يحب الخير، ويلتزم، ويدعو الناس إليه، ويحضهم عليه، ولا يمل من تذكيرهم، وهو مؤثر لهوى الله على هوى النفس، مقدم لمراد ربه على كل مراد، ولما يحبه الله على كل حب، وهو في الجملة مسلم شاهد لدينه باستكمال لأداب الإسلام وتحليه بأخلاقه الرفيعة، وهذه جملة من الآيات القرآنية التي تتضح فيها صفات المسلم الحق الذي تربي في مدرسة القرآن .

يقول الله سبحانه: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) .

(المؤمنون / ١ - ١١)

ويقول عز وجل: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)

(الأنفال)





ويقول سبحانه: (لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (التوبة: ٨٨)

ويقول تعالى: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (التوبة: ١١٢)

ويقول: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٣٥)

ويقول سبحانه: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) (الفتح: ٢٩)

ويقول عز وجل: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر: ٩)

ويقول سبحانه وتعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) (يوسف: ١٠٨)

ويقول: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوبٌ) (الصف: ٤)
ويقول سبحانه: (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) (٣٧)
وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨)
وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَجِزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ سَبِيلٍ (٤١)



ويقول تقدست أسماؤه: (الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)

(البقرة: ١: ٥)

ويقول سبحانه: (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَنْتَظِرُ أَوَّلُوا الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوَفُّونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يوصلَ وَيَخْشُونَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ (٢٢)

(الرعد)

ويقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ)

(النساء ١٣٥)

وقد تجلت صفات المسلم الحق في سنة النبي ﷺ ومن ذلك قوله: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) (١١٤)

وقوله: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (١١٥)

وقوله: (إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالأنساب، كلكم لآدم، وآدم من تراب) (١١٦)

(١١٤) متفق عليه: البخاري (كتاب المظالم (باب) نصر المظلوم ح ٢٤٤٦ ومسلم في البر والصلة (باب) تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ح ٢٥٨٥ ج ٤ ص ١٩٩٩

(١١٥) متفق عليه: البخاري (كتاب الألب (باب) رحمة الناس والبهائم ح ٥٦٦٥ ج ٥ ص ٢٢٣٨ ومسلم (كتاب) البر والصلة (باب) تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ح ٢٥٨٦ ج ٤ ص ١٩٩٩

(١١٦) (حسن) الترمذي (كتاب المناقب (باب) في فضل الشام واليمن ح ٣٢٧٠ ج ٥ ص ٣٨٩ وأبو داود (كتاب) الأدب (باب) في التقاخر في الأحساب ح ٥١١٦ ج ٤ ص ٣٣١

، وقوله: (ليس الشديد بالصرعة ولكن من يملك نفسه عند الغضب) ^(١٧)

وقوله: (تبسمك في وجه أخيك صدقة)^(١١٨)

ذلك هو المسلم كما أراد الله ورسوله، مجاهد معطاء بصير صبور رحيم، وفي الشعر جمال
يقول الشريف الرضى

يصول على الجاهلون وأعتلي
يرون احتمالي غصة ويزيدهم
وقور فلا الألمان تأسر عزمتي
ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها
وتحلم عن ذكر القوارص شيمتي
لساني حصة يقرع الجهل بالحجا
ولست براض أن تمس عزائمي
غرائب آداب حباني يحفظها

(^{١١٧}) متفق عليه البخاري (كتاب الأدب (باب): ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله ح٥٧٦٣ ج٥ ص٢٦٧ ومسلم (كتاب البر والصلة (باب) فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأى شيء يذهب الغضب ح٢٦٠٩ ج٤ ص٢٠٤

(١١٨) (صحيح) الترمذي (كتاب البر والصلة (باب) ما جاء في صنائع المعروف ج١٩٥٦ ص٣٣٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٩٠٨

(١١٩) العاضه: الكاذب

(٢٠) المختارات للمنفلوطي مكتبة مصر - ص ٥٢



أهداف التربية القرآنية

ويقول غيره

وبين بني عمي لمختلف جدا	وان الذي بيني وبين بني أبي
وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا	فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وان هم هووا غي هويت لهم رشدا	وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم
زجرت لهم طير تمر بهم سEDA	وان زجروا طيرا بنحس تمر بي
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا	ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وان قل مالي لهم أكلفهم رfدا ^(١٢١)	لهم حل مالي إن تتابع لي غني



(^{١٢١}) السابق ص ٥٣



الفصل الثالث: إقامة الأسرة المسلمة

وسوف ينتظم حديثنا عن الأسرة المسلمة ما يلي :

أولاً: مفهوم الأسرة المسلمة وأهميتها.

ثانياً: دور الوالدين.

ثالثاً: أهداف الأسرة المسلمة.

أولاً: مفهوم الأسرة :-

لغة: الأسرة هي الدرع الحصينة وأهل الرجل وعشيرته، والجماعة يربطها أمر مشترك^(١٢٢)

اصطلاحاً: يعرف علماء الاجتماع الأسرة عامة بأنها: اللبنة الأولى في البناء الاجتماعي

وهذا تعريف يصدق على كل أسرة بغض النظر عن دينها وعقيدتها، أما الأسرة في الإسلام فهي اللبنة الأولى القائمة على العقيدة الإسلامية في بناء المجتمع، ويعتبر تقييد الأسرة بالقيام على العقيدة الإسلامية الفيصل بين الأسرة الإسلامية وغيرها^(١٢٣)

ولما كانت الأسرة المسلمة هي اللبنة الأولى في صرح المجتمع المسلم، وواحة السكن والراحة والأمن اهتم القرآن بها، وشرع لها ما يحميها وينميها ويعينها على أداء دورها قال تعالى:

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)
(الرُّوم/٢١)

^(١٢٢) المعجم الوسيط ج ١ ص ١٧
^(١٢٣) أصول التربية الإسلامية د/ أحمد أبو لاوي - ص ٢٢٢



(البقرة: ١٨٧)

وقال سبحانه : (هَنَ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ)

قال النسفي: أي ستر عن الحرام^(١٢٤)

وقال ابن كثير : قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وعطاء الخرساني ومقاتل بن حيان: يعني هن سكن لكم وأنتم سكن لهن^(١٢٥)

ويقول صاحب الظلال رحمه الله:

ومن أهمية التقاء شطري النفس الواحدة لإنشاء مؤسسة الأسرة، ومن ضخامة تبعة هذه المؤسسة :

أولاً: في توفير السكن والطمأنينة والستر والإحسان للنفس بشطريها.

وثانياً: في إمداد المجتمع الإنساني بعوامل الامتداد والترقي كانت تلك التنظيمات الدقيقة المحكمة التي تتناول كل جزئية من شئون هذه المؤسسة^(١٢٦)

ومما يدل على أهمية الأسرة كمحضر يترى فيه الأولاد على القيم والمبادئ أن القرآن احتوى على كثير من السور التي تعالج أمر الأسرة مثل البقرة والنساء والنور والمجادلة والطلاق والتحريم، وأخص بالذكر سورة الطلاق فهي سورة كاملة تتناول جزئية تتصل بالأسرة تتناول مسألة الطلاق وتفصل الحديث عنها. يسترعي نظرك في هذه السورة، أنها تربط القضية بالله تعالى مباشرة في جل آياتها

فالآية الأولى تختم بقوله تعالى:

(لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً)

^(١٢٤) النسفي - ج ١ - ص ٩٥
^(١٢٥) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٢٠
^(١٢٦) في ظلال القرآن ج ٢ ص ٦٤٩



أهداف التربية القرآنية

والآية الثانية تختتم بقوله تعالى:

(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً)

والآية الثالثة تختتم بقوله:

(قد جعل الله لكل شئ قدراً).

والآية الرابعة تختتم بقوله تعالى:

(ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً).

والآية الخامسة تختتم بقوله تعالى:

(ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً).

والآية السابعة تختتم بقوله تعالى:

(لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً).

والآية العاشرة تختتم بقوله تعالى:

(قد أنزل الله إليكم ذكراً).

والآية الحادية عشرة تختتم بقوله تعالى:

(قد أحسن الله له رزقاً).





والآية الأخيرة تختتم بقوله تعالى:

(اتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً)

ويلفت النظر كذلك ربط الأمر بتقوى الله ، وتكرار الأمر بالتقوى، وبيان عاقبة المتقين حيث يكفر الله عنهم سيئاتهم، ويعظم أجورهم، ويبسر أمورهم، ويجعل الجنة بأنهارها وخيرها مستقرهم، ويسترعي نظرك كذلك التهديد قوي اللهجة، بل ذلك التهديد العنيف (وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرَسُولِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا ثُكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا...)(الطلاق: ٨-١٠)

يقول صاحب الظلال - رحمه الله - تعليقا على ذلك :

إنه يدل ابتداء على خطورة شأن الأسرة في النظام الإسلامي فالإسلام نظام أسرة، البيت في اعتباره مثابة وسكنا في ظله. تلتقي النفس على المودة والرحمة والتعاطف والبر والتجمل والطهارة، وفي كنفه تنبت الطفولة، وتدرج الحداثة، ومنه تمتد وشائج الرحمة وأواصر التكامل، ومن ثم يصور العلاقة البيئية تصويرا شفيفا يشع منه التعاطف، وترف فيه الظلال، ويشيع فيه الندى، ويفوح منه العبير (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم)

(هن لباس لكم وأنتم لباس لهن)

فهي صلة النفس بالنفس، وهي صلة السكن والقرار، وهي صلة المودة والرحمة، وهي صلة الستر والتجمل، وإن الإنسان ليحس في الألفاظ ذاتها حنوا ورفقا، ويستروح من ظلالها نداوة وظلا، وأنه لتعبير كامل عن حقيقة الصلة التي يفترضها الإسلام لذلك الرباط الإنساني الرفيق الوثيق، ذلك في الوقت الذي يلحظ فيه أغراض ذلك الرباط كلها بما فيها امتداد الحياة بالنسل، فيمنح هذه الأعراض كلها طابع النظافة والبراءة، ويعترف بطهارتها وجديتها، وينسق بين اتجاهاتها ومقتضياتها، ذلك حين يقول: (نساوكم حرث لكم) (البقرة: ٢٢٣).





فيلحظ كذلك معنى الإخصاب والإكثار، ويحيط الإسلام هذه الخلية، أو هذا المحضن، أو هذه المثابة بكل عنايته وبكل ضماناته، وحسب طبيعة الإسلام الكلية فإنه لا يكتفي بالإشعاعات الروحية، بل يتبعها التنظيمات القانونية، والضمانات التشريعية، والذي ينظر في تشريعات الأسرة في القرآن والسنة في كل وضع من أوضاعها، وكل حالة من حالاتها، وينظر في التوجيهات المصاحبة لهذه التشريعات، وفي الاحتشاد الظاهر حولها بالمؤثرات والمعقبات، وفي ربط هذا الشأن بالله مباشرة في كل موضع يدرك إدراكاً كاملاً ضخامة شأن الأسرة في النظام الإسلامي، وقيمة هذا الأمر عند الله وهو يجمع بين تقواه -سبحانه- وتقوى الرحم في أول سورة النساء (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)

(النساء: ١)

كما يجمع بين عبادة الله والإحسان للوالدين في سورة الإسراء وفي غيرها (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)

(الإسراء: ٢٣)

وبين الشكر لله، والشكر للوالدين في سورة لقمان (أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)

(لقمان: ١٤)

ولن هذه العناية القصوى بأمر الأسرة لتتناسق مع مجرى القدر الإلهي بإقامة الحياة البشرية ابتداءً على أساس الأسرة حين جرى قدر الله أن تكون أول خلية في الوجود البشري هي أسرة آدم وزوجته. وأن يتكاثر الناس بعد ذلك من هذه الخلية الأولى، وكان الله -سبحانه- قادراً أن يخلق الملايين من الأفراد الإنسانيين دفعة واحدة، ولكن قدره جرى بهذا لحكمة في وظيفة الأسرة الضخمة في حياة هذا المخلوق، حيث تلبي حياة الأسرة فطرته واستعداداته، وحيث تنمي شخصيته وفضائله، وحيث يتلقى فيها أعظم المؤثرات في حياته^(١٢٧) فالأسرة إذن هي المحضن الذي يتربى الأبناء فيه، وتنمي قدراتهم، وتلبي رغباتهم، وهي محل السكن والراحة، وهي الحلقة الأولى من حلقات المجتمع،

(١٢٧) (الظلال/ ج ٦ - ص ٣٥٩٦)



أهداف التربية القرآنية

ولذا اهتم القرآن بها، وأنزل التشريعات بشأنها، والسور تعالج قضاياها، ويهمننا كثيراً ونحن نتحدث عن الأسرة وأهميتها وضخامة مكانتها أن نتحدث عن طرفيها الأساسيين: عن حجري الزاوية فيها ودور كل طرف.

ثانياً: دور الوالدين:

أولاً : الوالد

ربما ظن كثير من الناس أن دور الوالد ينحصر في العمل والكد والكدح سعياً وراء لقمة العيش، وهو ظن خاطئ، واعتقاد قاصر، فما ذلك إلا الجانب اليسير من دور الوالد، والجهد الأكبر الذي يتوجب على الوالد القيام به هو التربية الإيمانية لأسرته، وهي مسئولية كبيرة لا اختيار له فيها بل هي فرض عين عليه استجابة لأمر الله الذي قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) (التحريم: ٦)

قال ابن كثير: يقول سفيان الثوري عن منصور عن رجل عن علي رضي الله عنه في قوله: (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)

يقول: (اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصيه، وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم من النار، وقال مجاهد: اتقوا الله، وأوصوا أهليكم بتقوى الله.

وقال قتادة: تأمرهم بطاعة الله، وتنههم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيت الله معصية تقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به، وتساعدهم عليه، وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حق المسلم أن يعثم أهله من قرابته ولمائه وعبيده ما فرض الله عليهم، وما نههم الله عنه، وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن الربيع بين سيرة عن أبيه عن جده قال:





قال رسول الله ﷺ: (مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها)

(هذا لفظ أبي داود^(١٢٨))، قال الفقهاء: وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمريناً له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانية المعاصي وترك المنكر^(١٢٩)

وقال القرطبي رحمه الله (قو أنفسكم) دخل فيه الأولاد، لأن الولد بعض منه كما دخل في قوله تعالى:

(وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ...)
(النور: ٦١)

فلم يفردوا بالذكر أفراد سائر القربابات، فيعلمه الحلال والحرام، ويجنبه المعاصي والآثام إلى غير ذلك من الأحكام، وكذلك يخبر أهله بوقت الصلاة، ووجوب الصيام، ووجوب الفطر إذا وجب مستندا في ذلك إلى رؤية الهلال، وقد روى مسلم أن النبي ﷺ كان إذا أوتر يقول: (قومي فأوترني يا عائشة)^(١٣٠)

وقال النبي ﷺ: (رحم الله امرأةً قام من الليل فصلى، فأيقظ أهله، فإن لم تقم رش وجهها بالماء، ورحم الله امرأةً قامت من الليل تصلي، وأيقظت زوجها، فإن لم يرقش وجهه من الماء)^(١٣١) ومن قوله (أيقظوا صواحب الحجر)^(١٣٢) ويدخل هذا في عموم قوله: (وتعاونوا على البر والتقوى)
(المائدة: ٢)

(١٢٨) (صحيح) أبو داود (كتاب) الصلاة (باب) متى يؤمر الغلام بالصلاة ح ٤٩٤ ج ١ ص ١٣٣ والترمذي (كتاب) الصلاة (باب) متى يؤمر الصبي بالصلاة ح ٤٠١ ج ٢ ص ٢٥٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٨٦٧

(١٢٩) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٩١ مسلم (كتاب) صلاة المسافرين وقصرها (باب) صلاة الليل والوتر وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة ح ٧٤٤ ج ١ ص ٥١١

(١٣٠) (صحيح) والنسائي (كتاب) قيام الليل وتطوع النهار (باب) الترغيب في قيام الليل ح ١٣٠٠ ج ١ ص ٤١١ وأبو داود (كتاب) الصلاة (باب) قيام الليل ح ١٣٠٨ ج ٢ ص ٢٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٤٩٤

(١٣٢) البخاري (كتاب) التهجد (باب) تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب ح ١٠٧٤ ج ١ ص ٣٧٥ ومالك ح ١٦٢٧ ج ٢ ص ٩١٣ والترمذي ح ٢١٩٦ ج ٤ ص ٤٨٧



قال مجاهد: "أوصوا أنفسكم وأهلكم بتقوى الله وأدبهم" (١٣٣)

وعند الحاكم في المستدرک: "علموا أنفسكم وأهلكم الخير" (١٣٤)

وقال مقاتل: ذلك حق عليه في نفسه وولده وأهله وعبيده ولماؤه، قال: فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير وما لا يستغني عنه من الأدب، وهو قوله تعالى: (وأمر أهلك بالصلاة) (طه: ١٣٢) ونحو قوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء: ٢١٤) (١٣٥)

فليس عذراً مقبولاً انشغال الوالد بالسعي في مناكب الأرض طلباً للرزق ليكيف أولاده عن المسألة ولن كان ذلك أمراً محموداً مطلوباً، لكنه ليس إلا جانباً من وظيفة الوالد ودوره، والجانب الأعظم والأهم والأكبر أن يغرس في أولاده الأخلاق الإسلامية الرفيعة، والقيم الإسلامية النبيلة، والمبادئ الإسلامية السامية الأصلية

وأن يغرس فيهم حب الله - سبحانه - والإيمان به وطاعته وحب النبي ﷺ واتباع سنته والذود عن شريعته، وعلى الوالد أن يعظ أولاده، ويذكرهم بالله، ويعلمهم العقيدة الصافية الصحيحة، ويبصرهم بواقع أمتهم المر وواجبهم نحوها؛ ليشبوا ولهم هدف نبيل يعملون له، وأن يجعل لأولاده من وقته نصيباً موفوراً محدداً يجالسهم، ويعلمهم، ويربيهم، ويناقشهم ويسمع لهم، ويحل مشكلاتهم بكتاب الله قراءة وحفظاً وفهما وعملاً بسنة النبي ﷺ، يغرس فيهم حبها وتعظيمها مستعيناً بكتب السنة وشروحها، وكتب السيرة التي تقص عليهم سيرة النبي ﷺ وأصحابه، وليكن قدوة صالحة لأولاده فما يتعلمه النشء بالقدوة في ليلة لا يتعلمه بالأمر والعظة والتذكير في سنة، ولن يتعلم الولد الصدق ووالده يكذب، ولا الجود والكرم ووالده يبخل، وليحرص الوالد على تعليم أولاده فقه الواقع، وليكن وقت الطفولة ذا حظ موفور من العناية والرعاية لأنها الفترة الحيوية لتكوين الوازع الديني، ومعرفة الحلال والحرام، وتكوين الضمير الخلقي والاجتماعي، وذلك بسبب شدة تأثير الولد بمن حوله،

(١٣٣) البخاري (ك) التفسير (ب) قو أنفسكم ح ٣٨٩ ج ٤ ص ١٨٦٨
(١٣٤) الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ح ٣٨٢٦ ج ٢ ص ٥٢٦
(١٣٥) تفسير القرطبي ص ٩ ص ٥١٠٧ - ٥١٠٨



وسرعة استجابته وتسليمه بمسائل الدين والعقيدة دون مناقشة، وحبه للتقليد والمحاكاة، ويمكن أن نلخص للوالد ما يجب عليه تجاه أولاده على سبيل المثال والتذكير لا الحصر فيما يلي:

أولاً :- أن يربيه عقلياً بتعليمه سبل المذاكرة الجيدة النافعة، وتشجيعه على المشاركة في الأنشطة الدينية في المدرسة والمسجد، وحثه على حسن التنصت لمعلمه، ومتابعة كراساتهِ وواجباتهِ اليومية، وزيارة الوالد لمعلم ولده في المدرسة ومكتب التحفيظ بشكل دوري، ومعاونته على تنظيم أوقاته، واختيار المكان والوقت المناسب للمذاكرة، ومساعدته في مذاكرته بالشرح والتبسيط واستخدام الأسلوب القصصي الشائق ولشعاره بأهمية التفوق، وتحبيبه في البذل والاجتهاد وطلب معالي الأمور، وعدم الاكتفاء بصغارها،

وليكن دليله في ذلك قوله تعالى: **(وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)** (طه: ١١٤)

ومن السنة دعاء النبي ﷺ قال: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله تعالى فاسألوهُ الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرج أنهار الجنة) (١٣٦)

فالفردوس أعلى الجنة، وقد أمرنا النبي ﷺ وسلم أن نسأل الله - سبحانه - الفردوس ليغرس فينا طلب المعالي وحبها، وعلى الوالد أن ينمي قدرة ولده على الابتكار والإبداع وتدريبه على النقد الموضوعي، وذلك بمساعدته على التعرف على مواهبه وإمكاناته، وتبصيره بكيفية تتميتها، وليحذر أن يحقر شيئاً في ذلك.

- وعلى الوالد أن يدرّب ولده على تطبيق جوانب المادة الدراسية النظرية في حياته اليومية، فلا قيمة لعلم لا يعمل به، بل آفتنا الكبرى اليوم ذلك الانفصام بين العلم والواقع، بل العلم قيمته في العمل به وتدريب الوالد ولده على التجربة العملية التي تؤكد صحة النظرية، وتزيد اطمئنان العقل،

(١٣٦) البخاري (كتاب) الجهاد والسير (باب) درجات المجاهدين في سبيل الله ح ٢٦٣٧ ج ٢ ص ١٠٢٨



وليكن دليله في ذلك ما أشار إليه القرآن الكريم من دور التجربة العملية في ترسيخ اليقين في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمَنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمِئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (البقرة: ٢٦٠)

فإبراهيم -عليه السلام- كان مؤمناً بقدرة الله على إحياء الموتى، وعلى كل شيء، إلا أنه أراد تجربة عملية محسوسة تزيد اليقين عنده، ونقله من مرحلة علم اليقين إلى مرحلة عين اليقين.

وقد استداب الله -سبحانه- لطلب إبراهيم -عليه السلام- وكلفه بأن يقوم بالتجربة -وعلى الولد كذلك أن يعلم ولده المنهج الإسلامي الفريد في البحث العلمي والذي لا يكتفي بالملاحظة الحسية والتجربة كما هو الحال في المناهج العلمية للبحث في الغرب، بل يضيف المنهج الإسلامي إلى ذلك التأمل في عظمة الخالق، وتدبر دقة صنعه وحسن تدبيره في مثل سبحانه (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (الذاريات: ٢١)

- وفي مثل قوله جل وعلا: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ) (٢٤) أَتَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦). (عبس)

وفي مثل قوله سبحانه: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) (الروم: ٩).

وقد ربط القرآن الكريم في جلاء ووضوح بين خشية العلماء لله والعلوم الطبيعية في قوله سبحانه:

(لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلَفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلَفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ) (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ إِمَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) (فاطر/ ٢٧- ٢٨)





أهداف التربية القرآنية

ويبدو من سياق الآيات أن العلماء المقصودين ليسوا علماء الشريعة فقط بالرغم من فضلهم ومكانتهم الرفيعة، وإنما هم - بالإضافة إلى ذلك - علماء الطبيعة الذين يعرفون آيات الله في كونه وسنته في خلقه فيما ذكر من السماء والنبات والجبال والناس والدواب والأنعام وكلها من موضوعات العلوم الطبيعية التي تزيد العالم بها خشية الله، وخوفاً منه، وإيماناً كبيراً بقدرته الواسعة الطليقة التي لا حدود لها، فيزداد خضوعاً لله،

واتباعاً لأحكامه، فبمقدار تعمق العالم في البحث في الكون تكون خشيته لله - تعالى - يرى من السنن الكونية التي لا تتخلف ما يجعله يسجد لمبدع الكون العظيم.

وعلى الوالد أن يعرف ولده أهمية العلم وقيّمته، فقد قدم القرآن الكريم العلم على الإيمان في قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ)

(الروم: ٥٦)

وقدم القرآن العلم على الإيمان والإخبارات حين عطفها بعضها على بعض بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب في قوله تعالى: (وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ)

(الحج: ٥٤)

ثانياً: التربية الإيمانية

ليس الإيمان مجرد أقوال أو معارف ذهنية كمعرفة المتكلمين والفلاسفة، كما أنه ليس مجرد عاطفة وتذوق روحي كما هو الحال عند أهل الذوق من الصوفية، ولكنه جماع ذلك كله فالإيمان قول وعمل وعاطفة ولادة وجهاد، فعلى الوالد أن يغرس في ولده الإيمان بمعناه الشامل، ويزوده بقصص المؤمنين الصالحين المجاهدين كقصص الأنبياء، وهي النموذج الأعلى، وقصص القرآن كقصة مؤمن آل فرعون، ومؤمن يس حبيب النجار، وغيرها من قصص القرآن، وهي قصص تدفع إلى الجهاد والعمل، وتزيد الإيمان بالله تعالى.





ومن ذلك إيقاظ الوالد ولده ليصلي الفجر بالمسجد مع جماعة المسلمين، ومتابعته في باقي الصلوات حتى يتعودها مع حثه على الخشوع وحضور القلب وقلة الحركة في الصلاة، وعليه أن يدرسه على العطاء والانفاق والتصدق من مصروفه الخاص؛

ليتربى على البذل والسخاء منذ الصغر فيعطيه مصروفه ومعه ما يتصدق به، وعليه تحبيبه في حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية، ومتابعته في ذلك.

وعلى الوالد أن يحث ولده على تلاوة الورد القرآني اليومي بخشوع وتدبر، مع تحسين الصوت والتغني بالقرآن والتباكي إن أعجزه البكاء لقوله ﷺ (إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكو فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا) ^(١٣٧) وحثه على الترتيل والوقوف على رؤوس الآيات لقوله تعالى: (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) (المزمل: ٤)

ولقوله تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ) (ص: ٢٩)

وليشارك الوالد ولده في القراءة وليوضح له ما خفي عنه معناه مستعينا بتفسير من التفسيرات السهلة الميسرة، والمهم في ذلك المتابعة، لتتصل قراءته وعبادته، وليعلمه الأدعية والأذكار التي تحصن المسلم من كل كيد وتصل قلبه. وروحه بالله خالقه، مع تأمل الأذكار، ففي تأملها وتدبرها دروس طيبة، وتربية عظيمة للروح والقلب والعقل والوجدان

قال تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) (العنكبوت: ٤٥)

وليتعلم الوالد متابعة ولده في جانب العبادة فيسأله عن صلاته وصيامه وصدقته وتطوعه، وهذه المتابعة درس هام نتعلمه من المدرسة النبوية فقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ سأل الصحابة يوما فقال: من أصبح منكم اليوم صائماً؟

(^{١٣٧}) (ضعيف) ابن ماجه (كتاب) إقامة الصلاة (باب) من حسن الصوت بالقرآن ح ١٣٣٧ ج ١ ص ٤٢٤



قال أبو بكر : أنا.

قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة؟

قال أبو بكر : أنا.

قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟

قال أبو بكر : أنا.

قال ﷺ : فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟

قال أبو بكر : أنا.

فقال رسول الله ﷺ : (ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة) (١٣٨)

فهذه الأعمال التي قام أبو بكر بها بعبادات وقربات سألها النبي ﷺ ، وتابعه حرصاً منه على تربية أصحابه إيمانياً والارتقاء بهم، وعلى الوالد أن يكافئ ولده على تحريه الدائم للحلال والحرام، وعلى التخفي بالطاعات لتعويده الإخلاص، وتنمية ضميره الديني والخلقي

وتعريفه بأن الله - عز وجل - مطلع عليه لو أنه يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائن ما كان وصدق الله إذ يقول: (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) (سورة العلق/١٤)

وعلى الوالد إشعار ولده بأهمية تعمير القلب بحب الله - عز وجل - وحب الرسول ﷺ، وأهمية الحب في الله والبغض في الله، مع تعليمه أن الحب ليس كلمات رنانة وعبارات طنانة تردد، ويتغنى بها، بل الحب يعني الطاعة المطلقة لله - سبحانه - والمتابعة دائماً لنبيه ﷺ.

(١٣٨) مسلم (كتاب الزكاة (باب) الحث على الإنفاق ح ١٠٢٨ ج ٢ ص ٧١٣)



ثالثاً: التربية الأخلاقية والسلوكية

فعلى الوالد أن يربي ولده، وينشئه على الأخلاق الكريمة والسلوكيات الحسنة، فالأخلاق الحسنة ميزان التميز بين الناس، وقد امتدح الله سبحانه - نبيه الكريم ﷺ بقوله: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤)

وليعلمه حديث النبي ﷺ: (ما من شئ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله يبيغض الفاحش البذئ) (١٣٩)

وليعلم الوالدان أن الضمير الخلقي للأولاد يتشكل منذ الطفولة المبكرة، وأنه يتكون من مشاعره حول ما هو حلال وما هو حرام وما هو شر وما هو خير، وأن الطفل منذ سن مبكرة يحتاج إلى الضبط والتوجيه من الكبار بعيداً عن القسوة أو التدليل، لأنه في هذه السن يكون حريصاً على طاعة الكبار، لأن رضاه عن نفسه يتوقف على شعوره برضاء الكبار عنه وحبهم له فنجد أنه يتقبل القيم الخلقية دون مناقشة إرضاء لوالديه وأصدقائه والكبار من حوله، بذلك يتكون ضميره، أما قرب البلوغ فإنه لا يقبل أي مبدأ خلقي إلا بعد مناقشته والاقتناع به، ثم يتخفف من هذا الفرض بالتدريج.

وعلى الوالد مع الوعظ والإرشاد والتوجيه والمتابعة في الجانب الخلقي أن يعالج ما يلاحظ عليه من المشكلات السلوكية كالكذب والسرقة وسرعة الغضب والقسوة والأثرة برفق وبأسلوب علمي بعيد عن الاستبداد والقسوة، وعن الدليل، وليكن زاد الآباء في تربية أبنائهم وصية لقمان عليه السلام لابنه وهو يعظه، إذ بدأ بالأهم والأولى فعلمه، التوحيد، ونهاه عن الشرك، وحثه على طاعة الوالدين والإحسان إليهما، وعلمه المراقبة، ونهاه عن الكبر، وحثه على التواضع، وأمره بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فذلك سبيل الرشاد

(١٣٩) (صحيح) وأبو داود (كتاب الأئب) (باب) في حسن الخلق ح ٤٧٩٩ ج ٤ ص ٢٥٣



أهداف التربية القرآنية

قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنِّي أَتَاكَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تَصْعَرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)).

((لقمان / ١٣ - ١٩))

لقد انتظمت هذه الموعظة من الوالد أصول التربية وتكوين الولد، وهي ظاهرة لمن تأملها يعرض فيها لقمان -عليه السلام- قضية التوحيد، وقضية الآخرة (لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)

وانها لعظة غير متهمة، فما يريد الوالد لولده إلا خيراً، وما يكون الوالد لولده إلا ناصحاً، وهذا لقمان الحكيم ينهى ابنه عن الشرك، ويعطل هذا النهي بأن الشرك ظلم عظيم، ويؤكد هذه الحقيقة مرتين: مرة بتقديم النهي وفصل علته، ومرة بأن واللام، وهذه هي الحقيقة التي يعرضها محمد ﷺ على قومه فيجادلون فيها، ويشكون في غرضه من وراء عرضها، ويخشون أن يكون وراءها انتزاع للسلطان منهم، والتفضل عليهم، فما القول ولقمان الحكيم يعرضها على ابنه، ويأمره بها؟





أهداف التربية القرآنية

النصيحة من الوالد لولده مبرأة من كل شبهة، بعيدة عن كل ظنة إلا أنها الحقيقة القديمة التي تجري على لسان كل من آتاه الله الحكمة من الناس، يراد بها الخير المحض، ولا يراد بها سواء وهذا هو المؤثر النفسي المقصود، وفي ظل نصيحة الأب لابنه يعرض العلاقة بين الوالدين والأولاد في أسلوب رقيق يصور هذه العلاقة صورة موحية فيها انعطاف ورقة، ومع هذا رابطة العقيدة مقدمة على تلك العلاقة الوثيقة^(١٤٠)

يقول العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد -حفظه الله- تعليقا على وصية لقمان لابنه: وجلي من هذه النصوص وجوب تربية الأولاد على الإسلام، وأنها أمانة في أعناق أوليائهم، وأنها من حق الأولاد على أوليائهم من الآباء والأوصياء وغيرهم، وأنها من صالح الأعمال التي يتقرب بها الوالدان إلى ربهم ويستمر ثوابها كاستمرار الصدقة الجارية، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: - علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية)^(١٤١) والمفرط في هذه الأمانة آثم عاص -الله تعالى- يحمل وزر معصيته أمام ربه، ثم أمام عباده. عن حميد الضبي قال: (كنا نسمع أقواما سحبهم عيالاتهم على المهالك) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال د/٦٢٢.

والله عز وجل يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ)

(التغابن: ١٤)

ومن عداوتهم للوالدين التفريط في تربيتهم لما يؤول له من التأثيم، قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله تعالى - كان يقال: (إذا بلغ الغلام فلم يزوجه أبوه، فأصاب فاحشة آثم الأب) (رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال ١/١٧٢)

^(١٤٠) الظلال ج ٢٧٨٨/٥
^(١٤١) مسلم (كتاب الفرائض (باب) ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ح ١٦٣١ ج ٢ ص ١٢٥٥ وأبو داود (كتاب الوصايا (باب) ما جاء في الصدقة عن الميت ح ٢٨٨٠ ج ٣ ص ١١٧)



وقال مقاتل محمد العتكي: حضرت مع أبي وأخي عند أبي إسحاق إبراهيم الحربي فقال إبراهيم الحربي لأبي: هؤلاء أولادك؟ قال: نعم قال: احذر لا يرونك حيث نهاك الله، فتسقط من أعينهم، كما في صفة الصفوة لابن الجوزي، وأن هذا التفريط يوجب عزل ولايته، أو ضم صالح إليه، إذ القاعدة: أنه لا ولاية لكافر ولا لفاسق لخطر تلك المعاصي على المواليد في إسلامهم وأخلاقهم^(١٤٢) ويمكننا أن نسمي منهج التربية المستمد من وصية لقمان لابنه "المنهج اللقماني" وهو منهج فريد ظاهر العناصر اعتمد على الحديث المباشر من والد رفيق شفيق نصوح لولده. وقد يظن البعض أن لقمان اعتمد على الموعظة في تربية ولده، ولم يتجاوزها، ولكن الحق أنه كان قدوة لولده قبل أن يعظه، فجمع الموعظة إلى القدوة، ودليل ذلك أنه حكيم، والحكيم هو الذي يحسن القول والعمل، ويضع الأمور في نصابها. كما قال تعالى:

(وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ...)
(لقمان: ١٢)

ذلك أن الموعظة وإن كانت توظف في النفس الدوافع الكامنة داخلها إلا أن القدوة هي التي توجه تلك الدوافع والنوازع الجهة الصحيحة ولا بديل عن القدوة الحسنة في التربية، إذ إن لقمان -عليه السلام- لو لم يكن قدوة سلوكية حسنة لذهبت عظمته لولده أدراج الرياح، ولما وجدت أذنا صاغية واعية، ويشتمل المنهج اللقماني على عدة عناصر أساسية يترسم المربون خطاها في تربية النشء المسلم والشباب المسلم وهذه العناصر كما جاءت في النص القرآني هي:

أولا من الناحية العقدية :

وقد بدأ لقمان منهجه التربوي بالنهي عن الشرك فقال: (لا تشرك بالله) وهذا ما يجب على كل والد ومرب أن يبدأ به الدعوة إلى الله، فلا رب سواه، ولا إله غيره، ولا معبود بحق إلا هو، وهذا معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)

(١٤٢) حراسة الفضيلة م للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ص: ١٠٧: ١٠٨



وقد جعل لقمان -عليه السلام- الشرك ظلماً عظيماً لأنه ظلم للنفس، لأن حكم العقل والمنطق يحتم عدم الشرك بالله أملاً في مغفرته، ومعنى حرمان الإنسان من مغفرة الله: إنزال الظلم البالغ بنفسه قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء: ٤٨)

ويتصل بالناحية العقدية الإيمان بعلم الله الواسع المحيط المطلق، والإيمان بقدرة الله الطليقة، وذلك ما ورد في قوله سبحانه (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَنَا مَتَّقَلٌ حَبَّةٌ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) (لقمان: ١٦)

وهذه الموعظة بالغة الأهمية في توجيه سلوك الشباب، لأنه إذا استقر في حس المسلم ووجدانه أن الله سبحانه - مطلع عليه، محيط به، يسمعه حيث كان، ويراه في سره وعلمه وليله ونهاره وسفره ومقامه،

مستخفياً بالليل وسارياً بالنهار، وأن ما يعملُه وما يقولُه يعلمه الذي يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، أقول: متى استقر ذلك في حس المسلم ووجدانه فإنه لن يقدم على معصيته، وسيفكر جيداً، ويتمهل قبل الإقدام على العمل، وإذا ما أقدم عليه اختار ما يرضي الله، وإذا وقع في المعصية خطاً أو عمدا تاب وأناب.

قال تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)).

(الزلزلة)

وقال سبحانه: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١) (يونس: ٦١))





وقال سبحانه:

(وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (الأنعام: ٥٩)

فحري بالآباء والمربين أن يغرسوا في حس أولادهم مراقبة الله - عز وجل - والإيمان بعلمه المحيط ليربوه على خوفه وطاعته سبحانه.

ثانياً: من الناحية التعبدية:-

والعبادة لا تنحصر في الشعائر التعبدية كالصلاة والزكاة والصيام، بل العبادة كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، وحصر العبادة في الشعائر التعبدية المعروفة واختزالها فيها لهو انحراف خطير إن لم يكن أخطر الانحرافات التي وقعت فيها أجيالنا المسلمة بعد الانحراف الخطير في مفهوم كلمة التوحيد.

إن المفهوم الصحيح للعبادة في حس الأجيال الأولى أن عبادة الله هي غاية الوجود الإنساني كله، كما فهموا من قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

(الذاريات: ٥٦)

وكانوا إلى جانب ذلك يحسون إحساساً صادقاً بعظمة الله - جل جلاله - فيحسون تبعاً لذلك ما ينبغي للعبد في مقام عبوديته - تجاه الله - في مقام ألوهيته من إخلاص العبودية له وإخلاص العبادة سواء، ومن ثم لم ينحصر مفهوم العبادة في حسهم في نطاق الشعائر التعبدية وحدها كما انحصر في حس الأجيال المتأخرة التي جاءت بفهم للإسلام غريب عن الإسلام^(١٤٣)

(١٤٣) مفاهيم ينبغي أن تصحح/ محمد قطب ص ١٧٤ - ١٧٥



وقد أوصى لقمان ولده بالصلاة باعتبارها عماد الدين، وهي الصلة بين العبد وربه، الصلة التي تدفع المسلم لطاعة مولاه، والتي تعينه على بقية العبادات، والتي هي أمانة وشعاره والمتأمل في قول لقمان (أقم الصلاة) يرى ويعلم أن تأدية الصلاة ليس المراد، وإنما المراد إقامتها أي: في وقتها، وعلى الوجه الصحيح، مع إتمام ركوعها وسجودها وقيامها والخشوع فيها والا فما صلى من أدى الصلاة غافلاً ساهياً لاهياً، وما صلى من جمع الأوقات فصلاً مرة واحدة ينقر كما ينقر الغراب الدم، وما صلى من أدى الصلاة حركات لا روح فيها، ولا تأمل ولا تدبر، ولذا أمرنا النبي ﷺ أن نعلم أولادنا الصلاة لسبع، ونأمرهم بها، ونتابعهم، ونضربهم عليها لعشر.

ثالثاً: من الناحية الأسرية:-

لما أمر لقمان ولده بتوحيد الله - عز وجل - وعبادته وحده -، أخذ يزيد من دائرة كماله فأمره بحسن التعامل مع الوالدين بعد ما أمره بحسن التعامل مع الله، قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَالَهُ فِي شَبَابٍ ثُمَّ قَالَ إِنِّي أَنَا إِلَهُكَ وَإِنَّكَ عَلِيمٌ حَلِيمٌ خُذْ إِلَاهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَإِصْرًا حَقًّا وَلَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَلَا هُمْ يَحْصِيهِ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَإِذَا قَالَ الْإِنْسَانُ إِنَّهُ أَسَفٌ عَلَى مَا فُتِنَ بِهِ فَإِنْ أَصَابَ شَيْءٌ مِّنْهُ فَلْيَفْزَعْهُ بِهِ وَلَا يَلْمِ بِهِ لَوْلَا إِلَهُكَ يَوْمَ الْمُنَادِ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَإِذَا قَالَ الْإِنْسَانُ إِنَّهُ أَسَفٌ عَلَى مَا فُتِنَ بِهِ فَإِنْ أَصَابَ شَيْءٌ مِّنْهُ فَلْيَفْزَعْهُ بِهِ وَلَا يَلْمِ بِهِ لَوْلَا إِلَهُكَ يَوْمَ الْمُنَادِ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَإِذَا قَالَ الْإِنْسَانُ إِنَّهُ أَسَفٌ عَلَى مَا فُتِنَ بِهِ فَإِنْ أَصَابَ شَيْءٌ مِّنْهُ فَلْيَفْزَعْهُ بِهِ وَلَا يَلْمِ بِهِ لَوْلَا إِلَهُكَ يَوْمَ الْمُنَادِ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)

(١٤) وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥))

(لقمان)

وفي الوصية اقتران بين توحيد الله وبر الوالدين، وبين الشكر لله والشكر للوالدين، وهذا الاقتران يعلي من شأن الوالدين فرضاهما مطية المسلم التي تقوده، وتحمله إلى الجنة، ولن تقوم للأسرة المسلمة قائمة ولن يصلب عودها، وتشتد ما لم تحسن العلاقة بين الأولاد والوالدين، وتظلهما مظلة الطاعة والحب والمودة، وترفرف عليها الرحمة، وما انهارت الأسرة والمجتمع في الغرب إلا بسبب العقوق والمعصية المطلقة من الأبناء لأبائهم، حتى عزلوهم في دور المسنين لا يزورهم إلا في الأعياد.





على أن طاعة الوالدين ليست طاعة مطلقة، بل طاعة في المعروف، ولا كانت طاعة هدامة مردية لقوله تعالى: (وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً)

(لقمان: ١٥)

رابعاً من الناحية الاجتماعية:

لا يمكن للفرد أن يعيش منعزلاً عن الناس معتزلاً لهم فالإنسان -كما يقولون- اجتماعي بطبعه، ولذا لم ينس لقمان -عليه السلام- أن ولده يتفاعل مع المجتمع الذي يعيش فيه يؤثر فيه، ويتأثر به ولم ينس كذلك أن المجتمع لا يخلو من العيوب، وأنه في حاجة إلى المصلحين الذين يقفون في وجه الفساد،

ويصدون المفسدين، ويأخذون على أيديهم، ولهذا كانت نصيحته الاجتماعية لولده: أن يأمر بالمعروف، وأن ينهى عن المنكر، فقال له بعد ما أمره بإقامة الصلاة: (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر) (لقمان: ١٧)

ونحن في أمس الحاجة للعمل بتلك الوصية شباباً وشيوخاً، بل إن تميز أمتنا المسلمة عن غيرها من الأمم مشروط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما أكثر المنكرات التي يفيض بها مجتمعنا، المنكرات التي تتولد مع مطلع كل شمس في وسائل الإعلام المأجورة المفسدة بأنواعها المختلفة، في أفراننا التي لم تعد توافق منهج الإسلام، في معاملاتنا مع الناس، في البيع والشراء، في علاقتنا بالناس مسلمين وغير مسلمين، منكرات ومنكرات معاول هدم، سوس ينخر في جدار المجتمع حتى أوشك أن ينهار إن لم يتداركه الله برحمته، وبقيض له من المصلحين من يواجه الفساد، وينهى عن السوء لكن ذلك العمل الهام يحتاج إلى الرفق، وإلى الحكمة بعد العلم، ولما كان ذلك العمل هاماً وشاقاً ليس سهلاً فالمنكر لا يقف مكتوف الأيدي، فله من القوة والجنود من يناصره، ويحمي عرينه، ويزود عن حياضه،



احتاج الأمر إلى الصبر، فكل أمر بمعروف نام عن منكر لن يسلم من البلاء والاستهزاء، ومن ثم فزاده الصبر، لذلك قال لقمان لابنه بعد ما أوصاه بالأمر والنهي (واصبر على ما أصابك) فالطريق شائك والمعاشر كثيرة والمعاطب متنوعة، ولا زاد للسائر في هذه الطريق إلا الصبر، وهو كما قال: (إن ذلك من عزم الأمور) (لقمان/١٧).

خامساً: من الناحية السلوكية الشخصية

لن يكون المسلم داعية إلى الخير أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ما لم يكن منارة يهتدي بها السائرون. ويشع منها النور الذي يأخذ بأيدي الحائرين.

لابد أن يتميز الداعية المصلح بأن يكون صالحاً في نفسه، ملتزماً بالشرع الحكيم، موسوماً بصفات الصلاح والخير، محبوباً من الناس، معروفاً لديهم بحسن خلقه، ولذا فإن لقمان الحكيم لم يحرم ولده من مجموعة من الوصايا التي ينبغي للداعية أن يتعلمها كالصبر والتواضع والاعتدال والهدوء فقال لولده كما حكى القرآن: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (لقمان/١٨)

والتواضع يعتبر بالأخلاق والأفعال الظاهرة والباطنة، والخشوع يقال باعتبار أفعال الجوارح قال تعالى: (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ) (القلم: ٤٣)

وقال تعالى: (وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ) (طه: ١٠٨)

قال ابن السماك للرشيد: تواضعك في شرفك أشرف من شرفك، وقال جعفر بن محمد: من أنصف الناس من نفسه قضى به حكماً لغيره، وقال بكر بن عبد الله المزني: ما رأيت امرأة إلا رأيت له الفضل عليّ لأنني من نفسي على يقين، وأنا من الناس على شك^(١٤٤)، وصدق الرسول الكريم إذ يقول (من تواضع لله رفعه الله)^(١٤٥)

^(١٤٤) الجزء من جنس العمل د/سيد حسين الغفاني ج ٢ ص ١٢٢
^(١٤٥) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦١٦٢



من أجل ذلك نهى لقمان ولده عن الكبر والتعالي على الناس، ونهاه عن الخيلاء والفخر بالنفس فليس ذلك من شيم الدعاة الصالحين.

والتواضع يستلزم لين الجانب في غير تذلل، ويستلزم احترام الآخرين، واحترام آراء الغير وأفكارهم، ويستلزم كذلك الاعتدال في المشية، وعدم التبخر والخيلاء في المشي. والخلاصة أن لقمان -عليه السلام- ينهى ولده عن كل فعل قبيح لا يلقى ارتياباً من الناس، ويقابل بالرفض والنفور ويأمره بكل معروف وخير تحمد عقباه في الدنيا والآخرة.

وليُعتبر المسلم بقارون الذي خرج متبخرًا مختالًا يتمايل في مشيته، يظن نفسه نسرًا محلقًا إلى علياء السماء، والناس حوله ذباب هاو إلى الحمأة الوبيئة، فماذا كان جزاء قارون؟ خسف الله به وبداره الأرض، وهي العاقبة العادلة لكل متكبر جبار.

فالمسلم إذن إيجابي يواجه الفساد بحكمة ورفق، وهو صبور متواضع وإن كان وثاباً آملاً في الإصلاح مضحياً بحياته ليصل إلى مراده. فعلى الآباء أن يقرأوا وصية لقمان، ويتعلموا منها منهج التربية الإسلامي الصحيح الأصيل الذي لا صلاح للأجيال إلا به.

ثانياً الأم:

لله در شوقي قال عن الأم:

إن شئت كان العير أو شئت كان الأسدا

وإن ترد غيا غوى أو تبغ رشداً رشداً^(١٤٦)

النسيم العليل الذي يهب على مشام القلوب فتنتشي. بحر الحب الفياض الرقراق الذي يكرع منه المحبون.. البسمة الحانية التي ترسم على الشفة البائسة.

(١٤٦) الشوقيات/ أحمد شوقي ج ٢ ص ٢٩



بيدها المسلمة تغرس في الأسرة شجرة السعادة الباسقة، وتنميها، وتربيها فتؤتي أكلها ضعفين، وتثمر ثمار الحب والسكن والرحمة والأمان.

إنها الأم حئت عليها الحضارة الحديثة فجعلتها نصف المجتمع، وأخرجتها من بيتها، وأنزلتها من برجها، وأقحمتها في طريق لا حب لا تحسن السير فيه، وبذلت كل ما تملكه من أجل إفسادها وزحزحتها عن وظيفتها التي خلقها الله لها، وظيفتها التي لا تحسن غيرها، ولا يحسنها غيرها

إنها التربية وفق المنهج الرباني، التربية على تعاليم الإسلام، التربية على الأخلاق الإسلامية الرفيعة التي فتح الله بها البلاد، وكانت من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو وليست المرأة نصف المجتمع كما قال أدعياء التحرر، بل المرأة -في عيني- هي المجتمع كله، فهي التي تحمل، وتضع، وتربي، وتسهر، وتتعب لتقدم للمجتمع رجاله الأشداء القادرين على العمل والبذل.

والأم شريكة للأب في تربية الأولاد وتوجيههم، بل دورها أكثر فاعلية، وأشد تأثيراً فالوالد قد تشغله ساعات العمل الطويلة، ويستبد به التعب فينام دون أن يراعي أولاده ويسأل عنهم، لكن الأم تعيش معهم الوقت الأكبر، وتلازمهم معظم ساعات اليوم، وهي التي ترضعهم أخلاق الإسلام مع اللبن، ولا تنحصر وظيفة الأم في الإنجاب فحسب فتكون آلة للتفريخ، ولا هي الحريصة على تلبية رغبات أولادها من ضروريات وكماليات فتعطيهم ما يطلبونه، وما لا يطلبونه لأنها عندئذ تربي جيلاً هو صاحب اليد السفلى التي اعتادت على الأخذ، ولم تعتد على العطاء، جيلاً يعيش عالة على غيره كالنباتات الطفيلية لا تقوم إلا معتمدة على غيرها، ولكن الأم الحقيقية التي نقصدها هنا التي تنشئ جيلاً مدركاً لعظمة الإسلام وأهميته للبشرية كلها، جيلاً متخلفاً بأخلاق الإسلام جيلاً يعرف ربه، ويراقبه، ويعبده -وحده- ولا يعبد سواه، جيلاً تربي على تحمل المسؤولية.





ونستطيع -بعون الله- أن نقدم للأم المسلمة ما يجب عليها أن تفعله لتؤدي دورها الفعال، وذلك فيما يلي:-

أولاً: الإخلاص لله واحتساب الأجر عنده على علمها أو تعبها وسهرها:

لتكون بذلك قدوة لأولادها صالحة، ولا تعلم الأم أولادها بمثل سلوكها القويم، وأخلاقها الحميدة، فلتحتسب الأم كدها وبذلها وتعبها وسهرها وطلبها العلم وغرس مكارم الأخلاق في أولادها، لتحتسب ذلك عند الله الذي لا يضيع أجر العاملين، ومعلوم أن طلب الأجر من الله دليل الصدق والإخلاص كما قال تعالى: (وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ..) (هود: ٢٩) وقال: (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ..) (سبأ: ٤٧)

وقال : (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ تَجَوَّاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: ١١٤)

وعلى الأم أن تربي أولادها على التحمل منذ الصغر، فليس الترف وليست الرفاهية مطلباً
لأم، بل مطلبها الرجولة والقوة والبذل والعمل الدؤوب، وقد امتدح رسول الله ﷺ المرأة
بخصلتين في قوله: (خير نساء ركن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأدعاه
على زوج في ذاته) (١٤٧)،

ولتقرأ الأم في سير الصالحات كخديجة وعائشة وزينب وفاطمة وأم سلمة وبقية أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - وفي سيرة الخنساء - رضي الله عنها - وغيرهن من صالحات المؤمنين؛ لنعبر، ونتعلم، وتعرف الطريق، وتضع أقدامها عليها؛ لكي لا تدب على غير هدى كالأعمى.

$$(147)$$



ثانياً: على الأم طلب العلم

على الأم المسلمة أن تبذل قصارى جهدها في طلب العلم الشرعي، العلم الذي تصحح به عقيدتها وتؤدي به فريضتها، وتعرف به الحلال والحرام، ثم لتتعرف على أصول التربية الإسلامية وأسسها ووسائلها وأهدافها ومجالاتها، وعليها أن تنمي معلوماتها، وترتقي بها دائماً، وتطلب المزيد منها، والعلم حصن منيع يتحصن المسلم به من الشيطان ومن الانحراف والتردي، ولذا كان العالم أشد على الشيطان من العابد، بل من ألف عابد لأن العابد قد يقع بجهله فريسة لوسوسة الشيطان فيشرك بالله، ويقع في معصيته من حيث يحسب أنه مقيم على طاعته، وبدون العلم يهوي المسلم في مهاوي التيارات الفكرية المنحرفة، وما أكثر هذه التيارات والفلسفات التي تتخذ المرأة هدفاً لها ترميه بسهامها المسمومة، وقد كان النبي ﷺ حريصاً على تعليم المرأة وتثقيفها والارتقاء بها علمياً، فخصص للنساء وقتاً يعلمهن فيه.

ويجب على أسئلتهن قال تعالى: (وَاللّٰهُ يَرِيْدُ اَنْ يَّتُوْبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيْدَ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الشَّهَوَاتِ اَنْ تَمِيْلُوْا مِيْلًا عَظِيْمًا) (النساء: ٢٧)

فالمرأة المسلمة تحتاج اليوم أكثر من الأمس إلى العلم الذي تتجو به من دعوات التحرر والفساد التي يحارب أهل الباطل لأجلها، فهي الدعوات المحمومة تغطي على كل وسائل الثقافة والإعلام وتهيمن على أعراف وتقاليده المجتمع حتى وصل انهيار الأخلاق والاستهانة بها مبلغاً عظيماً، وأصبح التدني الأخلاقي واقعا محسوسا لاسيما ما يتصل بالعرض والمرأة، فالأعراض تنتهك، والأعراف تخالف تحت شعارات براءة خداعة بدعوى تحرر المرأة ودعوى المساواة بين الرجل والمرأة حتى أنشأوا مؤسسات نسوية تنادي بتلك المساواة تلك المؤسسات التي تعلن حربها على الفطرة التي فطر الله المرأة عليها، عندما تنادي بأحقية المرأة في العمل وفي البرلمان وفي القضاء،





وتجد من الذين يتبعون الشيطان تشجيعا، بل وعونا عظيما، ولتعلم المرأة المسلمة، بل والمجتمع المسلم أن المفسد والشرور الاجتماعية الناتجة عن خروج المرأة عن فطرتها كثيرة منها على سبيل الإيجاز:-

-فساد التربية : فتخلي المرأة عن وظيفتها التي خلقها الله لها أوجد محاضن أخرى ودورا لتربية الأطفال كدور الحضانة، الأمر الذي أدى إلى اختفاء وحدة الأسرة واجتماعياتها التي يتصل فيها الصغار بالكبار فازداد الانحراف والجريمة.

- فساد الفطرة.

- انتشار الجريمة لاسيما جرائم الاغتصاب والتحرش والشذوذ.

- انهيار الأسرة بسبب المشكلات التي تنتج عن خروج المرأة، حيث تعامل زوجها باستعلاء وحدة لا يقبلها الرجل - غالبا- وينتهي الأمر إلى الفرقة، وينتج عن انهيار الأسرة وفسادها-

- فساد المجتمع بسبب الاختلاط غير المشروع بين الرجال والنساء، وبسبب الخلاعة التي تنادي بها المدنية الحديثة، والتي تعطي المرأة الحق في التعري إلى حد تتقزز النفس منه، والعلم الشرعي هو السياج الذي يحمي المرأة من السقوط ومن التردى في مهاوي الشعارات والدعوات التي تعمل على ضياع المرأة، وما أكثرها كالدعوة إلى:-

- دمج المرأة في جميع مجالات تنمية الحياة.

- الدعوة إلى مشاركتها في الاجتماعات واللجان والمؤتمرات والندوات والاحتفالات النوادي.

- الدعوة إلى فتح النوادي لهن والأمسيات الشعرية، والدعوة عامة للجميع.

- الدعوة الآثمة إلى سفر المرأة وحدها بلا محرم حتى ولو لطلب العلم، وكذا سفرها للمؤتمرات (رجال أعمال).





- الدعوة إلى تحرر المرأة من الزي الشرعي وخروجها سافرة متبرجة قد شوّهت وجهها بالمساحيق، وتضمخت بالطيب، ولبست ملابس الرجال.

ولتحذر الأم والمرأة المسلمة الفن والغناء والتمثيل، وما شاكل ذلك من فساد يذهب بحياء المرأة لمهرجانات ملكات الجال والتصوير في الصحف والمجلات... الخ

هذا غييض من فيض من الدعوات الحديثة المنحرفة التي يحملها الأخسرون أعمالاً من الذين يريدون أن تميل المرأة إلى الشهوات ميلاً عظيماً.

لتقرأ المرأة المسلمة في كتب الغزو الفكري، وفي المجلات الإسلامية؛ لتكون على بينة من دينها وأمرها قال تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) (محمد: ١٤)

قال القرطبي رحمه الله: (على بينة من ربه) أي: على ثبات ويقين قال ابن عباس وقال ابن كثير) (على بينة من ربه) أي على بصيرة ويقين في أمر الله ودينه، وما أنزل الله في كتابه من الهدى والعلم، وما جبله الله عليه من الفطرة المستقيمة كمن زين له سوء عمله أي: ليس هذا كهذا لقوله: (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابِ) (الرعد: ١٩)

وكقوله: (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ) (الحشر: ٢٠) (١٤٨)





ثالثاً: الشعور بالمسئولية

على الأم المسلمة بعد أن تخلص النية لله -وحده- وتطلب العلم الذي تستبين به سبيل المجرمين، وتكشف به مكائد المأجورين ومكامن الخطر ومصاعب الطريق، عليها بعد ذلك أن تشعر بالمسئولية العظيمة الملقاة على عاتقها، المسئولية التي تعجز الجبال الرواسي عن حملها: إنها إصلاح المجتمع بأسره لا الأسرة وحدها، ولتعلم أنه بقدر ميلها عن الجادة وانحرافها عن سواء السبيل ينحرف المجتمع كله ويفسد، فهي الدفة التي تحرك المجتمع كله إما إلى الأمام ولما إلى وراء، لتقدر المرأة المسلمة المسئولية ولتتذكر دائماً أنها مسئولة من ربها عنها

كما قال سبحانه وتعالى: (فَوَرِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) (الحجر). وكما قال: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) (الصافات: ٢٤)

وكما قال جل جلاله: (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الجاثية: ٢٩).

وكما قال سبحانه (وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (التوبة: ١٠٥).

فهي مسئولة أمام الله عن أولادها: عن تربيتهم على أخلاقهم الإسلام السمحة الكريمة، وعلى عقيدة الإسلام الصافية النقية، وعلى المثل العليا، فلتحذر الأم المسلمة ذلك الموقف، ولتقدم بين يديها تربية أولادها لتكون من الفائزين

رابعاً: التفاهم مع الوالد

إن بيتاً مسلماً يخلو من الحوار والتفاهم بين الزوجين لهو بيت ضعيف البنيان، معرض مع أول عاصفة تهب عليه للتصدع والزوال، وإن حسن العشرة والعفو والتسامح، وقبول خطأ الآخر، والبعد عن التعصب والتشدد في الأمر كله، وغض الطرف عن العيوب،



والنظر إلى المحاسن سبيل الفلاح وبر الأمان الذي ترسو على شاطئه سفينة الأسرة، بل سفينة المجتمع كله، وليكن العقاب لطيفا والصوت خفيا، بل ليكن التغافر بديلا عن التعاقب، وليتذكر الزوجان أن الخطأ وارد، بل هو مركز في فطرة الإنسان والمعصوم من عصمه الله. بل إن حسن العشرة والتفاهم أفضل وسيلة لحل المشكلات، بل إن ذلك وسيلة صالحة لفرس الأخلاق الطيبة في الأولاد، وهو خير وسيلة لتفوق الأولاد في دراستهم وحياتهم، وكم من فاشل ومنحرف كان انحرافه وفشله بسبب التمزق الأسري الذي عاش فيه، وبسبب المشكلات التي لا تنتهي بين والديه.

خامسا: على المرأة إشاعة روح الدين في البيت:

فالطفل الذي ينشأ في أسرة متدينة يتفاعل معها، ويتأثر بجو الإيمان وشذاه الفواح الذي يشبع في أرجاء الأسرة، ولتحرص الأم على مصادقة المصحف وملازمته قراءة وتدبرا وتأملا وحفظا وعملا واستماعا، فالقرآن منهج لحياة المسلم.

يقول ابن خلدون في مقدمته:

اعلم أن تعليم الولدان القرآن من شعار الدين أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الحديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا، وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما يبنى عليه^(١٤٩)

ولتحرص الأم على صيام التطوع، ولتعود أولادها عليه، ولتلتزم بالشرع في زيها وكلامها وزياراتها وتعاملها مع أولادها وجيرانها وأقاربها، ولتحرص على نشر الخير ليشب أولادها يحبون الخير، ويحرصون على نشره.

(١٤٩) مقدمة ابن خلدون ص ٦٢٠



والواجب زرع الوازع الديني في نفوس الأبناء ومساعدتهم على حسن اختيار الأصدقاء، وذلك بتهيئة الأجواء المناسبة لاختيار الصحبة الصالحة من الجوار الصالح والمدرسة الصالحة، وإعطائهم مناعة تقيهم من مصاحبة الأشرار^(١٥٠)

سادسا: الدعاء للأولاد

على الأم المسلمة الرشيدة ألا تدعو على أولادها مهما أخطأوا، بل تدعو لهم بالخير، وتسأل الله لهم الهداية، ولتعلم أن دعاءها لأولادها حق لهم عليها، وليكن كتاب الله عونها في ذلك، فهذا إبراهيم -عليه السلام- يدعو لأولاده قائلا: (رَبِّ اجْعَلْنِي مَقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١)) (إبراهيم: ٤٠-٤١)

ومن دعاء عباد الرحمن: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (الفرقان: ٧٤)

وهذا زكريا -عليه السلام- يسأل ربه قائلا: (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦)) (مريم)

وقد حذر الله المسلم من الدعاء على نفسه فلربما صادف دعاء المسلم تفتح أبواب الإجابة فيمسه الضر، فيقع ملوما محسورا، قال ﷺ: (لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجاب لكم)^(١٥١)، ويجب على الأم أن تربط قلب ولدها بالله على كل حال عن طريق القدوة الحسنة والقصة النافعة، فكلما قويت الصلة بين العبد وربّه سمت روحه، ورفرفت كالتائر إلى آفاق الإيمان العليا،

^(١٥٠) مجلة البيان العدد ١٣٨ ص ١١٥
^(١٥١) مسلم (كتاب الزهد) حديث جابر الطويل ح ٩٢٠ ج ٢ ص ٦٣٤ "بلفظ إلا بخير" أبو داود كتاب الصلاة (باب) النهي عن أن يدعوا الإنسان على أهله وماله ح ١٥٣٢ ج ٢ ص ٦٦٠



ولتتخذ الأم المسلمة من الخنساء - التي قدمت أولادها الأربعة شهداء - قدوة لها، ولتتخذ من أسماء ذات النطاقين مثالا وقدوة، وقد ربت عبد الله بن الزبير ولدها إماما وزعيما وقائدا وشجاعا وخطيبا ومفسرا وسائسا عبقريا وشهيدا في سبيل الله،

يقول الشيخ عائض القرني نفع الله به:

يا أيتها الأم المسلمة، إن بعض الأمهات أخفقن في تربية البيوت، وفشلن في توجيه هذا البيت المسلم الوجهة الصحيحة، خرجت الأم من بيتها وتركت أطفالها وراءها، فعاثوا في البيت فساداً لأنهم لم يجدوا في البيت إلا شغالة لا تعرف عن الإسلام شيئاً، ولما فراغا قاتلاً ليس فيه ما يغذيه من الفائدة، وامرأة أخرى عصت الله - عز وجل - في بيتها، فخرجت متكشفة متبرجة فضاع دينها وضاع بيتها، وامرأة ثالثة أمية تظن أن الحياة أكل وشرب ونوم، فغفلت عن رسالتها ومن ثم ضاع أبناؤها، هذا الصنف من الأمهات لا نريده، ونسأل الله أن يصلح منه، نريد أمّاً تعلم وتعرف طريقها إلى الله - عز وجل - أمّاً تحفظ أبناؤها من الفتن، أمّاً ترعى بيتها، لأن الأم في الإسلام مسؤوليتها بيتها، ووظيفتها بيتها، ورسالتها بيتها، وهكذا أراد الإسلام للأم أن تكون ولا فلا.

أما الذين نادوا بخروج المرأة وعمل المرأة واشتغالها فهؤلاء أبلسوا في الحياة الدنيا، وضل سعيهم لقد زجوا بها في المصانع فما أنتجت، وأدخلوها في الجيش فما انتصرت، وقلدوها الوظائف ففشلت لأن ضميمتها وبيئتها من تقدير الله لها - إنما هي للبيت، ولتربية الأطفال، ولتنشئة الجيل وصنع الرجال^(١٥٢) وعلى الوالدين ألا يغفلا عن بعض الوسائل التربوية القرآنية التي تكون عوناً لهما على تربية أولادهما، ومن هذه الوسائل :

(١) الخوف والرجاء

وسيلة تربوية مؤثرة فعالة إيجابية، ولعلك لا تقرأ آية عذاب تبعث الخوف في القلوب الحية إلا وجدت إلى جوارها آية رحمة تبعث الرجاء والطمأنينة في القلوب،

(١٥٢) ولكن كونوا ربانيين/ الشيخ. عائض القرني ص ١٢٠ ط ١ دار بن حزم ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م



واقراً مثلاً قوله تعالى: (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠) (الحجر)

وقوله جل وعلا (فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنَزَلَ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ (٩٤) (الواقعة)

وقول ربنا - سبحانه وتعالى - : (إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسَعَرَ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصَرِ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَذْكَرٍ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الرَّبْرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٍ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صَدَقَ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥) (القمر ٤٧-٥٥))

فالخوف من الله - عز وجل - سياج يعصم المسلم من الانحراف والسقوط في حمأة المعصية الآسنة، ويحول بينه وبين الفساد، ولكن خوفاً بلا رجاء سبيل إلى القنوط والإحباط واليأس من رحمة الله، لذا فلا بد من الرجاء، إذ الرجاء يملأ قلب العبد نوراً، ونفسه راحة، وباله هدوءاً، ويجعل العبد ذا ظن حسن بالله - تعالى - وقد قال الله - جل - علا - عن أنبيائه: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (الأنبياء: ٩٠)

(٢) القصة

ما أكثر القصص التي نسمعها ونقرأها لكن قصص القرآن أجمل لما فيه من العلم والحكمة والعظة والعبرة، لكننا - إلا من رحم الله - نقرأ القصص القرآني بعجلة نتسلى به، وقلة هم الذين يتأملونه ويتدبرونه قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (يوسف: ١١١)



فتأمل مثلاً قصة إبراهيم -عليه السلام- وقد قدم هوى الله على هواه، ومراد الله على مراده، وهم بذبح ولده فلذة كبده وقرّة عينه طاعة لله ربه؛ لتتعلّم منها بذل الغالي النفيس في سبيل الله، ولتتعلّم تقديم مراد الله على مراد النفس، ولتتعلّم أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، وتأمل قصة موسى -عليه السلام- أكثر القصص وروداً في القرآن؛ لتتعلّم منه الجهر بكلمة الحق في وجه الطواغيت لا يريدك عن ذلك تبجح الباطل وتعالیه، وليكن قلبك معتصماً بالله، محتمياً به، ولتتعلّم منها الإيمان بالقضاء والقدر، ولترى قوة الله وقدرته المطلقة وقد حمى موسى -عليه السلام- من فرعون

ورباه في قصره، وهو الذي قتل من قتل ليصل إلى موسى فلما جاءه عمي عنه.

وقصة عيسى -عليه السلام- ثورة على الشرك، وإعلان بأن الله واحد ولا شريك له، مع ما فيها من دلالة على قدرة الله المطلقة، ومن قصة أيوب -عليه السلام- يتعلّم المسلم الصبر والرضا والتسليم، وهكذا يتعلّم المسلم ويتربى إذا عاش في رحاب القصص القرآني العظيم، وكذلك فإن القصص النبوي غنى بقصص طيبة رائعة نافعة لمن تأملها كقصة أصحاب الغار الذين أطبقت عليهم الصخرة، فدعوا الله بصالح أعمالهم فنجاهم الله.

وقصة الأقرع والأعمى والأبرص، ومن النماذج الرائعة قصة معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه مع جاريته، قال رضي الله عنه: - وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا قد ذهب بشاه من غنمها،

وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكنني صككتها صكة فأتت رسول الله ﷺ فعظم ذلك على قلت يا رسول الله: أفلا أعتقها؟ قال: انتني بها فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة^(١٥٣).

(١٥٣) مسلم (كتاب المساجد) (باب) تحريم الكلام في الصلاة ح ٥٣٧ ج ١ ص ٣٨١ والنسائي (كتاب) السهو (باب) الكلام في الصلاة ح ١١٤١ ج ١ ص ٣٦٢ وأبو داود (كتاب) الصلاة (باب) تسميت العاطس في الصلاة ح ٩٣٠ ج ١ ص ٢٤٤



فالقصة تغرس العقيدة الصحيحة في قلب المسلم، والصبر عند البلاء، والرضا بقضاء الله - عز وجل - وقدره، وتعلمه كذلك أن يملك نفسه عند الغضب.

ومن النماذج الرائعة ما رواه أبو داود في سننه بسند صحيح أن رسول الله ﷺ جلس تحت شجرة مع أناس من الصحابة فأنت حمرة (طائر) كان أحد الصحابة قد أخذ أفراخها، فأنت تشتكي إلى الرسول ﷺ لكن بلا كلام وبلا نطق،

بل هامت على رأسه ﷺ ففهم أنها تشكو، قال: من فجع هذه بأفراخها؟ قال رجل: أنا يا رسول الله قال: رد عليها أفراخها. فلما رد عليها أفراخها رفرفت فرحة جذلانة، وعادت إلى عشاها^(١٥٤) وهي قصة تعلم المسلم الرحمة حتى مع الحيوان لماذا نحرم أولادنا من هذا القصص الجميل النافع، ونستبدله بقصص تافه لا قيمة له عبر وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها؟ لماذا لا يغذي الوالدان ذلك الميل الفطري عند الأولاد إلى القصة بقصص من القرآن الكريم وقصص من السنة المشرفة؟

(٣) الثواب والعقاب

من الوسائل التربوية الناجحة الثواب والعقاب، وليكن الثواب مقدما على العقاب لأن الثواب هو الأصل، والعقاب طارئ لا يؤذن له إلا في أضيق الظروف وبعد استتفاذ كل الوسائل التربوية الأخرى كالنواثب والرفق والتسامح والعظة، ولا يشترط أن يكون الثواب ماديا محسوساً، بل الكلمة الطيبة والثناء الجميل ثواب وأي ثواب، وقد امتدح الله أنبياءه فقال عن سليمان عليه السلام: (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب) (ص: ٣٠)

وأثنى على إسماعيل -عليه السلام- فقال: (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) (مريم: ٥٤)

وقد يكون الثواب بالدعاء للولد، ودعوة الوالد لولده ترجى إجابتها.

(١٥٤) (صحيح البخاري في الأدب ٣٨٢/١ وأبو داود (كتاب الجهاد (باب) في كراهية حرق العدو بالنار برقم ٢٦٧٦ و ٥٢٦٣ أخرجه أحمد برقم ٣٨٣٤ الطيالسي برقم ٣٣٦ والحاكم برقم ٧٦٧٣ وأورده الألباني في الصحيحة ٣٠/١ ح ٢٥ وانظر المشكاة برقم ٣٥٤٢



وكذا العقاب وسيلة تربوية نافعة إذا لم يجد الثواب، وما الضرب إلا الحلقة الأخيرة من حلقات العقاب لا يجيء إلا بعد الإعراض ولبداء الضيق والضجر والتهديد بالضرب، ثم يجيء الضرب في المقام الأخير.

ومن النماذج الطيبة التي تبين لنا كيف كان اهتمام السلف بتربية الولد ما رواه ابن خلدون في مقدمته أن هارون الرشيد لما دفع ولده محمد الأمين للمعلم قال له: يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع مهجة نفسه وثمره قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة^(١٥٥)

وتحت عنوان (فصل في أن الشدة على المتعلمين مضره بهم). قال ابن خلدون: وذلك أن إرهاب الجسد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر، وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث: وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله، وصار عيالا على غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل، فانقبضت على غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل، فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها، فارتكس وعاد في أسفل السافلين،



وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر، ونال منها العسف، واعتبر به في كل من يملك أمره عليه، ولا تكون الملكة الكافلة له رفيقة به، وتجد ذلك استقراء، وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء حتى إنهم يوصفون في كل أفق وعصر بالحرَج: ومعناه في الاصطلاح المشهور التخابث والكيد، وسببه ما قلناه، فينبغي للمعلم في متعلمه، والوالد في ولده أن لا يستبدوا عليهم في التأديب^(١٥٦)

الحكمة في التربية:

(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) (البقرة: ٢٦٩)

وقال سبحانه: (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (الشورى: ٤٣)

إن التربية تحتاج إلى الحكمة والتدرج والترفق، التدرج في التربية، واليسر في المنهج، والهدوء في السير وكما قيل: إن الرفق في الأمور كالمسك في العطور وليعلم المربون أن رسالة النبي ﷺ قامت على الحب واللين والرفق، وأن الرفق هو أقرب الطرق إلى الوصول وصدق الرسول ﷺ إذ يقول: (وما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه) (١٥٧)

فإن كانت شجرة الغلظة تثمر ثمرة فشجرة الرفق تثمر ألف ثمرة، ولتكن السماحة مع الرفق على طول الطريق قال صلى الله عليه وسلم "اسمحوا يسمع لكم"^(١٥٨)

وقد كان النبي ﷺ إذا أراد أن يصلح خطأ رآه وأراد أن يرد مرتكبه عنه لا يصرح بذلك، بل يلتمس طريقا لا يجرح كرامة المخطئ أو ينال من أحساسه، بل يقول: (ما بال أقوام يصنعون كذا كذا)^(١٥٩)

^(١٥٦) مقدمة ابن خلدون ص ٦٢٣
^(١٥٧) متفق عليه: البخاري في الأدب (باب) لرفق في الأمر كله ح ٥٩٠١ ج ٥ ص ٢٣٠٨ ومسلم في البر والصلة (باب) فضل الرفق ح ٢٥٩٤ ج ٤ ص ٢٠٠٤
^(١٥٨) (صحيح) رواه عبد الرزاق في الجامع مرسلًا وابن عساكر وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٩٩٢ وفي السلسلة الصحيحة برقم ١٤٥٦
^(١٥٩) متفق عليه البخاري (كتاب) الأدب (باب) من لم يواجه الناس بالعتاب ح ٥٩٠١ ج ٥ ص ٢٣٠٨ ومسلم (كتاب) النكاح (باب) النكاح ح ١٠٢٠ ج ٢ ص ١٤٠١



فالشتم والتجريح والضرب معاول هدم تهدم صرح الود والطاعة، ولقد كان اللين منهجا ناجحا
مثمرا للسابقين، ولم يزل كذلك فلا يصلح المتأخرون إلا بما صلح به المتقدمون، وإن الله
تعالى ليعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وإذا أخطأ الأولاد فليس الخطأ عيبا ما لم
يصر عليه صاحبه، فليكن الإصلاح هادئا لنا فلا يوجد مذهب بلا عيوب، بل لا يخلو أحد
من عيب أو نقص، فاقبل الظاهر، ولا تتقب عن الباطن، واقبل العذر كما قال الشافعي:

اقبل معاذير من يأتيك معذراً

إن بر عندك فيما قال أو فجرا

لقط أطاعك من يرضيك ظاهره

وقد أجلك من يعصيك مستترا^(١٦٠)

ومن الحكمة ترك اللعن والسب فقد روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: "لا يكون
للعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة"^(١٦١)

ومن الحكمة ألا يكلف المربي تلاميذه ومن يقوم على تربيتهم فوق ما يطيقون لأن ذلك فيه
مضرة لهم، فعن أبي صرمة رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "من ضار
أضر الله به، ومن شاق شاق الله عليه"^(١٦٢)



^(١٦٠) ديوان الشافعي ص ١٩

^(١٦١) مسلم في البر ولاصلة (باب) النهي عن لعن الدواب وغيرها ح ٢٥٩٨ ج ٤ ص ٢٠٠٦

^(١٦٢) (حسن) الترمذي في البر والصلة (باب) في الخيانة والغش ح ١٩٤٠ ج ٣ ص ٢٩٣ وابن ماجه (كتاب) الأحكام (باب) من بنى في حقه ما يضر جاره ح ٢٣٤٢ ج ٢ ص ٧٨٥ وأبو داود (كتاب) الأقضية (باب) من القضاء ح ٣٦٣٥ ج ٢ ص ١٥٧٣



ثالثاً: أهداف الأسرة المسلمة

تسعى الأسرة المسلمة سعياً حثيثاً من أجل أهداف جليلة سامية تعمل على تحقيقها، ويعد تقصيرها في العمل لأجل هذه الأهداف تقصيراً في الالتزام بمنهج الله - سبحانه وتعالى - وهذه الأهداف كثيرة، ولكننا نورد منها ما يساهم مساهمة مؤثرة في بناء المجتمع المسلم الذي يبلغ كلمة الله ومنهجه بعد الالتزام به في نفسه.

ومن هذه الأهداف:

١. تربية الجيل المسلم العامل للإسلام.
 ٢. ربط الأولاد بالمسجد برباط وثيق.
 ٣. تربية الأولاد على النهوض بالدعوة إلى الله.
- هذا الإجمال والليك التفصيل:-

الهدف الأول: تربية الجيل المسلم العامل للإسلام.

حينما تنهض الأسرة المسلمة بتربية الجيل المسلم الذي يحمل هم الإسلام، ويعمل له إنما تنطلق من توجيهاته الوحي الحكيم قال تعالى:

(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) (طه: ١٣٢).

وقال سبحانه: (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ...) (مريم: ٥٥).

وقال: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) (البقرة: ٢٣٣)

وقيمة "الأسرة المسلمة ودورها الرئيس الفعال هو أن تنشئ جيلاً مسلماً ينام ويصحو ويقوم ويرحل ونصر الإسلام والتمكين له هدفه السامي الغالي، جيلاً نشيطاً متحركاً باذلاً ومستعداً للبدل في كل لحظة من وقته وماله وفكره، بل وجود بروحه أغلى ما يملك،



أهداف التربية القرآنية

ولن يكون ذلك الجيل، إلا بالتربية الإيمانية التي تتحمل الأسرة تبعثها، إذ لا بد من غرس شجرة الإيمان في قلوب الأولاد، الإيمان بالله سبحانه: بوجوده ووحدانيته وقدرته الطليقة وأسمائه الحسنی، وصفاته العليا، وبملائكته الكرام الأخيار، وبكتبه المطهرة، وبرسله الكرام مع عدم التفريق بينهم، وباليوم الآخر وما يقع فيه من أحداث عظام، وبالقدر خيره وشره والإيمان هو الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها، وقد وفر الله لعباده ما يحفظ عليهم به إيمانهم ويسر لهم ما يزيده، ما لم يتبعوا أهواءهم فيضلوا، وأهم ما يسره الله لعباده رحمة بهم منهاج الله سبحانه قرآنا وسنة، وهو المنهاج الذي يحفظ الإيمان ويغذيه قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) (الإسراء: ٩).

وقال سبحانه: (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) (الزمر/٥٥).

وقال جل وعلا: (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) (طه: ١٢٣).

وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال/٢٤).

فالاستجابة لأمر الله - سبحانه وتعالى - واتباع منهجه قرآنا وسنة به تحيا القلوب، وتتغذى بالإيمان قال ابن كثير رحمه الله: قال مجاهد: (لما يحييكم) قال: للحق. وقال قتادة: (لما يحييكم) هو هذا القرآن فيه النجاة والبقاء والحياة. وقال السدي: (لما يحييكم) ففي الإسلام إحيائهم بعد موتهم بالكفر. وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عمرو بن الزبير: (لما يحييكم) أي: للحرب التي أعزكم الله - تعالى - بها بعد الذل، وقد أعز بها بعد الضعف، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم^(١٦٣).



(١٦٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٧



أهداف التربية القرآنية

وشبيه بهذا المعنى ما ورد في قوله سبحانه:

(أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) (الأنعام: ١٢٢)

قال النسفي: (أو من كان ميتاً فأحييناه) أي: كافراً فهديناه، لأن الإيمان حياة القلوب (وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس) مستضيئاً به، والمراد به اليقين كمن مثله أي: صفته في الظلمات أي خابط فيها ليس بخارج منها لا يفارقها لا يتخلص منها، وهو حال قيل المراد بهما حمزة وأبو جهل والأصح أن الآية عامة لكل من عبد الله، ولكل من أصله الله، فبين أن مثل المهتدي مثل الميت الذي أحيى وجعل مشتضيئاً يمشي في الناس بنور الحكمة والإيمان، ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات التي لا يتخلص منها^(١٦٤).

ويحفظ الإيمان ويغذيه وينميه العمل الصالح، وأعني العمل بمقتضى الإيمان، والعمل بمنهاج الله قرآناً وسنة عملاً كاملاً لا ينتقي المسلم منه ما يوافق هواه من الشرع فيعمل به، ويرفض ما وراء ذلك، وهذه مخالفة خطيرة، وانحراف خطير يطعن في أصل الإيمان قال سبحانه: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ) (البقرة: ٨٥)

وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) (البقرة: ٢٠٨).
فعلى الأسرة المسلمة أن تغرس الإيمان في قلوب الأبناء، وتربيهم على الالتزام بأوامر الله ما وافق الهوى وما لم يوافق منذ الصغر، وأن تربيهم على العمل بكتاب الله سبحانه -



(١٦٤) تفسير النسفي ج ٢ ص ٣٢



ولتَحْذَرُ الأسرة المسلمة من:-

١- الانتقاء من كتاب الله حسب الهوى.

٢- ربط كتاب الله بالمناسبات كالمآتم والاحتفالات.

٣- القراءة العابرة بغرض المتعة النفسية وبلا تفهم أو تدبر، فثمة فريق من الناس يحافظ على ورده اليومي، ولا يقصر في الالتزام به، فإذا سألتهم عما فهم، وعما استفاد، لا تجد معه جواباً.

٤- القراءة والتدبر ثم تلقى الخواطر والتصورات من المجالات الفكرية والكتب الفلسفية، وهذا أمر خطير، إذ المسلم لا يتلقى إلا من مصدر واحد، وهو الوحي قرآناً وسنة، يتلقى ليعمل، ويدعو هكذا تربي المسلمون الأوائل.

وهذه الأمور التي حذرنا الأسرة المسلمة منها لتَحْذَرُ الجيل الناشئ منها يقع فيها كثير من الناس،

فيقرأون ولا يتدبرون، أو يقرأون ولا يتلقون من كتاب الله تصوراتهم، أو ينتقون من كتاب الله ما يوافق هواهم، ولا يقف في سبيل مصلحتهم الشخصية، وكل من وقع في شئ من هذا فما قرأ كتاب الله، وما عمل ما يفرضه عليه إيمانه، فمن ثم ينقص إيمانهم ولا يزداد، وإنما يزداد الإيمان ويتغذى بالعمل الصالح الذي يدرك به علاقته مع الناس رحماً وقربى، وصداقة وجواراً، عملاً وتعاوناً، إيماناً وموالاتاً، ويعلم منازل الناس فينزلهم إياها، ويعرف دوره تجاه نفسه وولده وأهله ومجتمعه ودينه.

ومما ينمي الإيمان أن تقيم الأسرة المسلمة الشعائر الدينية فرائضها ونوافلها على أكمل وجه، مع تربية الأولاد على المحافظة على الوضوء والذكر والاستغفار والدعاء لا سيما الدعاء المأثور في الكتاب والسنة، وكذلك المبادرة بالتوبة والإنابة إلى الله.



- بهذه التربية الإيمانية التي ينميها الالتزام بما جاء به الوحي يتربى الجيل المسلم الذي يحمل هم الإسلام، ويعمل من أجل التمكين له، ويزود عن حياضه، ويحمي ذماره، ولا بد لهذا الجيل من دراسة منهاج الله، وتدبره، والإيمان والتصديق به، ثم ممارسته في واقع الحياة ممارسة لا صلاح ولا فلاح إلا بها.

- وقضية الممارسة العملية لمناهج الله - سبحانه - هي قضية كل الرسل وقضية أتباع الرسل الكرام قال تعالى:-

- (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدَفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدَفُونَ (١٥٧) (الأنعام م ١٥٤ - ١٥٧)

- إن القضية واحدة مع جميع الأجيال والعصور: إنها كتاب الله المنزل من عنده، لقد أتى الله موسى الكتاب ليتدبره الناس من بني إسرائيل كل بني إسرائيل لعلمهم بلقاء ربهم يؤمنون، فالكتاب كان إذن باب الإيمان ومدخل اليقين، وتظل القضية المطروحة هي نفسها في مقبل الأجيال، هي دراسة كتاب الله (ولأن كنا عن دراستهم لغافلين)

- والإدبار عن دراسة كتاب الله وتدبره تصوره الآيات الكريمة لنا كأنه عزوف عن آيات الله وتكذيب بها،

وتأتي الآيات في سورة الأعراف لتصور لنا حالة أخرى من التعامل المتفلت مع كتاب الله، تعاملًا لا يرضي الله، ولا يقود إلى بركة وخير، تعاملًا يأخذ فيه العرض عرض



هذا الأدنى، ولكن الله - سبحانه - كان قد أمرهم أمرا لا لبس فيه بأن لا يقولوا على الله إلا الحق وذلك بالتمسك بكتاب الله دراسة وإيمانا وممارسة

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩) وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠) (الأعراف)

- إنهم يأخذون جزءاً ويدعون جزءاً، يأخذون عرض هذا الأدنى وإنهم يأخذون عرضاً مثله حين يأتيهم، فخالفوا بذلك، وأخذ عليهم في ميثاق الكتاب والميثاق يقضي بأن يمسكوا بالكتاب وقيموا الصلاة، والأمر الأول (يمسكون) تعني كل أنواع التمسك المبارك بالكتاب: تلاوة وتدبرا ودراسة وحفظا، وقبل ذلك كله إيمانا وتصديقا

- والأمر الثاني: هو العمل به كله وأشار إلى ذلك بأهم العمل وهو الصلاة، فالقضية إذن واحدة هي دراسة منهاج الله وتدبره كاملا كله لا جزءا منه، دراسته وتدبره والإيمان والتصديق به ثم ممارسته في واقع الحياة، هذه هي القضية التي كان يتغلب منها أتباع الرسل، وهي القضية التي يتغلب منها كثير من المسلمين اليوم....

- فدراسة منهاج الله دراسة متكاملة هو توجيه رباني، وليس تصورا بشريا يبتدعه أحد من الناس إنما نذكر فالذكرى تتفع المؤمنين^(١٦٥)

ولا يقتصر دورا لأسرة على التربية الإيمانية لتخرج ذلك الجيل العامل للإسلام، بل يتعدى ذلك إلى التربية البدنية، والصحية، والتربية العقلية، والتربية الجمالية، والتربية النفسية الوجدانية والتربية الروحية، والتربية الخلقية، والتربية الاجتماعية والسياسية، فلأسرة في هذه الميادين جميعا دور هام لا يمكن الاستغناء عنه لتعد أفرادها لحمل التبعة، واليك البيان بإيجاز شديد:

(١٦٥) منهج المؤمن بين العتم والتطبيق د. عدنان النحوي ص ٣٤ - ٣٥

(١) التربية البدنية والصحية

فقد افترض الإسلام على الأم أن ترضع ولدها القدر الكافي من الرضاعة الطبيعية لما في هذه الرضاعة من غذاء بدني ونفسي وروحي لا تعوضه الرضاعة الصناعية مهما كان تكوينها، وسلامة تركيبها، قال تعالى: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ ۖ) (البقرة/ ٢٣٣)

وعلى الأسرة أن تعني بنظافة جسم الأولاد وثيابهم قال تعالى (وَنِيَابُكَ فَطَهِّرْ) (٤) والرجز فأهجر (٥) (المدثر/ ٤ - ٥)

وعليها الاهتمام بطعام الأولاد وتوجيههم التوجيه الصحيح قال تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (٣١) (الأعراف)

وقال ﷺ (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت) (١٦٦)

(٢) دور الأسرة في التربية العقلية للأولاد:-

فعلى الأسرة أن تهيئ للأولاد الجو الذي يساعدهم على الدراسة والتفوق، وعليها أن تتبها الأولاد وتوجههم إلى ما ينمي ذكاءهم، وعليها أن تعمل على كشف وتنمية استعداداتهم ومواهبهم وميولهم وقدراتهم العقلية المختلفة.

قال تعالى: (قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) (يونس: ١٠١) وقال: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ) (الروم: ٤٢)

(١٦٦) (حسن) أبو داود (كتاب الزكاة (باب) في صلة الرحم ح ١٦٩٢ ج ٢ ص ٧٣٣ والبيهقي في السنن ٤٦٧/٧ وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٤٨١)

(٣) دور الأسرة في التربية النفسية والوجدانية

على الأسرة أن تعمل على تربية الأولاد نفسياً ووجدانياً ليستطيعوا أن يتكيفوا مع أنفسهم ومجتمعهم الذي يعيشون فيه ويكون ذلك منذ الصغر بمعرفة حاجات الأولاد النفسية والاجتماعية، وتوفير أساليب المعاملة التي تساعد على إشباع تلك الحاجات بقدر الإمكان بحيث لا يعرضونهم للحرَج أو الخوف بالتهديد والقسوة ولا يشعرونهم بعدم الاهتمام، بل إن الدين الإسلامي يدعو إلى كل ما من شأنه غرس الطمأنينة والأمل والثقة في النفوس ويوطد أركان الحق والخير والعدل والمساواة، وحينما أمر القرآن الأم أن ترضع أولادها لم يكن ذلك لإشباع الرغبة الحسية ورد الجوع عن الولد فحسب، فليست الرضاعة عملية عضوية آلية فحسب، ولكنها حنان متبادل وحب وأمان وطمأنينة يرشدها الطفل من ثدي الأم مع اللبن. عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أتقبلون صبيانكم؟ فما نقبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة" (١٦٧)

(٤) دور الأسرة في التربية الروحية

على الأسرة المسلمة أن تعني بإيقاظ الاستعداد الروحية الفطرية لدى الولد، وأن توجهه التوجيه السليم عن طريق الممارسة العملية لتعاليم الدين، وضرب المثل الطيب، وإشاعة روح التدين في البيت، وتعويدهم على أداء الشعائر الدينية منذ الصغر وتوجيههم إلى القرارات الدينية المناسبة لسنهم

قال تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) (طه: ١٣٢) وقال ﷺ (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع) (١٦٨)

(١٦٧) (حسن) أبو داود (كتاب الزكاة (باب) في صلة الرحم ح ١٦٩٢ ج ٢ ص ٧٣٣ والبيهقي في السنن ٤٦٧/٧ وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٤٨١)
(١٦٨) (صحيح) أبو داود (كتاب الصلاة (باب) متى يأمر الغلام بالصلاة ح ٤٩٥ ج ١ ص ٢٤٢ وأحمد في مسنده ح ٦٦٨٩ ج ٢ ص ١٨٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٨٦٧)

(٥) دور الأسرة في التربية الخلقية

وهي ترتبط بالتربية الروحية والدينية، بل التربية الأخلاقية جزءاً لا يتجزأ من التربية الدينية، فعلى الأسرة أن تعرف الأولاد على الأخلاق الفاضلة، وتحثهم على التزامها

كالصدق والرحمة والأمانة والعدل والحياء والتواضع والإخلاص والحلم والصبر وحب الخير والكرم والجود والسخاء، وتعوده منذ الصغر على التحلي بها وتضرب لهم من القصص القرآني والنبوي والتاريخ، الأمثلة التي تبين عاقبة المتلزمين بمكارم الأخلاق وعاقبة المنحليين أخلاقياً الذين لا يلتزمون بالأخلاق الكريمة،

(قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) (يونس: ١٠١)

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة: ١١٩)

وقال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ...) (النساء: ٥٨)

وقال سبحانه: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) (هود: ٧٥) وامتدح نبيه ﷺ فقال: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤)

وعن الخشية يقول سبحانه:

(سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) (الأعلى).

وعن الحياء يقول ﷺ (الحياء من الإيمان) (١٦٩)

(١٦٩) مسلم (كتاب الإيمان (باب) الحياء من الإيمان ح ٣٦ ج ٦٣ والترمذي (كتاب الإيمان (باب) ما جاء أن الحياء من الإيمان ح ٢٦١ ج ٥ ص ١١)

(٦) دور الأسرة في التربية الاجتماعية

على الأسرة أن توجه سلوك الأولاد الاجتماعي في إطار العقيدة الإسلامية الصحيحة وفي إطار تعاليم الدين وأحكامه وأخلاقه التي ترفع من شأن الإيمان بالله وتقواه ومخافته ومراقبته والعمل بمقتضى تعاليم وأحكام وأخلاق دينه التي تحث على العمل والانتاج واستثمار الوقت في النافع المفيد والأمانة والإخلاص في العمل والعدل والرحمة والإحسان والإيثار والتعاون والتكامل ومراعاة المصلحة العامة إلى غير ذلك من العواطف والأخلاق ذات القيمة الاجتماعية، وعلى الأسرة أن تعود الأولاد بالتدرج على الاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية وتقدير الواجب مع تجنبهم الترف والتدليل، وتجنبهم الإذلال والتحقير والقسوة مع مساعدتهم على بناء صداقات طيبة ملتزمة مع تشجيعهم على العمل النافع الذي يستقلون به حالياً وعاطفياً

قال تعالى: (وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (التوبة: ١٠٥) وقال: (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ..) (الحشر: ٩)

وقال: (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة: ١٩٥)

وقال: (..وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ..) (المائدة: ٢)

(٧) دور الأسرة في التربية الجمالية

خلق الله سبحانه - الكون وأبدعه لوحة رائعة من الجمال أنى اتجهت رأيت ما يسبي النواظر: فالسما والارض مليئتان بآيات الجمال، وقد حثنا الله سبحانه - على النظر إلى هذا الجمال، وعلى الوالدين أن يوجهها نظر الأولاد إلى ما في الكوني من جمال





قال تعالى: (أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسُكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بِصِيرٌ) (الملئك: ١٩)

هذا مشهد رائع يجمع بين الجمال والكمال، مشهد لا تملئه العين ولا النفس، وهو فوق ما فيه من روعة وجمال يدل على ما لله من قدرة وجلال وكمال لا يملك المرء تجاهه إلا أن يقول: (سبحانه الله)،

وقال تعالى: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)) (الغاشية) بهذه التربية تخرج مدرسة الأسرة للمجتمع جيلا من المتفوقين النابهين الذين يحملون دينهم على كواهلهم، ويتقدم المجتمع المسلم بهم.

الهدف الثاني من أهداف الأسرة المسلمة:

ربط الأولاد بالمسجد برباط وثيق

المسجد في حياة المسلم هو بيته الأول الذي ينطلق منه ويتحرك، وتربية الأولاد على حب المسجد والارتباط به مسئولية الأسرة، وهو عمل تربوي جليل القدر عظيم الأثر، فهو المحضن الأهم الذي يشب فيه المسلم، ويتربى على الصفات الطيبة والخصال الحميدة،

يقول الأستاذ/ علي عبد الحليم محمود: إن المسجد يطبع المسلم على حب النظافة والطاعة والنظام، وكل تلك أمور لا تستقيم الحياة الإنسانية بدونها، بل لا يستطيع الإنسان أن يتعامل مع أسرته أو مع المجتمع إلا بها، إذ كيف بمن فقد النظام أو الاستجابة والطاعة في غير معصية - أو فقد النظافة مادية أو معنوية أن يتعامل مع غيره من الناس فيحظي منهم بالاحترام، ويحقق معهم مصلحة خاصة أو عامة؟^(١٧٠)

(١٧٠) تربية الناشئ المسلم د. علي عبد الحليم محمود ص ٩٣ ط ٣ دار الوفاء ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م



ولأهمية المسجد في حياة المسلم ابتداءً النبي ﷺ أعماله في المدينة ببناء المسجد، وكان ﷺ يحمل اللبن والحجارة بنفسه ويقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة

فاغفر للأنصار والمهاجرة

مما زاد في حماسة الصحابة ونشاطهم في العمل، ولو كان في حياة المسلمين ما هو أهم من المسجد لبدا به النبي ﷺ (١٧١).

ثمرة الارتباط بالمسجد على سلوك المسلم :

أولاً: التربية على الطاعة لأمر الله وسرعة الاستجابة له

حينما يسمع المسلم المنادي يؤذن بالصلاة فإنه يجعل كل شيء وراءه، وينطلق في سكينة وخشوع مطيعاً لله سبحانه وتعالى - وحينما يتعود المسلم على تلبية النداء للصلاة فإنه سيتعود على تلبية نداء الله في كل أمر، لأنه يعلم أن الاستجابة لأمر الله حياة ونجاة حياة القلوب والأبدان ملؤها السكينة والرضا والطمأنينة.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء: ٥٩) والمسلم المتربي على طاعة الله وتلبية أمره هو المسلم الحق الذي يعمل المربون على إيجاده، ولن نتعلم الطاعة إلا من المسجد، بل طاعة الله سمة واضحة بارزة لرواد المساجد:

- طاعة في الآذان حينما يسمعه يترك الناس والأعمال.
- طاعة في الإقامة إلى الصف، ويتسابق إلى الصف الأول لما يعلمه من فضله.
- طاعة في تسوية الصف، والوقوف المعتدل فيه.

(١٧١) البخاري (ك) المغازي والسير (ب) غزوة الخندق ح ٣٨٨٢ ج ٤ ص ١٥٠٤



- طاعة عند استماع التلاوة يستمع خاشعا متدبرا.
- طاعة في التأدب بآداب المسجد، وفي التزام السنة في الدخول باليمنى ذاكرا الله، وفي الخروج باليسرى ذاكرا الله، وفي عدم رفع الصوت داخل المسجد، وفي عدم التشويش على إخوانه المصلين.
- طاعة في صلاة السنن والنوافل والالتزام بها.

هذه الطاعة إنما بتعلمها السلم الذي تربي على حب المسجد حتى تعلق به كأنه قنديل معلق فيه لا يبرحه.

قال تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) (التوبة: ١٨)

فالتربية على حب المسجد والارتباط به تغرس الإيمان في القلب وتتميه، وتملأ القلب خشية من الله، وجراًة في الحق وهداية، قال السعدي رحمه الله - في تفسيره الآية: فوصفهم بالإيمان النافع وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أمها الصلاة والزكاة، وبخشية الله التي هي أصل كل خير، فهؤلاء عمار المساجد على الحقيقة وأهلها الذين هم أهلها (فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) وعسى من الله واجبة، أما من لم يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا عنده خشية لله فهذا ليس من عمار مساجد الله ولا من أهلها الذين هم أهلها، وإن زعم ذلك وادعاه^(١٧٢)

ثانياً: التربية على وحدة الاتجاه

حيث يقف المسلمون طاعة لله الواحد وعبادة له يقفون في صف واحد وقبلتهم واحدة مهما كان موقعهم الجغرافي في الأرض، وحين يقف المسلمون في صف يجمعهم كذلك الهدف الواحد المشترك فهم يقفون جميعاً رغبة فيما عند الله من الثواب والأجر، وطلباً لمرضات الله -جل وعلا- في إذن وحدة الاتجاه المادية والمعنوية، وهذا بدوره يربي المسلمين على أن تكون وجهتهم في الحياة واحدة وكذلك توجهاتهم.

(١٧٢) تفسير السعدي ص ٣٩١



إن التَّوْحِدَ أمرٌ مَلَحٌ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَعْمَلَ لَهُ، وَأَنْ نَسْعَى لِتَحْقِيقِهِ قَالَ تَعَالَى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (آل عمران: ١٠٥)

والتَّوْحِدَ عَصِمَةُ لِلْأُمَّةِ مِنْ أَعْدَائِهَا شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، وَكَذَا مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ، إِذْ لَا يَرْهَبُ أَعْدَاءُنَا كَتَوْحِدِنَا، وَلِذَا يَبْذُلُونَ أَثْمَنَ مَا يَمْلِكُونَ لِبَثِّ أَسْبَابِ الْفِرْقَةِ وَالتَّشْرِذِ وَالتَّشْبَعِ بَيْنَنَا وَصَدَقَ اللَّهُ (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَةً كَأَنَّهُمْ بَنِيَانٌ مَّرْصُوعُونَ) (الصف: ٤) وَمَالَنَا أَلَّا نَتَّوَحَّدَ وَنَحْنُ الْأُمَّةُ الْوَاحِدَةُ الَّتِي حَفِظَتِ الْعَهْدَ مَعَ اللَّهِ، أُمَّةُ الْإِيمَانِ وَالْخَيْرِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمَالَنَا أَلَّا نَتَّوَحَّدَ وَعَقِيدَتُنَا عَقِيدَةٌ وَاحِدَةٌ.

إن المسجد يربي المسلم على وحدة الاتجاه، ويربيه على حب الجماعة في كل شئ

ثالثاً: التربية على الآداب الإسلامية الرفيعة مثل :

- ١- آداب الأخوة ومعرفة حق الإخوان وحبهم في الله تعالى والسؤال عنهم.
- ٢- تعلم آداب السؤال وآداب الإنصات.
- ٣- تعلم آداب الحوار وفقهه وأهدافه.
- ٤- تعلم السكينة والوقار الهدوء.
- ٥- تعلم النظافة بنوعيتها الحسي والمعنوي، حيث نظافة القلب من الحقد واللدود والحسد قال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) (الأعراف: ٣١)
- ٦- تعلم الخشوع لله في الصلاة وفي سائر العبادات.
- ٧- تعلم الذكر والاستغفار والمداومة على ذلك.
- ٨- ويتعلم المسلم من المسجد معرفة أحوال المسلمين في كل مكان والسؤال عنهم ومؤازرتهم ومناصرتهم بالدعاء والمال والنفس إن أمكنه.





٩- هذا بالإضافة إلى مجالسة العلماء ومصاحبة الحكماء والاستفادة منهم ومن مجالستهم وطلب العلم منهم، وقد كان النبي ﷺ يعقد في المسجد حلقات العلم ويعلم الصحابة فيه ودليله ما رواه أبو واقد الليثي قال: بينما رسول الله ﷺ في المسجد فاقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فوجد فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه) (١٧٣)

وقد رغب النبي ﷺ وحث على طلب العلم في المسجد لأن الملائكة تحف مجالس العلم ويذكروهم الله فيمن عنده.

الهدف الثالث من أهداف الأسرة المسلمة.

تربية الأولاد على النهوض بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فالدعوة إلى الله - عز وجل - واجب كل مسلم ومسلمة حسب القدرة، وهي أعظم مهنة يمتنها المسلم لأنها مهنة الأنبياء ووظيفتهم ووظيفة أتباعهم واصحابهم واشياعهم، بل إنها سبيل النبي محمد ﷺ التي سبيلها وسلوكها واضافها إلى نفسه وإلى كل من آمن به

قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) (يوسف: ١٠٨)

والأسرة المسلمة يجب عليها أن توجه الأبناء منذ الصغر إلا أنهم دعاة إلى الله، وأن عليهم أن يمارسوا الدعوة بمجرد التمييز والقدرة عليها،

(١٧٣) البخاري (كتاب) العلم (باب) من قعد حيث ينتهي به المجلس ح ٦٦ ج ١ ص ٣٦ والترمذي (كتاب) الاستئذان (٢٩) باب ح ٢٧٢٤ هـ ص ٧٣



وأن تعلمهم أن الدعوة إلى الله تشمل:

- الدعوة إلى كل خير وبر ومعروف.
- الدعوة إلى الحق والعدل والإحسان.
- الدعوة إلى ما ينفع الناس ويرفع الحرج عنهم.
- النهي عن المنكر والبدع والشر والفساد.
- الدعوة إلى التناصح والتبازل والتآخي والتعاون والتكامل والتراحم.
- الدعوة إلى عبادة الله كما شرع على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم.
- الدعوة إلى الفضيلة ونشرها ونبذ الرذيلة ودحضها.
- الدعوة إلى مناصرة المسلمين في كل أرض حلوا فيها،

قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) (النحل: ١٢٥)

وعلى الأسرة المسلمة أن تدرب الأبناء وتعودهم على النهوض بالدعوة في البيت وفي المسجد وفي الشارع وفي السوق وفي المدرسة وفي كل مكان يستطيعون الدعوة إلى الله تعالى فيه، وعلى قدر فهم المسلم لدوره وأهميته في إحداث التغيير في المجتمع يؤدي دوره وينجح فيه، وعلى الأسرة المسلمة أن تربي الأبناء على الإيجابية إذ المسلم عنصر فعال ومؤثر في مجتمعه، ومن الأحاديث التي تحدد دور المسلم في مجتمعه ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ وقف على ناس جلوس

فقال (ألا أخبركم بخيركم من شركم؟ قال: فسكتوا فقال ذلك ثلاث مرات، فقال رجل: بلى يا رسول الله أخبرنا بخيرنا وشرنا قال: خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره)^(١٧٤).

^(١٧٤) البخاري كتاب العلم باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه ج ١ ص ٤٥ والترمذي (كتاب الفتن (٧٦) باب ح ٢٢٦٣ ج ٤ ص ٥٣٨ وأحمد ح ٨٧٩٨ ج ٢ ص ٣٦٨ ج ٢٢٦٣ ج ٤ ص ٥٣٨ وابن حبان ح ٥٢٨ ج ٢ ص ٢٨٦



أهداف التربية القرآنية

- والمعنى العام يؤكد أن دور المسلم دور إيجابي يتفاعل مع قضايا المسلمين، ويكون عوناً للمسلمين فيعمل بكل ما يملك على مساندة إخوانه وإعانتهم ورفع الظلم عنهم، وعليه كذلك أن يكف نفسه ويده ولسانه عن الشر فلا يؤذى إخوانه بكلمة خبيثة أو نابية ولا يؤذيهم بيديه ببسطةها بالأذى إليهم، وعليه أن يعادي أعداء إخوانه المسلمين، ويكف عن مساعدتهم ومساندتهم وموالاتهم بأية صورة من صور الموالاتة .

- وعلى الأسرة المسلمة أن تفقه أبنائها وتعرفهم أن الجهاد الذي هو سنام الإسلام لا يقتصر على حمل السلاح فقط، بل يشمل جميع أوجه الجهاد والتفاعل مع هموم الأمة وقضاياها وجه هام من أوجه الجهاد في سبيل الله قال تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ تَذِيراً (٥١) فَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً) (الفرقان: ٥١-٥٢) فالدعوة إلى الله والبيان والبلاغ جهاد كبير كلما بينت الآية، ولكي تنجح الأسرة في تحميل الأولاد هم الدعوة ومسئوليتها عليها أن تربيهم على:-

١- حسن الخلق وحسن التعامل مع الناس: فحسن الخلق يملك قلوب الناس، ويدفعهم إلى الاستجابة للدعوة قال تعالى عن نبيه ﷺ: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة: ١٢٨)

٢- العطاء والبذل: فمن السمات المميزة للدعاة كرمهم وبذلهم كل خير، فيبذلون للناس الخلق الحسن والجاه عند الحاجة، ويبذلون ما يستطيعون للناس من مرتفعات هذه الدنيا ليبينوا لهم أنهم ليسوا طالبي دنيا، وليسوا عباداً للشهوات ولا للدراهم، وأن الدنيا آخر اهتمامهم، وأن يبذلوا الدنيا للناس ليكسبوا قلوبهم، وأن يبذلوا للناس النصيحة والإرشاد والتوجيه ليحس الناس أنهم حريصون عليهم حقاً.

٣- أن تربيهم على احترام الآخرين والاهتمام بقضاياهم.

٤- الكلمة الطيبة الخارجة من القلب لا تخطئ القلب.



٥- قوة الصلة بالله والاستعانة به، فأعظم زاد يتزود الداعية به في طريقة اللاحب الشائك اعتماده على الله وتوكله عليه وقوة صلته به.

٦- الترفع عن الدنيا. فالداعية لا يحسن السباحة في بحور الدنيا التي لا ساحل لها، فأهل العلم دائماً يحتقرون هذه الدنيا وإن أسرت مباهجها الناس ومفاتها -بعون الله- لا تأسرهم بل يرون أن ما عند الله خير لمن آمن وعمل صالحا وصير قال تعالى: (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠)) (القصص)

٧- ويتفرع على ذلك استغناء المسلم الداعية عن الناس قدر إمكانه، وعدم إراقة ماء وجهه ما استطاع، بل هو الذي يبذل الخير للناس ويزهد فيما في أيديهم ويتعفف.

٨- القرب من أهل المعاصي ، والتبسم لهم ، والإحسان إليهم، يقول عبد القادر الكيلاني - رحمه الله - : المتزهد المبتدئ في زهده يهرب من الخلق، والزاهد الكامل في زهده لا يبالي منهم ولا يهرب منهم، بل يطلبهم لأنه يصير عارفا لله -عز وجل- ومن عرف الله لا يهرب من الفساق والعصاة، والمنتهى يطلبهم وكيف لا يطلبهم وكل دوائهم عنده، ولهذا قال بعضهم رحمة الله عليه: لا يضحك في وجه الفساق إلا العارف^(١٧٥)

٩- تزويد الأولاد بفقهِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) وهذه الممارسة الحكيمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يميز الأمة المسلمة والمجتمع المسلم لما في ذلك من إيجابية حقه ولحساس يتحمل التبعة والمسئولية،



(١٧٥) النمطلق/ محمد أحمد الراشد ص ٨٨



ومن آداب تلك الممارسة:-

- ١- الحكمة وذلك بوضع الأمور في نصابها وحسن اختيار الكلمة والوقت والمكان.
- ٢- الموعظة الحسنة بالكلمة الطيبة التي يشع النور منها.
- ٣- الجدل بالحسنى أي: الحوار الذي هدفه الوصول للحق لا دحض الخصم وإظهار ضعفه وكشف عواره.
- ٤- العلم ومعناه العلم بالقضية أو المسألة التي يأمر بها أو ينهى عنها.
- ٥- الصبر، فالأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر عرضة للبلاء.
- ٦- مراعاة أحوال المخاطبين فليس كل ما يعلم يقال.
- ٧- مراعاة المراتب التي بينها الحديث فالإنكار باليد عند القدرة عليه وأمن الفتنة، ثم باللسان، ومن الجدير بالتأمل أن الشريعة التي تجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب المسلمين أفرادا وجماعات ومجتمعات وأمة ودولة هي نفسها التي تحذر من أن يؤدي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى وقوع فتنة بين الناس، أو إلى تعاد وتناحي وخصام^(١٧٦)



(^{١٧٦}) تربية الناشئ المسلم/ د. على عبد الحليم محمود ص ١٠٨



الفصل الرابع : إقامة المجتمع المسلم

ينتظم الحديث في هذا الفصل ما يلي:

أولاً: مفهوم المجتمع المسلم.

ثانياً: أسسه.

ثالثاً: صفاته.

أولاً: مفهوم المجتمع المسلم

أمل يراود كل مسلم صادق، وهدف سام من أهداف التربية القرآنية وثمره من ثمارها لما ينزل من عند الله من التشريعات والتنظيمات والتوجيهات ولما يصدر عن النبي ﷺ من أوامر ونواه وتوجيهات ومواعظ، والبون شاسع - كما نرى - بين الواقع الحالي للمجتمع المسلم

وبين المجتمع المسلم الذي رسم القرآن صورته، وأوضح معالمه، وبين أسسه.

والمجتمع المسلم الذي تهدف التربية القرآنية إليه هو:-

التطابق التام بين الإسلام في صورته النظرية والإسلام في صورته العملية التطبيقية، إنه المجتمع الذي وضعته شريعة الله وصاغته، المجتمع الذي يكفل الحياة الآمنة لكل من يعيش فيه، المجتمع الإنساني بما تحمله كلمة الإنسانية من معان نبيلة ، المجتمع المفقود الذي تحتاج إليه البشرية اليوم كما يحتاج المريض للرحمة والبرء والعافية.

المجتمع الرباني الذي أرسى الله في كتابه أسسه ودعائمه، وبين صفاته، وبرغم غياب هذا المجتمع أو وجوده بصورة مجروحة منحرفة فالأمل يملأ قلوبنا في غيجه لأننا نملك أسباب قيامه وأعظمها الإسلام فهو باعتراف أعدائنا - أعظم قوة على ظهر الأرض

أهداف التربية القرآنية

فهذا " جلادستون " رئيس وزراء بريطانيا يقف في مجلس العموم البريطاني يتحدث عن خطة الاستعمار البريطاني في العالم الإسلامي فيقول: مادام هذا القرآن موجودا بين أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان

وما هذه الحرب الهوجاء التي تموج بها الأرض في أيامنا تلك إلا للقضاء على الإسلام لكن خبث مدبريها جعلهم يسمونها الحرب ضد الإرهاب والتطرف، وإننا نمتلك عقيدتنا الإسلامية الصحيحة الصافية من كل غبش، ونمتلك رجالا يحبون الإسلام ويتمنون عودته ليحكم الأرض، وهذه الصحوه المباركة تبشر بخير، كثير يقول صاحب الظلال رحمه الله: إن البشرية كلها في حاجة إلينا، وفي حاجة إلى عقيدتنا، وفي حاجة إلى مبادئنا وفي حاجة إلى شريعتنا، وفي حاجة إلى نظامنا الاجتماعي الذي يكفل الكفاية لكل فرد، ويكفل الكرامة لكل إنسان، ويكفل سلام الضمير، وسلام البيت،

وسلام المجتمع، كما يكفل السلام الدولي العام، ومن هذه الحاجة الإنسانية - بعد عقيدتنا في الله - نحن نستمد قوتنا وثباتنا على الدعوة إلى عقيدة الإسلام وشريعته ونظامه الاجتماعي الخاص وسنثبت - بعون الله - ولو تخطفنا الشر والطغيان من كل مكان أن مهمتنا أن نتميز، وأن نحمل الشعلة للضالين في شعاب الأرض وفي متاهات الصحراء، إن مهمتنا أن ننقذ البشرية من الحماة الآسنة التي تتمرغ فيها اليوم لا أن نذوب معها في تلك الحماة الآسنة، والله معنا والبشرية كلها ستعرف يوما أن نبوءة الله حق: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة : ١٣٤) (١٧٧)

وحين نتطلع لذلك المجتمع علينا أن ننظر إلى المجتمع المسلم الوليد في المدينة والذي أنشأه رسول الله ﷺ وأقامه وأسس به الهجرة، فهو المجتمع الإسلامي المثالي

وقد بدأه ﷺ بتأسيس المسجد الذي يلتقى فيه رجاله، وثني ﷺ بإحكام رابطة الأخوة والقضاء على الفرقة وأسبابها الحب والود، وغشت الناس الرحمة والسماحة، فلم يعد للغلظة مكان ولا للظلم مكان، بل التحاب والتراحم والتكامل.

(١٧٧) نحو مجتمع إسلامي/ سيد قطب ص ١٢-١٣



ثانياً: أسس المجتمع المسلم

لكي لا ينهار المجتمع قبل أن يتم البنيان، ولكي يثبت لأعاصير الباطل وهوج العواصف يثبت كالجبال الراسية لا بد له من أسس يقوم عليها، أسس متينة، والأسس التي يقوم عليها المجتمع المسلم كثيرة جداً لكننا نختار منها ما يلي:-

الأساس الأول :- الإيمان بالله

إن أقوى ركيزة وأمتن أساس يقام عليه المجتمع المسلم الإيمان بالله - سبحانه وتعالى -

ولن تقوم للمجتمع المسلم قائمة ما لم يكن مجتمعنا مؤمناً أشرب الإيمان في قلبه، وما المجتمع بدون إيمان إلا ريشة في مهب الريح تقلبها ظهراً لبطن، بل هو الغابة التي لا بقاء فيها إلا للأقوى.

وحقيقة الإيمان هي العقيدة المركوزة في القلب، والعمل الموافق لتلك العقيدة، ولا قيمة لإيمان مخبوء في القلب لا يحرك ساكناً، ولا يؤثر فيما حوله، ولا يتحول لعمل بناء نافع وقد نعي القرآن على من ادعى الإيمان بلسانه ولم يعمل بمقتضى الإيمان قال تعالى: (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) (النور)

والآية تجلي حقيقة الإيمان فهو الطاعة المطلقة والانقياد لأمر الله ولحكمه، والاستجابة له فلا اختيار للمسلم مع أمر الله قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) (الأحزاب: ٣٦)





فطاعة الله والمصارعة بالاستجابة لأمره هي الإيمان، وعصيان أمره هو الضلال المبين وقال سبحانه :

(إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يَطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢) (النور).

وهو الإيمان الذي يشعر المسلم فيه بمحبة الله - عز وجل - والشوق الدائم إليه، ويستعذب صاحبه البذل والتضحية في سبيله

قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحجرات: ١٥)

وهو الإيمان الذي يملأ القلب خشية لله وخوفاً منه، قال تعالى عن أهل الجنة: (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) (ق: ٣٣) وقال سبحانه: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال: ٢)

وهو الإيمان الذي يعمل صاحبه بمقتضاه فيجاهد ويبذل ويؤدي دوره به، ويمتلكه شعور بالخوف من عدم قبول عمله (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَتَّهِمُ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) (المؤمنون: ٦٠)

وهو الإيمان الذي يورث العبد المراقبة، المراقبة التي تقوم في المجتمع المسلم مقام القوانين ورجال الشرطة، فالمؤمن يقدم على العمل.

وببذل فيه إذا رآه موافقاً لأمر الله، ويرده عن الفساد وعن الجريمة وعن السرقة والرشوة والغش مراقبة لله وخوفه من أن يطلع إليه فيراه على معصيته،





قَالَ سُبْحَانَهُ: (قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) (طه: ٤٦) وَقَالَ: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ تَجَوَّى ثَلَاثَةَ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (المجادلة: ٧)

ولله در الشافعي:

حسبي بعلم أن نفع ما الذل إلا في الطمع

من راقب الله رجع عن سوء ما كان صنع

ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع^(١٧٨)

وهو الإيمان الذي يحفظ صاحبه الله تعالى، وحفظ الله سبحانه وتعالى بحفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه، ومن حفظ الله تعالى حفظ المسلم قلبه من مرضى الشهوة والشبهة، وهو الإيمان الذي يحفظ صاحبه لسانه عن المراء والجدال، وعن الخوض في الكذب والزور والبهتان والغيبة والنميمة والأعراض، ومن حفظ اللسان توجبه لخدمة هذا الدين العظيم والذود عن حماه، كما كان يفعل شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت رضي الله عنه، قال تعالى: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النور: ٢٤)

ومن حفظ الله حفظه الله، قال ﷺ: (احفظ الله يحفظك)^(١٧٩) أي يحفظك في مصالح دنيائك ويحفظك من مكر من عاداك، ومن كيد العتاة ومكر الطغاة، وكذلك يحفظك أي: يحفظ جوارحك، ويسخر لك كل شيء، هذه حقيقة الإيمان الذي يقوم المجتمع على كاهله، ولا مناص ولا مفر ولا بديل لمجتمع عنه.

(١٧٨) ديوان الشافعي ص ٢٢.
(١٧٩) (صحيح) الترمذي (كتاب) صفة القيامة والرقائق والورع (٥٨) باب ح ٢٥١٦ ج ٤ ص ٦٦٧ رواه أحمد ح ٢٦٦٩ ج ١ ص ٢٩٣ والطبراني في الأوسط ح ٥٤١٧ ج ٥ ص ٣١٦ والحاكم في المستدرک ح ٦٣٠٣ ج ٣ ص ٦٢٣ وصححه الألباني في الجامع الصغير برقم ٧٩٥٧



أما عناصره فقد جاءت في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) (النساء: ١٣٦)

يقول صاحب الضلال رحمه الله: فهو بيان لعناصر الإيمان التي يجب أن يؤمن بها الذين آمنوا، بيان للتصور الإسلامي الاعتقادي.

فهو إيمان بالله ورسوله يصل قلوب المؤمنين بربهم الذي خلقهم وأرسل إليهم من يهديهم إليه وهو الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإيمان برسالة الرسول وتصديقه في كل ما ينقله لهم عن ربهم الذي أرسله، وهو إيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله يربطهم بالمنهج الذي اختاره الله لحياتهم وبينه لهم في هذا الكتاب والأخذ بكل ما به بما أن مصدره واحد وطريقه واحد وليس بعضه بأحق من بعضه في التلقي والقبول والطاعة والتنفيذ. وهو إيمان بالكتاب الذي أنزل من قبل بما أن مصدر الكتب كلها واحد هو الله وأساسها كذلك واحد هو: إسلام الوجه لله، وإفراد الله - سبحانه - بالألوهية بكل خصائصها والإقرار بأن منهج الله وحده هو الذي تجب طاعته وتنفيذه في الحياة، وهذه الوحدة هي المقتضى الطبيعي البديهي لكون هذه الكتب هذه الكتب قبل تحريفها صادره كلها عن الله، ومنهج الله واحد وإرادته بالبشر واحدة وسبيله واحد تتفرق السبل من حولها وهي مستقيمة إليه واصله، والإيمان بالكتاب كله بوصف أن الكتب كلها كتاب واحد في الحقيقة هو السمة التي تتفرد بها هذه الأمة المسلمة لأن تصورهما لربها الواحد ومنهجه الواحد وطريقه الواحد هو المقصود الذي يستقيم مع حقيقة الألوهية، ويستقيم مع وحدة البشرية، ويستقيم مع وحدة الحق الذي لا يتعدد، والذي ليس وراءه إلا الضلال (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَتَى تُصْرُفُونَ) (يونس: ٣٢)

وبعد الأمر بالإيمان يجيء التهديد على الكفر بعناصر الإيمان مع التفصيل فيها في موضع البيان قبل العقاب (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) وقد ذكر في الأمر الأول الإيمان بالله وكتبه ورسوله، ولم يذكر الملائكة، وكتب الله تتضمن ذكر الملائكة وذكر اليوم الآخر.



ومن مقتضى الإيمان بهذه الكتب الإيمان بالملائكة وباليوم الآخر، ولكنه يبرزها لأنه موطن الوعيد والتهديد الذي يبين فيه كل عنصر على التحديد.

والتعبير بالضلال البعيد غالبا يحمل معنى الأبعاد في الضلال، الذي لا يرجى معه هدي ولا يرتقب بعده مآب، والذي يكفر بالله الذي تؤمن به الفطرة في أعماقها كحركة ذاتية منها واتجاه طبيعي فيها، ويكفر بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، استمدادا من كفره بالحقيقة الأولى، الذي يكفر هذا الكفر تكون فطرته قد بلغت من الفساد والتعطل والخراب الحد الذي لا يرجى معه هد ولا يرتقب بعده مآب^(١٨٠) على الإيمان بحقيقته التي أسلفنا الحديث عنها وبعناصره وأركانه المعروفة يقام المجتمع المسلم، فيربي الفرد المسلم، وتحل المشكلات الشائكة.

الأساس الثاني: الأخوة في الله:-

قل تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران: ١٠٣)

فهي أخوة إذن تنبثق من التقوى والإسلام، من الركيزة الأولى أساسها الاعتصام بحبل الله أي: عهده ومنهجه ودينه وليست مجرد تجمع على أن تصور آخر الأهداف آخر ولا بواسطة حبل آخر من حبال الجاهلية الكثيرة (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) هذه الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على الجماعة المسلمة الأولى، وهي نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عبادة دائما وهو هنا يذكرهم هذه النعمة^(١٨١) ولأهمية هذه الرابطة أقام النبي ﷺ المجتمع المسلم الأول الناشئ في المدينة عليها فآخي بين الأوس والخزرج، وآخي بين المهاجرين والأنصار فأصبحوا إخوة في الله متحابين متآلفين بعدما كانوا أعداء متقاتلين

(١٨٠) الضلال ج ٢ ص ٧٧٨
(١٨١) الضلال ج ١ ص ٤٤٢



(وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) (الأنفال: ٦٣))

وتعني بالأخوة الأخوة الإيمانية المتجردة من عرض الأدنى المتجردة من المصالح الشخصية، إنها صفة ملازمة للإيمان والتقوى فلا أخوة بلا إيمان، ولا إيمان بلا أخوة، فالإيمان والأخوة صنوان لا يفترقان، قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (الحجرات: ١٠) ولا أخوة بلا تقوى، قال سبحانه وتعالى: (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (الزخرف: ٦٧)

والأخوة القائمة على الإيمان والتقوى المتحررة من أسر الأغراض والشهوات والهوى تثمر الحب، وتجتث جذور العداوة والخصام، والأخوة التي تدفع المؤمن إلى اتخاذ مواقف إيجابية تؤثر في مجتمعه المسلم كالإيثار والرحمة والتعاون والنصرة والولاء قال تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (المائدة: ٢)

وقال تقدست أسماؤه: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر: ٩)

وقال جلا وعلا: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) (الأنفال: ٧٣)

قال النسفي رحمه الله: (إلا تفعلوه) أي: إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تجعلوا قرابة الكفار كلا قرابة (تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة (١٨٢)

(١٨٢) متفق عليه: البخاري (كتاب الأدب) (باب) رحمة الناس والبهائم ح٥٦٦٥ ج٥ ص٢٢٣٨ ومسلم (كتاب البر والصلة) (باب) تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ح٢٥٨٦ ج٤ ص١٩٩٩



لأن المسلمين مالم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائداً قال سبحانه: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ) (الفتح: ٢٩) يرحم بعضهم بعضا، ولا يكلف أخ أخاه مالا طاقة له به، يتألم لألمه، ويسعد لسعده، ويحسن معاملته، ويلين له، ويرفق به ويحب له ما يحب لنفسه، بل ويبذل له من نصحه ووقته وماله وعلمه وجاهه بحب وصفاء، قال ابن كثير رحمه الله: صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفا على الكفار رحيمًا برا بالأخيار غضوبًا عبوسًا في وجه الكافر ضحوكًا بشوشًا في وجه أخيه المؤمن كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غُلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (التوبة: ١٢٣)

قال ﷺ (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحوى والسهر) البخاري^(١٨٣) وقال :

(المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه)^(١٨٤)

وقال جلا وعلا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...) (المائدة: ٥٤)

يقول أستاذنا محمد أحمد الراشد حفظه الله: فهم يعلنون ميثاقهم مع أول قدم

الكفوف في الكفوف فاشهدوا عهودنا

النبات في الصفوف والمضاء والفنا



^(١٨٣) (متفق عليه: البخاري (كتاب المظالم (باب نصر المظلوم ح ٤٦٧ ج ١ ص ١٨٢ ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب (باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ح ٢٥٨٥ ج ٤ ص ١٩٩٩)
^(١٨٤) (ابن كثير بـ٤ ص.



وكما أن الإيمان بالجنة يدفع إلى سباق في الجهاد فإنه أيضا يدفع إلى سباق آخر في الطاعة والحب الأخوي والصفاء القلبي بين أفراد الجماعة المسلمة، بل يحرص على أن يكون ضمن المقدمة السابقة والزمرة الأولى التي تدخل الجنة بما كان لهم من الوحدة وأنهم كما يقول النبي :

(لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد) (١٨٥)

فهي طاعة تبغي أن تصيب هذا الصفاء، وتتسبب صاحبها إلى هذه الزمرة الفائزة من الإيمان تنط... وبقواعد تسترشد، ولديه تعود (١٨٦)

الأخوة ورابطة العقيدة

ثمة روابط كثيرة تجمع الناس وتربط بينهم كالجنس والقومية والوطن والنسب والمصاهرة والمصالح المشتركة، وهذه الروابط على اختلاف مشاربها لا يعترف الإسلام بها، ولا يوليها اهتمامه، فهي روابط تنقطع لأتفه الأسباب، وإنما يعترف الإسلام برابطة واحدة إنها رابطة العقيدة التي يعترف القرآن بها قال جل وعلا: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (٢٤) (التوبة)

ففي قوله: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ) إشارة إلى رابطة الجنس والنسب.

ففي قوله: (وَأَزْوَاجُكُمْ) إشارة إلى رابطة المصاهرة.

وفي قوله: (وَعَشِيرَتُكُمْ) إشارة إلى رابطة القومية

وفي قوله: (أَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ) إشارة إلى المصالح.



وفي قوله: (ومساكن ترضونها) إشارة إلى رابطة الأرض والوطن.

في قوله: (أحب إليكم من الله ورسوله) تقرير لمبدأ العقيدة الإسلامية.

والآية بمفهومها ومعناها تقرر للمسلم هذه الحقيقة.

فالعقيدة الإسلامية هي الرابطة، واعتبار الجنس أو القومية أو المصاهرة أو الوطن والأرض أو المصالح أسسا للعلاقة بين الأخوة ضلال مبين وزيف وفسق والله لا يهدي القوم الفاسقين ويؤكد ذلك المعنى ما رواه ماجه أن النبي ﷺ قال: (من قاتل تحت راية عمية يدعو إلى عصبية أو يغضب لعصبية فقتلته جاهلية) (١٨٧)

وفي الحديث أيضا أنه ﷺ لما سئل عن العصبية قال: (أن تعين قومك على الظلم) (١٨٨) وفي الحديث أيضا: (ليس من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية) (١٨٩) فمن هذه الأحاديث النبوية يتبين أن كل من دعا إلى عصبية نسبية، أو أخوة وطنية أو عقيدة مذهبية، أو رابطة قومية وتعصب لها وجعلها أصلا في الموالاة أو المعاداة، وأساسا في التناصر أو التخاذل يكون داعيا إلى العصبية متعزيا بعزاء الجاهلية خارجا عن الإسلام (١٩٠)

يقول ﷺ: (إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي أو فاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن) (١٩١) وهذا الحديث يبين حرص النبي ﷺ على تربية أمته على الانتماء للصف الإسلامي، وعلى الولاء له مع تنقية الصف الإسلامي مما يتصل بالجاهلية أو يمت إليها بصلة،

(١٨٧) ابن ماجه (كتاب الفتن (باب) العصبية ح ٣٩٤٨ ج ٢ ص ٧١٣٠ الأخوة الإسلامية/ عبد الله ناصح علوان ص ٦٧-٦٩
(١٨٨) (ضعيف) ابن ماجه في الفتن (باب) العصبية ح ٣٩٤٩ ج ٧ ص ٣٠٢ أبو داود (كتاب) الأدب (باب) في العصبية ح ٥١١٦ ج ٤ ص ٣٣١
(١٨٩) (ضعيف) أبو داود (كتاب) الأدب باب في العصبية ح ٥١٢١ ج ٤ ص ٢١٨٠ وابن عدي في الكامل ١٤٦/٣ وإسناده منقطع.
(١٩٠) الأخوة الإسلامية/ عبد الله ناصح علوان ص ٦٧-٦٩
(١٩١) (حسن) الترمذي (كتاب) المناقب (باب) فضل الشام واليمن ح ٣٩٥٥ ج ٥ ص ٢٩٠ وأبو داود (كتاب) الأدب (باب) في التفاخر بلا حساب ح ٥١١٦ ج ٤ ص ٢١٧٩ وأحمد في مستندة ٣٦١/٢



فلا ولاء إلا للإسلام ولا انتماء يتيه به المسلم فخرا ويشعر أنه نسر محلق إلى العلياء إلا الانتماء إلى الإسلام لا النسب ولا الحسب ولا اللون ولا الجنس ولا...، وبذلك تتضح المؤامرة الخبيثة التي يتولى كبرها المأجورون من دعاة القومية العربية والوطنية، ويعملون على إحلال تلك الجاهلية محل العقيدة الإسلامية، وهي دعوة مأكرة يروج لها الإعلام بكل وسائله ليل نهار لبث الفرقة بين المسلمين، وهي دعوة مأكرة يروج لها الإعلام بكل وسائله ليل نهار لبث الفرقة بين المسلمين وتمزيقهم شيئا لا يهتم بعضهم ببعض، ولا ينصر بعضهم بعضا، وهي الفتنة العظيمة والفساد الكبير الذي يسود الأرض كلها، وهي المؤامرة التي لا يعترف بها الإسلام، وإنما المؤمنون أخوة ينصر بعضهم بعضا، ويهتم بعضهم ببعض، فالمسلم في مصر أخ للمسلم في العراق واليمن وفلسطين والحجاز وأمريكا والهند وأفغانستان وفي الأرض كلها يقول د/هشام عقدة: وهذه الأخوة الحاصلة بين المؤمنين الإيمان والعقيدة، فهي أخوة قائمة على الحب في الله الذي هو أوثق عري الإيمان قال ﷺ : (أوثق عري الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله عز وجل) (١٩٢) ومن ثم فأخوة المؤمنين أرفع أخوة،

وأسمى علاقة يمكن أن توجد بين البشر، فأخوة المؤمنين تترى بأخوة الأشقاء، ورابطة العقيدة أقوى من رابطة النسب، ولما قال نوح عليه السلام: (نُوحٌ رَبِّهِ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي) (هود: ٤٥)

قال له رب جل وعلا: (يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ...) (هود: ٤٦)



(١٩٢) أدب الدنيا والدين ص ١٦٤ مفسدات الأخوة د/ هشام عقدة/ ص ١٣



وما أجمل قول الشاعر:

فقلت أخي.... قالوا أخ من قرابة

فقلت لهم إن الشكول أقارب

نسيبي في رأيي وعزمي وهمتي

ولن فرقتنا في الأصول المناسب

لمثل هذه الأخوة كان النبي ﷺ يعمل وهو يربي أصحابه -رضوان الله عليهم- ثلاثة عشر عاما في مكة وسنوات في المدينة بعد ذلك، ولم يكن يقول في نفسه وهو في مكة: إلى متى نربي هذه المشاعر دون أن نعمل؟ لأنه يعلم يقينا بما علمه ربه أن هذا من العمل الأساسي المطلوب لإنشاء القاعدة المؤمنة التي وجه ﷺ لإنشائها، وأن هذه الأخوة فوق أنها ضرورية لإقامة القاعدة المؤمنة التي هي نواة الأمة المسلمة جزء من التحقيق السلوكي للإله إلا الله^(١٩٣) ولذا فإن أية محاولة لإقامة المجتمع المسلم تبوء بالفشل ما لم تقم على الأخوة الصادقة، الأخوة القائمة على الإيمان والعقيدة والحب في الله.

الأخوة وواقع الحركة الإسلامية.

إذا كانت الأخوة القائمة على العقيدة والإيمان والحب واجبة في أي عصر من العصور لإقامة المجتمع المسلم فإنها في عصرنا الذي نعيشه أوجب، وما أحوج العاملين للإسلام لمثل هذه الأخوة المعتمدة بحبل الله، والمربوطة بالعقيدة المتينة، فنحن الآن نعيش عصر التكتلات وأعداء الإسلام - ونحن أولى منهم - يجتمعون، ويعملون يدا واحدة، ويقاثلوننا كافة فلم لا نقاثلهم كافة؟!



(١٩٣)



أهداف التربية القرآنية

إن أعداء الإسلام وأذئابهم يعملون ليل نهار على بث أسباب الفرقة بين المسلمين، يعملون على تفريقنا لتسهيل المواجهة، ومن ثم يجب التوحد والاجتماع، يجب أن ننحي المصالح الشخصية جانبا، ويجب أن ننتصر على الهوى، أن ننسى أنفسنا ومطامعها التي لا تنتهي ونقبل على العمل الصالح النافع، وليؤد كل منا دوره،

فنحن على ثغور من لم يحرس ثغره نفذ العدو وكان الضرر عاما لكل الجميع، بل لكل الأمة ولا بد أن يستفيض الحب بيننا لأن أخاه منه والله در القائل:

يا من تنهش في أحشائي

يا من مني

يا من جزءا من أجزائي

يا من تبدو للجهال كأنك دائي

إني أعلم أنك حتما فيك شفائي

إنك مني أنت كأني لست أرائي

إنك مسلم تشهد أن إلهك واحد

إنك فيها من شركائي

إنك مني أنت كأني حين شقائي

حين جهلت طريق إلهي

من عند الألف إلى الياء

حين تصورت الدنيا



أهراء التربية القرآنية

حسي وغذائي وكسائي

لكنك دوما تطعنني من خلفي

ومن كعب حذائي

حين أراك تقوم بهذا

يغرقني خجلي وحيائي

ووشاة القوم إذا باتوا

تسري الطعنة في أحشائي

ابغ العزة عند إلهك

ليس العز دمي وبكائي

وغدا من قواك يميئك

إن أهملت ندائي

يا من تنهش في أحشائي.... يا أنا (١٩٤)

وما أجمل ما أورده الذهبي رحمه الله في السير حيث قال: قال ابن سعد: أخبرنا علي بن محمد قال: طلب الحجاج إبراهيم النخعي، فجاء الرسول فقال: أريد إبراهيم، فقال: إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم، ولم يستحل أن يذله على النخعي، فأمر بحبسه في الديماس، ولم يكن لهم ظل من الشمس، ولا كُت من البرد، وكان كل اثنين في سلسلة

(١٩٤) نقلا عن كتاب: ترطيب؟؟؟ بذكر من يظلمهم الله د/ سيد حسين الغفاني ج ١ ص ٣٩٧ ٣٩٨



فتغير إبراهيم فعادته أمه فلم تعرفه حتى كلمها فمات، فرأى الحجاج في نومه قائلاً يقول: ما ت في البلد الليلة رجل من أهل الجنة فسأل، فقالوا له: مات في السجن إبراهيم التيمي، فقال: الحلم نزعات الشيطان وأمر به فألقى على الكناسة^(١٩٥)

ثالثاً: صفات المجتمع المسلم

أولاً: أنه مجتمع (مسلم - متآخي - ملتزم بالشرع أخلاقي - عالمي - جاد) فالمجتمع المسلم مستسلم لأمر الله مطيع منفذ لأوامره، منته عن نواهيه يقول الأستاذ محمد قطب حفظه الله: مجتمع مسلم بكامل معنى الإسلام بجدية واضحة، والتزم ظاهر وبأقل قدر من المعاصي، وفي أي مجتمع في التاريخ، الدين بالنسبة له هو الحياة، وليس شيئاً هامشياً يفئ الناس إليه بين الحين والحين، إنما هو حياة الناس وروحهم ليس فقط فيما يؤدونه من شعائر تعبدية يحرصون على أدائها على وجهها الصحيح،

وانما في أخلاقهم وتصوراتهم واهتماماتهم وقيمهم وروابطهم الاجتماعية، وعلاقات الأسرة وعلاقات الجوار والبيع، والضرب في مناكب الأرض والسعي وراء الأرزاق، وأمانة التعامل، وكفالة القادرين لغير القادرين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرقابة على أعمال الحكام والولاة^(١٩٦)، فالمجتمع المسلم متميز إذن في كل شئ في أخلاقياته في سلوكه وفي تعاملاته وفي علاقاته، مستجيب لأمر الله موجود حيث أمره مفقود حيث نهاه وزجره.

ثانياً - الأخوة العميقة في الله:

فالمؤمنون أخوة يجمعهم الإيمان بالله والعقيدة المشتركة والهدف المشترك قبولهم على قلب رجل واحد، وهم كالجسد الواحد يسأل بعضهم عن بعض وينصح بعضهم بعضاً ويساعد القادر العاجز، التكافل شعارهم، والتعاون وصفهم، والحب ملء قلوبهم، لا حسد ولا تباعد ولا تدابر ولا تقاطع ولا تناحر بينهم،

^(١٩٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥ ص ٦٢
^(١٩٦) كيف نكتب التاريخ الإسلامي/ محمد قطب ص ١١٦



إنها الأخوة التي جمعت بين الأوس والخزرج، وجمعت بين المهاجرين والأنصار كذلك في تلك الصورة الفريدة الخالدة في التاريخ، الصورة الرائعة التي يتقاسم فيها الأنصار كل ما يملكون مع المهاجرين، والتي تصل إلى هذه الذروة التي وصفها الله - سبحانه - بقوله: (وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَقِّ شَحًّا نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر: ٩)

ثالثاً : الالتزام العجيب بما أنزل الله

إلى حد التوقف الكامل عن التصرف في الأمر حتى ينزل الله أمرافيه أو سؤال الرسول ﷺ عنه كما ورد في الآيات المبدوءة بقوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ) (أو) يستفتونك (ثم المسارعة بالتنفيذ دون تلوؤ حين ينتزل الأمر الرباني أو يصدر الرسول ﷺ أمره كما حدث حين نزل تحريم الخمر، إذ أرسل رسول الله ﷺ منادياً ينادي في طرقات المدينة: أيها الناس ألا إن الخمر قد حرمت فمن كان في بيته دن خمر أراقه، ومن كان في فمه شربة خمر أراقها حتى ظلت المدينة أياما تفوح الخمر من طرقاتها، قارن ذلك بما تبذله المجتمعات الراقية اليوم في مكافحة الإدمان، والنسبة آخذة في الازدياد^(١٩٧)).

وكما حدث من النساء المؤمنات حين نزلت آية الحجاب، إذ أسرعن الاستجابة لأمر الله ورسوله ﷺ فقامت كل واحدة منهن إلى ثوبها المعلق فشققته، فصنعت منه خماراً، ووقفن خلف النبي ﷺ يصلين، يضربن بذلك أروع المثل لنساء المؤمنين.

ومثل هذا حدث مع أبي بكر لما أقسم لا ينفق على مسطح لما خاض في الإفك، وحدث مع زينب بن جحش عند زواجها من زيد بن حارثة، وغير ذلك حوادث كثيرة تبرز إلى أي حد كان المجتمع المسلم مطيعاً لأمر الله.

(١٩٧) السابق ص ٩٦



رابعاً: المجتمع المسلم مجتمع أخلاقي

يقوم المجتمع المسلم على قاعدة أخلاقية مستمدة من تعاليم الدين الإسلامي، وتتسع القاعدة الأخلاقية في المجتمع المسلم لتشمل العلاقات بين الجنسين فتحرم الاختلاط والتبرج والعري، وتشمل السياسة فليس صحيحاً ما يردده المجرمون من أنه لا علاقة بين السياسة والأخلاق، وتشمل الاقتصاد حيث تحرم الربا والغش والسرقة والغبن بكل صورته، وتشمل الاجتماع والفكر والتعبير، فالسياسة قائمة على أخلاقيات الإسلام، والحكم مستمد من الكتاب والسنة، والعلاقة بين الناس قائمة على الصدق والأمانة والتعاون والإخلاص والحب والتكافل والتواد والتراحم، لا همز ولا غمز ولا غيبة ولا نميمة ولا تتابز بالألقاب إنها أخلاق المجتمع المسلم الذي فتح الله بها قلوب العباد والبلاد.

خامساً: - مجتمع عالمي

متفتح على الدنيا كلها في مختلف بقاعها، وعلى كل أجناس الناس فيها، لا تفرقة فيه على أساس اللون أو البشرة، بل كل الناس في المجتمع المسلم سواسية لا يتفاضلون إلا بالتقوى، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: ١٣)

إنه المجتمع الإسلامي الذي تتمثل عالميته في أنه ينظر للعالم نظرة الوالد الحاني الحريص على جميع أبنائه، ينشر فيهم دعوة الخير،

ويدعوهم إلى الدخول في دين الله دون إكراه أو ضغط، من دخل في دين الله فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ومن أبى... وكان من أهل الكتاب ترك وما يدين في ظل الدولة الإسلامية التي تحميه وتؤمنه على دينه وعرضه وماله في مقابل جزاء أو جزية مالية يعفي منها العاجز والفقير والغارم، فإن كان من غير أهل الكتاب وعرضت عليه الدعوة، وتبين له الحق ولم يقم في عقله شبهة



فإن هذا الإنسان بهذه الصفات يعد خطراً على الحياة الاجتماعية بعامّة، وعليه إذن أن يستعد لأن المسلمين سوف يأخذون منه موقف العدو الذي يجب أن يحال بينه وبين الفساد^(١٩٨)

سادساً: إنه مجتمع الجد

مجتمع عامل كادح تغلب على أفرادهِ روح الجدية فيها من قوة ونشاط وحركة دائبة لا تستريح إلا لتتنشط، يعمل أفرادهِ في كل مجالات الحياة كل في ميدانه يبذل ويحس ويتعب لا تجد فيه متقاعساً ولا متكاسلاً، بل يقدرّون العمل ويحترمونه، ولا تجد المتكاسل فيه إلا منبوذاً يشار إليه بأصابع الاتهام، وينظر الناس إليه شزراً، إنه مجتمع الحركة الدائبة، إنه المجتمع الذي تفرض شريعته الجهاد إلى يوم القيامة، الجهاد الذي به نعر ونسود وبدونه نذل ونخزى، إنه الجهاد الذي تكون به كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وما يحدد الآن في مجتمعاتنا من انتشار اللهو والمعازف والغناء والتمثيل حتى صار اللعب حرفة يحترفها الناس أمر غريب عن المجتمع الإسلامي، ودخيل عليه فالمسلمون لا يلهون ولا يلعبون، بل يجاهدون ويعملون

ومع هذا الجد سمة ملازمة له إنها سمة الانضباط وفق منهج الله على كل مستوى، مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، بل وعلى مستوى الأمة الإسلامية كل فرد في المجتمع المسلم يتحرك ويعمل ويعيش بقيم ومعايير وضوابط، ولا يعيش وفق هواه.

وهذه الضوابط يحرسها الضمير والشعور بالمسؤولية والرغبة في الالتزام بمنهج الله - سبحانه - ولا تحرسها الشرطة كما يحدث في المجتمعات غير الإسلامية. هذه طائفة من سمات المجتمع المسلم أوردتها على سبيل المثال لا الحصر.



^(١٩٨) تربية النشئ المسلم/د. علي عبد الحليم محمود ص ٣٦



الفصل الخامس

توحيد جهود العاملين للإسلام

أولاً: واقع الجماعات وموقف الشرع

تسعى التربية القرآنية إلى لم الشمل ورأب الصدع الذي يعتري صفوف العاملين للإسلام فيضعفها، وربما يشتد فيقوض بنيانها، ويغري بها أعداءها التمريصين بها الدوائر وا أشد مرارة الواقع الذي تعيشه الجماعات الإسلامية التي نحسب أنها تعمل من أجل الإسلام، فبدلاً من الانضواء تحت راية الإسلام ومن التوحد والتلاحم تراهم مشتتين متباعدين متعادين متشرذمين، والتفرق شر مستطير أينما توجهه لا يأتي بخير، وإن من المحزن أن يعقد الولاء والبراء على أساس الانتساب أو عدم الانتساب لجماعة من الجماعات، فترى المنتسب لجماعة ما يبغض المنتسب لغير جماعته ويعاديه

وربما نفر الناشئة منه، وفي نفس الوقت يحب المنتسب لجماعته ولو كان عاصياً لله، والصواب الذي جاء به الوحي أن يوالي المسلم أهل الطاعة والعمل لدين الله على قدر ما فيهم من الطاعة، وأن يعادي أهل المعصية على قدر ما فيهم من المعصية، وهذا هو الولاء والبراء، وعلى الإسلام يعقد لا على سواه، ولست مبالغاً فيما ذكرته من حال الجماعات الإسلامية التي تجر على نفسها تهماً من أعدائها، وتفتح أبواباً للطعن فيها هي في غنى عنها، ولقد عشت بنفسي أيام دراستي بجامعة القاهرة ذلك الواقع، ورأيت وسمعت من يزعمون أنهم للإسلام عاملون وهم يتآمرون، ويبيت بعضهم لبعض بليلاً، بل ورأيتهم يتقاتلون ويتتأخرون، وكل منهم يحسب أنه على الحق وما عداه على الباطل (إن هذا شيء عجاب) إن ذلك التعصب ذميم وممقوت، تعصب للمسميات التي لا تغير من الحقائق شيئاً، تعصب يورث البغض والعداء والنفور بين صفوف العاملين،





أهداف التربية القرآنية

ويوجد فرجاً ينفذ العدو من بينها فيصنع بنا ما يفعله ذئبان جائعاً أرسلنا في غنم، قال تعالى:
(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (آل عمران: ١٠٣).

فالأصل هو التوحد والاجتماع والاستمساك بعرى الجماعة، وقال:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (الحجرات: ١٠).

وحذرنا - سبحانه - من التشردم والتفرق، فقال جل وعلا: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (آل عمران: ١٠٥)

وقال سبحانه: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (التوبة: ٧١)

قال ابن كثير: (ولا تفرقوا) أمرهم بالجماعة، ونهاهم عن الفرقة^(١٩٩).

وقال رحمه الله: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) قال: نهى الله
-تبارك وتعالى- هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضين في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر مع إقامة الحجة عليهم^(٢٠٠) قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بَنِيَانٍ مَرْصُوعِينَ) (الصف: ٤)

فالجماعة والوحدة في الإسلام هي الأصل، وانك لا تتأمل شعيرة من شعائر الإسلام إلا
وجدت الجماعة ظاهرة فيها: في الصلاة والصيام والحج والجهاد وغيرها، وإنما كان الأمر
كذلك لتربية الأمة المسلمة على حب الجماعة، وعلى التعاون والتلاحم في كل حال

قال الله سبحانه: (وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (آل عمران: ١٤٦)

^(١٩٩) تفسير ابن كثير/ ج ١ ص ٣٨٩
^(٢٠٠) السابق ص ٣٩٠



وأما السنة فما أكثر الأحاديث التي وردت تحض على الجماعة، وترغب فيها وتحض عليها
ومن ذلك ما رواه أبو داود من حديث أبي بن كعب قال :

صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً الصبح فقال: "أشاهد فلان؟

قالوا: لا.

قال: أشاهد فلان؟

قالوا: لا.

قال: إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو تعلمون ما فيهما لآتيتموهما ولو
حبوا على الركب، وإن الصف الأول على مثل صف الملائكة، ولو علمتم ما فضيلته
لابتدريتموه، وإن صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين أزكى
من صلاته مع الرجل، وما كثر فهو أحب إلى الله) (٢٠١)

ومن ذلك قوله : (لا تختلفوا بتختلف قلوبكم) (٢٠٢)

فانظر كيف جعل النبي ﷺ الاختلاف ولو كان ظاهرياً في صفوف الصلاة سبباً في اختلاف
القلوب، وهي صورة منفرة تبين سوء عاقبة الاختلاف، وتحذر المسلمين منها، وفي المقابل
دعوة صريحة إلى الالتحام والتماسك والتوحد الذي يجمع بين القلوب ويؤلف بينها برباط
الحب.

والأصل كذلك التعاون وروح الفريق وأي تعاون مع الفرقة والتنافر والتعادي؟ بقوله سبحانه:
(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (المائدة: ٢)

(٢٠١) (حسن) رواه النسائي (كتاب الإمامة) (باب) الجاعة إذا كانوا اثنين ح ٨٤٢ ج ٢ ص ٤٣٩، الرامي في (كتاب الصلاة) (باب) أي الصلاة على
المنافقين أثقل ح ١٢٦٩ وأبو داود (كتاب الصلاة) (باب) في فضل صلاة الجماعة ح ٥٥٤ ج ١ ص ٢٦٩ والمراد بالصلواتين صلاة الفجر
وصلاة العشاء.

(٢٠٢) مسلم (كتاب التفسير) (باب) تسوية الصفوف وإقامتها ح ٤٣٢ ج ١ ص ٣٢٣ وأبو داود (كتاب الصلاة) (باب) تسوية الصفوف ح ٦٦٤ ج ١
ص ١٧٨ والنسائي (كتاب الإمامة) (باب) ما يقول الإمام إذا تقدم في تسوية الصفوف ح ٨١١ ج ١ ص ٥٤٦



كلنا في سفينة واحدة والريح عاصف والأمواج متلاطمة وهدف الجميع الوصول إلى بر الأمان وبدون التعاون لن يتحقق الهدف ولن تستوي السفينة على الجودي.

والأصل التآخي وأوضح دليل على صدق التآخي التحاب والتواد والتآلف والموالاتة والتتاصح والتبادل والتسامح والستر والمشاركة الوجدانية وتأمل كيف أن القرآن لم ينف عن المتقاتلين وصف الإيمان والتآخي في قوله تعالى (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَهُمَا فَاصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) (الحجرات)

ثانيا : مشروعية التعدد

إن تعدد فصائل العمل الإسلامي أمر مشروع بل الحاجة إليه ماسة نظرا لثقل التبعية الملقاة على كاهل الأمة، الأمر الذي تعجز معه فصيلة بمفردها أن تحملها، بل إن الفصائل مجتمعة لتجد مشقة في ذلك، فمن ساحة داخلية تحتاج إلى العمل على بعث الوعي وإيقاظ الهمم وتعليم الأمة العلم الشرعي إلى ساحة خارجية تواجه كيد العدو، وتستبين سبيله وتبينه للناس ليكونوا على حذر منه، وتقف لكيد العدو بالمرصاد، وما تقصر فيه جماعة تقوم به أخرى، وقد كان السلف الصالح -رحمهم الله- كذلك منهم من جالس العامة وكان من رجالهم، ومنهم من مشي في الأسواق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومنهم من جلس يعلم الناس ويؤلف الكتب، ومنهم من جاهد.

يقول الشيخ الراشد حفظه الله: وقد تستغرب أشد الاستغراب حين تعلم أن تسويغ إنشاء الجماعات العاملة لغايات شرعية، وتسويغ مثل هذه الاصطلاحات التي نطنها حديثا - قد ورد في كلام الفقهاء والأئمة القدماء مما يعطينا صورة واضحة عما تحوي بطون الكتب الفقهية من فقه حركي إسلامي مجهول لدينا ينتظر من ينتزعه منها ونشره للدعاة. اسمع قول ابن تيمية في مشروعية العمل الجماعي مما لا نكاد نصدق أنه من كلام القدماء



يقول رحمه الله: وأما لفظ الزعيم فإنه مثل لفظ الكفيل والقبيل والضمين قال تعالى: (ولمن جاء به حملٌ بعيرٍ وأنا به زعيم) (يوسف: ٧٢).

فمن تكفل بأمر طائفة فإنه يقال هو زعيم، فإن كان قد تكفل بخير كان محموداً على ذلك، وإن كان شراً كان مذموماً على ذلك.

وأما رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تنحزب أي: تصير حزياً، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في ضربهم بالحق والباطل، والإعراض عن من لم يدخل ضربهم سواء كان على الحق أو الباطل فهذا عن التفرقة والاختلاف، وأمر بالتعاون على البر والتقوى، ونيتها عن التعاون على الإثم والعدوان، إنه من أثنى النصوص التي تحج وتنفذ رأي من يرى أن العمل الجماعي بدعة غريبة على الأساليب الإسلامية، وأنه يكون في العمل الإسلامي نوع بدعة وهو الأصل الموروث عن الأنبياء عليهم السلام؟

قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف: ١٠٨)

وقال سبحانه: (وَكَايْنٍ مِّنْ تَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (آل عمران: ١٤٦)

قال ابن القيم: فالربيون هم الجماعات بإجماع المفسرين قيل: إنه من الربة بكسر الراء وهي الجماعة، قال الجوهرى: الربى واحد الربيين وهم الألوف من الناس^(٢٠٣)

ومن الأدلة على مشروعية العمل الجماعي أن العلماء الأفاضل كانوا يتخذون لهم أصحاباً للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مجتمعين،

(٢٠٣) المنطلق/ محمد أحمد الراشد ص ١١٤ - ١١٦ باختصار شديد.



ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي رحمه الله - في كتابه (تلبيس إبليس) حيث قال رحمه الله - عند حديثه عن نقد مسالك الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر: قال ابن عقيل رأينا في زماننا أبا بكر الأقفالي في أيام القائم إذا نهض لإنكار المنكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم كأبي بكر الخباز شيخ صالح أضر من اطلاعه في التتور، وتبعه جماعة ما فيهم من يأخذ صدقة ولا يدنس بقبول عطاء صوام النهار قوام الليل أرباب بكاء، فإذا تبعه مخط رده وقال: متى لقينا الجيش بمخط انهزم الجيش^(٢٠٤).

وهذا النص النفيس يدل على ما لا يدع مجالاً للشك على أن السلف الصالح كانوا يعملون في جماعة حتى وهم في الأسواق والشوارع يأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر، وفي النص ما يدل على أن النصر مع الطاعة، وأن المعصية سبب الفشل والهزيمة،

ولذا كان يردون المخط الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، والأمر كذلك فكم جر المخطون على الجماعات الإسلامية الويلات، وكم أوقعوا الجماعات في حرج كانوا في غنى عنه ولذلك ينبغي على قادة الجماعات وعلى المربين ألا يغتروا بالعدد فلا قيمة لكثرة هي غناء السيل، وإنما النصر والثبات - بعون الله - مع الدقة في الاختبار والحكمة والصبر في التربية.

ثالثاً : إيجابيات التعدد

لاشك في أن للتعدد إيجابيات كثيرة نذكر منها:-

١- تكثير عدد العاملين للإسلام واستيعاب أكبر عدد ممكن من المسلمين المتحمسين لدينهم لاسيما وأطرق الشيطان كثيرة، والجوانب التي تجذب الناس وتغويهم كثيرة، وترك الناس هملاً بل إرشاد وتذكير أمر خطير يجعلهم صيدا سهلاً للأعداء المتربصين بهم المتداعين عليهم، قال ﷺ: " يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها "

(٢٠٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٦٥



فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟!

قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله: ما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت^(٢٠٥)

ولا تستطيع جماعة بمفردها مهما بلغ نشاطها، واتسعت قاعدتها أن تستوعب كل المسلمين وتستتقذهم من براثن المتربصين، ومن ثم كان التعدد أمرا مطلوبا ليقوم بهذه المهمة الثقيلة.

٢- فسح المجال لأكثر من تجربة عملية في نطاق الدعوة الإسلامية حسب الاجتهادات والآراء العملية لتستفيد منها الأجيال جيلا بعد جيل، ويأخذ الناس من مجموعها ما يروونه صالحا للدعوة في زمنهم وبلدهم، وإن مما يضعف العمل الإسلامي اقتصراره على تجربة واحدة أو رأي واحد^(٢٠٦).

٣- بروز روح التجديد والتطوير للعمل الإسلامي بما يناسب الأماكن والأحوال فكثيرا ما يصاب العمل الإسلامي بشئ من الركود والجمود، فحين تتعدد الجماعات الإسلامية وتتقارب تنتظر كل جماعة في عمل الجماعة الأخرى فتأخذ من محاسنها، وتدع قصورها وتستفيد من تجربة غيرها^(٢٠٧)

٤- التسابق في الخيران وشيوع روح التنافس الذي يثمر الإتقان والإحسان والتجويد، ومن ثمرات التنافس كذلك أنه يزكي أوار الحماسة، ويزيد من النشاط، ويوقظ الغافل ويعلي الهمة، ومعه تحرص كل جماعة على أن تبذل أكثر، وتعمل أحسن من غيرها

قال تعالى: (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (المطففين ٢٦)

^(٢٠٥) (صحيح) أبو داود (كتاب الملاحم (باب) في تداعي الأمم على الإسلام ح ٤٢٩٧ ج ٤ ص ١١١ وأحمد في مسنده ح ٢٢٤٥٠ ج ٥ ص ٢٧٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٨١٨٣
^(٢٠٦) وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع د. محمد أبو الفتح البانوني طه مكتبة المنار الإسلامية ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م ص ٦٨
^(٢٠٧) السابق ص ٦٩



وقال: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)

(آل عمران: ١٣٣)

وقال: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)
(البقرة: ١٤٨)

وقال سبحانه: (أُولَئِكَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) (المؤمنون: ٦١)

٥- تعميق رابطة الأخوة:

فتحت ظلال الجماعة الوارفة تتعمق رابطة الأخوة، ويعرف المرء قيمة هذه الرابطة فيحب
إخوانه أكثر من حبه أقاربه، ويتعلم البذل والعطاء والرحمة والإيثار، يألم لألم إخوانه ويفرح
لفرحهم، ويسأل عنهم إن غابوا، ويطمئن على أحوالهم، ويقوم مقام إخوانه عند المصيبة يسد
حاجات أهلهم، ويقبل إحسانهم، ويحتمل منهم التقصير، ويعفو عنه ويتعاضد مهما اعتذر له
أخوه صادقا أو كاذبا قبل عذره

ولله در بشار بن برد :

إذا كنت في كل الأمور معاتبا

صديقا لك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحداً أو صل أخاك فإنه

مقارف ذنب مرة ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى

ظمئت وأي الناس تصفو مشاريه^(٢٠٨)

(٢٠٨) تاريخ الأدب العباسي / عبد العزيز الموفي ط١ مكتبة الشقاة ١٩٩٠م



فلا مبرأ من زلل، ولا سليم من خلل، ومن رام سليماً من هفوة، والتمس بريئاً من نبوة فقد تعدي على الدهر بشططه، وخادع نفسه بغلظه، وكان من وجود بغيته بعيداً، وصار باقتراحه فرداً وحيداً .

ولله در الرافي حين يقول في وصف الصديق:

لا أريد بالصديق ذلك القرين الذي يصحبك كما يصحبك الشيطان لا خير لك إلا في معاداته ومخالفته، ولا ذلك الرفيق الذي يتصنع لك ويماسحك متى كان فيك طعم العسل لأن فيه روح ذبابة، ولا ذلك الحبيب الذي يكون لك في هم الحب كأنه وطن جديد وقد نفيت إليه نفي المبعدين، ولا ذلك صاحب الذي يكون كجلدة الوجه تحمر وتصفر لأن الصحة والمرض يتعاقبان عليها، فكل أولئك على أطراف مصائبك كأنهم حدود تعرف بها من أين تبتدئ المصيبة لا من أين تبتدئ الصداقة، ولكن الصديق هو الذي إذا حضر رأيت كيف تظهر لك نفسك لتأمل فيها، وإذا غابت أحسست أن جزءاً منك ليس فيك فسأترك يحن إليك، فإذا أصبح من ماضيك بعد أن كان من حاضرك، وإذا تحول عنك ليصلك بغير المحدود كما وصلك بالمحدود

وإذا مات يومئذ لا تقول إنه مات لك ميت بل مات فيك ميت، ذلك هو الصادي^(٢٠٩) ذلك الصديق الذي وصفه الرافي لا يمكن أن تجده إلا متخرجاً من مدرسة الحب في الله، الحب الصافي المبرأ من كل مصلحة، تجده متربياً في ظلال صفوف العاملين للإسلام. البعيدين عن الأهواء الفاهمين لدورهم تجاه دينهم.

٦- ضمان استمرارية العمل الإسلامي في حالات المحن والمصائب فلو قدر على جماعة من الجماعات أن تمتحن قبل غيرها أو دون غيرها استمر العمل من قبل الجماعات الأخرى حتى يكتب الله لهذه الأمة ما يعوضها عما فقدت، فإن الابتلاء والامتحان سنة ثابتة في دعوات الأنبياء والصالحين من عباد الله

(٢٠٩) السحاب الأحمر للرافعي ص ١٣٦ - ١٣٧



أهداف التربية القرآنية

قال تعالى: (الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)
وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)
(العنكبوت / ١-٣) (٢١٠)

فمن عرف طريق الله ، ودعا إليه وحسب أنه سيعيش سالما لا يناله الأذى فإنه لاعب مخدوع، فالجنة محفوظة بالمكاره.

رابعاً : شروط التعدد

إذا كنا قد ذكرنا للتعدد إيجابيات، فإن الأمر ليس على إطلاقه، بل إن لتعدد الجماعات العاملة شروطاً نذكر منها:-

١- مراعاة المصالح والمفاسد، وإحياء فقه المصالح والمفاسد، وهو فقه واسع أصله نبينا محمد ﷺ حين أعطى بعض الناس من الغنائم أكثر من بعض، وحين حرم الأنصار من غنائم حنين وحين رفض هدم الكعبة وبناءها على قواعد إبراهيم -عليه السلام- فعلي العاملين للإسلام التحلي بالحكمة والنظر إلى عواقب الأمور، عليهم مراعاة المصالح والمفاسد.

٢- فقه الواقع والمراد به: علم يبحث في فقه الأحوال المعاصرة من العوامل المؤثرة في المجتمعات، والقوى المهيمنة على الدول، والأفكار الموجهة لزعزعة العقيدة، والسبل المشروعة لحماية الأمة ورقبها في الحاضر والمستقبل (٢١١)

وأساس هذا العلم قول الله تعالى: (وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمَجْرِمِينَ)
(الأنعام: ٥٥)



(٢١٠) السحاب الأحمر للرافعي ص ١٣٦ - ١٣٧
(٢١١) فقه الواقع/د. ناصر العمر ص ١٠ ط ١ دار الوطن ١٤١٢هـ



فمن فقه الواقع استبانة سبيل المجرمين ومعرفة أهدافهم ومخططاتهم، وعلى أساس فقه الواقع ومعرفة خطط الأعداء تعمل الجماعات، وتتخصص، وتؤدي كل جماعة دورها لمواجهة الأخطار المحدقة بالأمّة.

٣- نبذ التعصب الذميم للأشخاص والمسميات، وهذا الأمر لن يكون إلا باستفاضة الحب بين الجماعات، الحب في الله الذي يغبط أهله يوم القيامة على منازلهم، ويتحمل قادة الجماعات القسط الأكبر في القضاء على تلك العصبية التي لا مكان

لها، فعليهم أن يربوا رجالهم وشبابهم على حب كل من يعمل للإسلام ولن خالف في الوسيلة، إذ كيف يتعاضد أصحاب الهدف المشترك؟!

٤- عقد الولاء والبراء على أساس الإسلام لا الأحزاب ولا المسميات ولا الأشخاص

٥- أن يكون التعدد تعدد تخصص وتكامل لا تعدد تنازع وتحاسد، لأن التنازع لا يثمر إلا الخصومة والتهاجر والتدافع والضعف والتمزق وضياح المجهود سدى قال تعالى :

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (الأنفال: ٤٦)

إنه تعدد تخصص وتكامل وتتأسق يشبه تماما التخصص في الجامعات التي تجد فيها الشرعية والعملية والعسكرية، وتجد في الجامعة الواحدة كليات مختلفة ومتعددة، ولكل كلية تخصصها الذي تتفرد به، ثم تتكامل كل الكليات في النهاية لنشر العلم والمعرفة المتنوعة، وكذلك يجب أن تكون الجماعات الإسلامية وفصائل العمل الإسلامي. يجب أن تمثل كل جماعة ركنا، وأن تؤدي كل جماعة دوراً، وأن تحمل كل جماعة جانباً من جوانب الدعوة، وأن تسد كل جماعة ثغراً من ثغور الإسلام ليشارك الجميع في حمل التبعة وتبليغ كلمة الله والذود عن دينه وشريعته.



٦ - التفريق بين مواضع الإجماع ومواضع الاجتهاد

فلا يسوغ الخلاف في الثوابت المجمع عليها مجال من الأحوال، أما مواضع الاجتهاد فالخلاف فيه سائغاً حرج فيه، كالخلاف في الوسائل الدعوية وطرق التربية والإدارة والتنسيق، والفقهاء مجمعون على أن الخلاف في مسائل الاجتهاد والفروع سائغ لا ملامة فيه، بل إنه رحمة من الله بالأمة، وقد اختلف الصحابة -رضوان الله عليهم- في مسائل اجتهادية فرعية ولم يتباغضوا ولم يتعادوا، يقول النووي رحمه الله: ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه، لأن على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب، وهذا هو المختار عند كثير من المحققين أو أكثرهم، وعلى المذهب الآخر المصيب واحد والمخطئ غير متعين لنا والإثم مرفوع عنه لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق، فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال بسنة أو وقوع في خلاف آخر، وذكر أقضى القضاة أبو الحسن الماردودي البصري الشافعي في كتابه (الأحكام السلطانية) (خلافاً بين العلماء في من قلده السلطان الحسبة هل له أن يحمل الناس على مذهبه فيما اختلف فيه الفقهاء إذا كان المحتسب من أهل الاجتهاد أم لا يغير ما كان على مذهب غيره؟ والأصح أنه لا يغير لما ذكرناه، ولم يزل الخلاف في الفروع بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم - رضي الله عنهم - أجمعين ولا ينكر محتسب على غيره، وكذلك قالوا ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نصاً أو إجماعاً أو قياساً جلياً^(٢١٢).

وما قاله النووي - رحمه الله - هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والسيوطي وغيرهم من العلماء الأجلاء وهو كلام نفيس يعد درساً عظيماً من دروس فقه الدعوة ينبغي لفصائل العمل أن تفقهه فتفرق بين مواضع الإجماع ومواضع الاجتهاد، فلا حرج مثلاً في ترتيب الأولويات وتقديم الأولى، أو التركيز على الجانب العلمي والتربوي، أو على الجانب الحركي لكل جماعة نهجها ووسائلها في القيام بدورها دون لوم أو عتاب.

(٢١٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٢١٨



٧- لابد أن تسود روح التغافر بين فصائل العمل

فالخطأ وارد إذ بني آدم خطأ وطالما كان الأمر كذلك فليعذر بعضنا بعضا وليغفر بعضنا لبعض زلته وليحسن بعضنا الظن ببعض.

قال تعالى : (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (الشوري: ٤٣)

٨- حسن الانتقاء والدقة في الاصطفاء:

من الأسباب المفضية إلى الخلاف بين الجماعات فتح الباب على مصراعيه لكل من أراد الانتساب لجماعة بلا حدود أو قيود الأمر الذي جعل من أفراد الجماعات من ولا فقه له ولا علم، وفقدان العلم آفة الآفات، بل أكثر الناس وقوعا في حبائل الشيطان الجهلاء وينجم عن ذلك الطاعة العمياء فيما صح وما فسد، فيقع الخلاف ويعقد الولاء والبراء على أساس المسميات والأشخاص، وينتشر التعصب الذميم الممقوت.

فالواجب أن يستخلص أفراد الجماعات استخلاصا، وأن يجمعوا في نظام واحد وأن يعني بتربيتهم تربية إسلامية بمعنى الكلمة، تربية تخرجهم من مجاهل الدعة والعافية إلى ميادين العمل والسعي، وهذا يحتاج إلى البحث عنهم وانتقاء الكفاءات المستعدة للبذل والتضحية، يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي - رحمه الله - عن حديثه عن برنامج جماعته: الجزء الثاني هو استخلاص الأفراد الصالحين وجمعهم في نظام واحد وتربيتهم تربية إسلامية بمعنى الكلمة، فنحن باحثون في هذه المدن والقرى عن الأفراد - رجالاً ونساء، الذين هم منزهون عن السيئات القديمة والجديدة، أو يظهرون استعدادهم الآن لينزهوا أنفسهم من تلك السيئات، والذين يحبون الإصلاح، ويستعدون للقيام بكل تضحية بأموالهم وأوقاتهم وجهودهم في سبيل الحق وسواء كان هؤلاء الأفراد من المثقفين الجديدة أم المتخرجين من المعاهد الدينية الحق وسواء كان هؤلاء الأفراد من المثقفين بالثقافة الجديدة أم المتخرجين من المعاهد الدينية القديمة، وكانوا من العامة أم الخاصة، وكانوا من الأغنياء أو الفقراء أو الطبقة المتوسطة، فحيثما كان هؤلاء الأفراد نريد أن نخرجهم من مجاهل الدعة والعافية إلى ميادين العمل والسعي فإن قبلوا غايتنا ومنهاج عملنا ونظام جماعتنا جعلناهم من أعضاء جماعتنا،



وإن أرادوا الاكتفاء بتأييدنا والموافقة على مناهجنا وغايتنا دون الإقدام على تحمل أعباء العضوية وتحقيق شروطها دعوناهم إلى الانضمام إلى نظام الأنصار لجماعتنا، ومقصودنا من كل ذلك أن نستخلص من أمتنا، ونجمع على صعيد واحد كل من نجد فيها من الأفراد الصالحين الذين لا يكادون يقومون الآن بشئ نافع في خدمة الإسلام إما لتفرقهم وتشتيتهم، أو لبذلهم جهودهم في الإصلاح الجزئي، فنريد أن نجتمعهم جميعا، ثم نشغلهم بسعي منظم للإصلاح الجزئي فنريد أن نجتمعهم جميعا، ثم نشغلهم بسعي منظم للإصلاح والبناء طبقا لبرنامج حكيم موضوع لهذا الغرض^(٢١٣) والنص يدل على الدقة البالغة في الانتقاء لدرجة السياحة في القرى والمدن بحثا عن الصالحين والمستعدين لتحمل أعباء العضوية.

خامسا: دواعي التوحد

إن الدواعي لتوحد الجماعات الإسلامية العاملة كثيرة يكفي داع منها للتوحد ناهيك عن الدواعي كلها ومن ذلك:-

١ - شمولية الدعوة

فالدعوة إلى الله - سبحانه - والقيام بأمر الدين ليس أمرا حزبيا ولا فرديا تتادي به جماعة دون أخرى، أو يمكن أن يتخصص فيه فريق دون الآخر، بل الدعوة إلى الله مسئولية الجميع، قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) (المائدة: ٦٧).

و (ما) في الآية مطلقة أي: بلغ كل ما أنزل إليك من ربك لا تترك جزءاً منه، الأمر الذي يحتاج إلى تكاتف الجميع، وعمل الجميع، وتكامل الجميع.

(٢١٣) تذكرة دعاة الإسلام/ أبو الأعلى المودودي ص ٢٢- ٢٣ ط ١ دار الكنوز للثقافة والعلوم ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م

ما أكثر أعداء الدعوة الإسلامية المتربصين بها وبأهلها في الشرق والغرب، إنهم يحاربون الدعوة وأهلها بكل ما يملكون من قوة حتى إنهم ينامون ويصحون وكل غايتهم القضاء على كل نبتة تشم فيها رائحة الإسلام، فليس اليهود ولا أمريكا ولا أوربا وحدها تواجه الجماعات الإسلامية، بل لهم في الشرق أذناب يقفون معهم ورهن إشارتهم، وينفذون مخططاتهم بكل دقة ونشاط، إنهم أولياء اليهود المتسلطون على العالم العربي والإسلامي يقف المارد الأمريكي النصراني معلنا مؤازرته ومعاونته ضد كل حركة إسلامية مؤثرة والأمريكيون لا يخلون ببذل النصح وإسداء المشورة وبذل الأموال والسلاح بكل أنواعه إذا كان الأمر يتعلق بالقضاء على أتباع ﷺ

تقول اليهودية الصهيونية (مادلين أولبرايت) في وشاية واضحة بالحركات الإسلامية: إن إدارة الرئيس كلنتون تعتزم بذل كل ما بوسعها لدحر الخطر الثلاثي المتمثل في دول وتنظيمات إرهابية وشبكات متطرفين تمتاز بحرية في الحركة، وقالت إن نوعا جديدا من المواجهة يلوح بينما القرن الجديد يبدأ وأضافت: من المحتمل أن بتجنب خصومنا ميادين القتال التقليدية، وقد يلجأون بدلا من ذلك إلى أسلحة الدمار الشامل، ثم أعلنت في كلمتها التي ألقاها أمام الكونجرس الأمريكي في ٤/٢/١٩٩٩م عن برنامج جديد تبنته الولايات المتحدة يمتد لخمس سنين لمواجهة (جماعات التطرف)

وخصصت له الإدارة الأمريكية ٥٠ مليون دولار وقالت: إن الخطة الخمسية تمثل بمجرد بداية^(٢١٤)

أما التكتيك المقترح اتباعه للقضاء على الحركة الإسلامية فقد نشرته جريد الهيرالد تريبيون في عددها الصادر ٨ أكتوبر سنة ١٩٨٤ في مقال من إعداد (أموس بيرل منز) تحت عنوان (إستراتيجية لاحتواء الحرب الإسلامية المقدسة) ..

(٢١٤) نذير ونفير قبل الكارثة/ عبد العزيز مصطفى كامل ص ٥٠-٥٢ نشر المنتدى الإسلامي ط ٢١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م



وتتص المقالة على أن التكتيك المقترح يشمل:

لا مانع من استخدام أسلوب الاغتيال أو القتل عند الحاجة، وذلك بإعداد وحدات خاصة مدرب على ذلك.

دعم الأنظمة التي يتهدها نشاطات وحركات إسلامية.

استعمال وسائل التجسس في رصد أنشطة الحركات الإسلامية.

عزل رجال الدين المتشددين سياسا على شرط أن يكون دعم الأنظمة مقابل تعاونها مع الولايات المتحدة في عملية العزل هذه^(٢١٥)

يقول ديفيد بن جوريون "نحن لا نخشى خطرا في المنطقة سوى الإسلام" ويقول شمعون بيريز بصراحة: إن البقاء مستحيل لندين لن يلتقيا ولن يتصالحا^(٢١٦)

هذه هي المواجهة الوحشية التي تدبر وتتفد بحذافيرها ضد الحركات الإسلامية، وما ذكرته جزء يسير أوردته على سبيل المثال، وإلا فالخطط أكثر من ذلك، وقد انتقلت اليوم إلى حيز التنفيذ، فما يحدث في كل دول أوروبا وفي الهند وفي أفغانستان وفي فلسطين ضد المسلمين إنما هو التطبيق العملي لتلك الخطط

ومع هذا نسجل بأسف أن الجماعات الإسلامية طيلة العقود الخالية تشاغلت ولازالت عن المعركة الحقيقة التي شنها اليهود وأولياؤهم بمعارك جانبية استنزفت الطاقات، واستنفذت الجهود، واستدرجوا إلى صدامات بلا طائل، وتضحيات بلا مقابل!! فلتعلم الجماعات الإسلامية أن المواجهة دامية فلتتوحد ولا فهي الأخذة التي -لا قدر الله- ما لها من فواق.

قال سبحانه: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (المائدة: ٢)، وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ) (الصف: ١٤)

^(٢١٥) السابق ص ٥٢
^(٢١٦) السابق ص ٥٣



فلا بد من التعاون بين الجماعات الإسلامية، ومن صور التعاون تبادل الأفكار والآراء والإعداد المادي والمعنوي للمواجهة بتهيئة جميع الوسائل التي تعين على ذلك وما ذلك على المسلمين بجديد ولا بغريب فقد تعاون المسلمون من قبل على قتل مدعي النبوة، وعلى قتل رؤوس أهل الشرك وأئمة الكفر ككعب بن الأشرف وسلام بن أبي الحقيق.

ومن التعاون في مجال الدعوة التعاون على نشر العلم، ولقاء المحاضرات، وتأليف الكتب مما يزيد من روح الألفة بين الجماعات، ويقضي على التعصب الأعمى والكراهية الممقوتة يقول الشيخ المنجد حفظه الله: وفي مجال إنكار المنكر تعاون عظيم أيضا فهذا يجمع معلومات عن المنكر ويستقصي خبره في المجتمع، وهذا يبحث حكمه شرعا، وثالث يعين على غيصاله إلى من ينكره ويغيره، وآخر يخطب عنه ويحذر منه، وهذا الاشتراك في العمل الصالح له أجر عظيم، وقد قال رسول الله ﷺ: إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة: - صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به والممد به^(٢١٧)

فلا بد أن تكون هناك أدوار تكاملية، إذ أن كثيرا من المشروعات وأمور الدين لا يمكن القيام بها فرديا، وإتاحة المجال للتخصصات المختلفة أن تعمل بتعاون سيثمر نتائج حرة^(٢١٨)

ولما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال لهما: يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا^(٢١٩) ومعنى تطاوعا: لا تخلفا.

٣- وحدة الغاية، فهذه الفصائل والحركة الإسلامية قامت يوم أن قامت لتجاهد في سبيل الله، وتعيد شرع الله إلى التطبيق بعد أن تآمر المجرمون على تنحيته عن واقع الحياة واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.

قامت الجماعات لتبلغ كلمة الله، وتجد في سبيل إعلائها، ونحسب أن هذه الغاية مشتركة عند كل الجماعات: إقامة دين الله وإعلاء كلمته، ومجاهدة أعداء دينه، وتحطيم كل العقبات التي تحول دون ذلك.

^(٢١٧) (ضعيف) رواه الترمذي (كتاب فضائل الجهاد (باب) ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله ح ١٦٣٧ ج ٤ ص ١٧٤ وابن ماجه (كتاب الجهاد (باب) الرمي في سبيل الله ح ٢٨١١ ج ٢ ص ٩٤٠ والحاكم ح ٢٤٦٨ ج ٢ ص ١٠٤)
^(٢١٨) كونوا على الخير أعوانا/ محمد صالح المنجد ص ٢٥-٢٦
^(٢١٩) البخاري (كتاب الأدب (باب) قول النبي صلى الله عليه وسلم يسرا ولا تعسرا ح ٢٨٧٣ ج ٣ ص ١١٠٤



فإذا كانت الغاية واحدة فلا ضير أن تتعدد الوسائل، وتختلف الطرق لكن ليكن بيننا التناسق والتعاون والتكاتف لنستطيع -بعون الله- نيل مرادنا وبلوغ غايتنا وصدق الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَصَرَّوْا اللَّهَ يَنْصَرِّكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد: ٧)

وإذا كانت الجماعات قامت ولكل جماعة برامج جهادية، فالمسائل الجهادية والأمور الخطيرة التي تواجه الأمة ليس القرار فيها لطائفة دون أخرى، بل للوالي ولمن يخوله، ولأهل الحل والعقد الذين يعبرون عن إرادة الأمة، وينوبون عنها.

يقول الأستاذ صلاح الصاوي - نفع الله به - تحت عنوان : إحياء مفهوم الأمة وتبني المفهوم الصحيح لجماعة المسلمين:

وذلك بإشاعة العلم بأن العمل الإسلامي جهاد أمة قبل أن يكون جهاد حزب أو جماعة أو تنظيم، وتربية الأفراد على أن الولاء للإسلام يجب أن يسبق الولاء للأطراف الأخرى مهما كان دورها، وأن السعي إلى إيجاد جماعة المسلمين هدف مقدس يجب أن يحرص عليه المسلمون كافة، وأن يسعى كل في تحقيقه حسب طاقته وأدنى ذلك سلامة الصدور للآخرين، واحترام عبوديتهم لله -عز وجل- وتقدير ما يقومون به من أعمال حسب اجتهاداتهم وطاقاتهم من أجل إقامة الدين والتمكين لشريعة الله، وإشاعة أجواء التواد والتراحم وخفض الجناح في التعامل مع المؤمنين كافة على اختلاف فصائلهم التي ينتمون إليها وطرائقهم التي ينتهجونها في السعي لإقامة دول الإسلام، وذلك ليتجاوز العمل الإسلامي عقدة التشرذم والتمحور حول الذات وكراهية الآخرين^(٢٢٠)

فلا بد إذن من التوجه المباشر للفرد المسلم حيث كان ومخاطبته تربوياً وفكرياً لإعادة صياغة شخصيته الإسلامية بعيداً عن التحيزات والعصبية لتكون شخصيته معبرة عن انتمائها لأهل السنة والجماعة عقيدة وسلوكاً، ولكي يحدث ذلك لابد من سبيل، فأين السبيل؟ واليك الجواب:- أولاً: الإخلاص لله -سبحانه- وتربية الأعضاء على طلب الأجر من الله وحده والعمل ابتغاء لمرضاته.

(٢٢٠) الثواب والمتغيرات د. صلاح الصاوي ص ٣١٦-٣١٧- من منشورات المنتدى الإسلامي ط١-١٤١٤هـ-١٩٩٤م



ثانياً: تربية الأفراد على قبول الحق لأنه حق

لا لأنه من كلام فلان، أي تربيتهم على التعصب للحق دون الأشخاص والمسميات والأحزاب ليشب المسلم والحق ضالته وبغيته ضالته التي ينشدها أنى وجدها أخذها، وظفر بها، وعض عليها بالنواجذ.

ثالثاً: استمرار الولاء والحب عند الاختلاف، فالحب والولاء والتواد والتعاون مستمر حتى إن وقع الخلاف طالما كانت الغاية واحدة.

رابعاً: التحرر من أسر الحزبية التي تغض من أدوار الآخرين ومن فضلهم، وهي نزعة فيها إجحاف وظلم كبير، فلنعترف بدور الآخرين، ولننسب الفضل لأهله مع التواضع وعدم الاستعلاء، وليعلم الجميع "أنه ليس أضر على الدعوة الإسلامية المعاصرة من الحزبية المنغلقة الضيقة، إنها داء وبيل يفتك بالأخوة الإسلامية فيقطع أواصرها، ويجعل صفوها كدرا، كيف تغلغت هذه الحزبية إلى صفوف الدعوة؟

ومن الذي يمدّها حتى تستمر؟

لاشك أنها التربية السيئة التي تمارس على الفرد فيقال له: نحن الأفضل، وغيرنا فيه نقص كذا ونقص كذا، وكل هذا حبا في التكثير والتجميع

فلا بد أن يشوه الطرف الآخر حتى لا يذهب الفرد إليهم، وكأننا أحزاب تتنافس على الانتخابات فهي تشتري الأصوات بالدعاية والمال. ومن هذه التربية أن يحال بين الفرد في أول عهده بالدعوة وتلقي العلم وبين جلوسه إلى العلماء، أو من عندهم علم وخبرة فيربونه بأدبهم وسمتهم وتجربته، وإذا حيل بينه وبين ذلك فهو يتلقى ممن يباشر عملية التربية فإن كان ديناً وعنده علم، وليس فيه حب الزعامة كانت التربية أقرب للصواب، وإذا كان ممن يحب الزعامة أو فيه شيء من زغل العلم فعندئذ يخرج من تحته عبايته شباب متحزون مشوهون، ولا ينجو من هذا الداء إلا من تنبه له من البداية، وعرف أن أنواعاً من التربية



ستؤدي حتماً إلى الحزبية فخاف واحتاط لنفسه فهو يحاسب نفسه، ويتلفت وراءه، ويجدد ويتجدد بين كل فترة وأخرى حتى ولا يقع في هذا الداء الذي تطاير شرره وعم بلاؤه^(٢٢١)

خامساً : التحرر من الهوى.

وكما قيل: شر إله عبد في الأرض الهوى، فإذا كان الهوى هو المحرك للإنسان ضحى بكل قيمة وبكل مبدأ في سبيل ما يهواه، ونحن لا نستبعد أن يكون من بين العاملين من يهوى الرئاسة والزعامة، بل ما أكثرهم، ولن تنجح دعوة قادها وساسها من أسرهم الهوى، وصدق الله إذ يقول: (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (القصص: ٥٠)

ويؤخذ من الآية نعت أهل الهوى بالضلال الشديد وبالظلم كما في ختام الآية، كما أن اتباع الهوى سبب في الفساد، قال تعالى: (وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) (المؤمنون: ٧١)

سادساً : إحسان الظن والتماس الأعذار

وقد قيل: يكفيك من أخيك بعضه، والكل يخطئ عن عمد وعن جهل، والمعصوم من عصمه الله، فلنلتمس الأعذار لإخواننا، ولنحسن الظن بهم، ولنحذر آفة تضخيم أخطاء الآخرين.

وصدق الله إذ يقول: (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) (الحجرات: ١٢)

ويقول سبحانه: (وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً) (النجم: ٢٨)



^(٢٢١) خواطر في الدعوة / محمد العبدية - ص ١٢٥-١٢٦ نشر المنتدى الإسلامي ط ٣- ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م



سابعاً: رد الخلاف إلى كتاب الله عز وجل، وسنة رسول ﷺ.

قال تعالى: (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) (الشورى: ١٠)

وعند الخلاف لابد من الالتزام بأدب الخلاف وفقهه، وذلك بالتفريق بين المسائل التي

تكون في الأمور العظيمة والتي تكون في الأمور الدقيقة، والتفريق بين من خالف لاجتهاد خاطئ أو تأويل، وبين من خالف عناداً وعصبية ، وقد الأستاذ / صلاح

الصاوي جملة من الضوابط للتعامل مع المخالف نردها إيجازاً :

الضابط الأول: التفريق بين مواضع الإجماع ومواضع الاختلاف.

الضابط الثاني: تحرير محل النزاع ، ومعرفة أصل الخلاف.

الضابط الثالث: مراعاة درجات المخالفة، وتفاوت مراتب المخالفين.

الضابط الرابع: مراعاة المصالح والمفاسد في معاملة المخالف.

الضابط الخامس: مراعاة ظهور الحجة من عدمها بالنسبة للمخالف.

الضابط السادس: الموازنة بين التمسك بالسنة، والمحافظة على الجماعة (٢٢٢)

ثامناً: جمع الفصائل حول الأصول الثابتة بالقرآن والسنة والإجماع.

فلن يجدي أن يكون الأمر عاطفة توشك أن تنتهي، بل لابد من ثوابت تكون كالدين

الذي لا يجوز لأحد الخروج عليه، مع حصر الاختلاف في دائرة الفروع والمسائل

الاجتهادية، وذلك يتم بتربية الأفراد على التغافر والحب والألفة، ولتكن المذاهب الفقهية أمامنا مثلاً يحتذى فلم يقبل الناس هذه المذاهب المختلفة،

(٢٢٢) انظر أصول الإيمان ٣ ص ٢١-٢٣. د. عبد المنعم الأمين - من منشورات الجامعة الأمريكية المفتوحة.



ولم يستسغ الناس ذلك إلا بسبب ما كان عليه الأئمة من الحب والود والتراحم ونهيههم أتباعهم عن التعصب والتحزب.

تاسعا: إحياء فقه الأخوة

فالمؤمنون إخوة وإن اختلفوا، وهم كالجسد الواحد، وهم يد على من سواهم. الأخوة القائمة على :

- الإيثار لا على الأثرة وحب الذات.
- رابطة العقيدة لا النسب ولا الدم ولا الوطن ولا المصلحة.
- قوة العاطفة لا برود العاطفة.
- التواضع وخفض الجناح ولين الجانب لا الاستعلاء والتكبر.
- الوفاء بكل صوره لا الغدر والخيانة.
- التناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والتذكير. (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذاريات: ٥٥)
- الجد والعمل وروح الجندية والانضباط لا الفوضى واللهو.
- تحمل المسؤولية والشعور بثقل التبعة لا التساهل والتشاغل.
- الأخوة القائمة على التجرد الإيماني باطراح شهوة النفس والهوى.
- الأخوة القائمة على الأدب والاحترام المتبادل، والمنزهة عن التنازير بالألقاب والتراشق والتقاذف بالعيوب.





قال ابن جريح عن عطاء: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأنني لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يولد (٢٢٣)

من لي بإنسان إذا اغضبته

وجهلت كان الحلم رد جوابه

وإذا طربت إلي المدام شربت من

أخلاقه وسكرت من آدابه

وتراه يصغي للحديث بسمعه

وبقلبه ولعله أدرى به (٢٢٤)

- الحب في الله والبغض في الله وذلك أوثق عرى الإيمان

- الائتلاف القلبي بين الجماعات أولاً وقبل الائتلاف الفكري ، وتقديم أساس التآلف القلبي على الاتفاق الفكري في قيام الجماعة لا يعني تجاهل قيمة هذا الاتفاق الفكري، بل يعني ضمان الوصول إلى هذا الاتفاق من خلال ذلك التآلف، فهناك حقيقة إسلامية في النفس الإنسانية تؤكد أثر القلب والإحساس على العقل والفكر اتفاقاً واختلافاً ومنطوق هذه الحقيقة هي قول الرسول ﷺ :

- (الأرواح جنود مجنده فما تعارف منها ائتلف، وما تنافر منها اختلف) (٢٢٥)

وكذلك فهناك حقيقة تؤكد أثر العقل والفكر على القلب والإحساس، ومنطوقها قول الرسول ﷺ (لا تختلفوا فتختلف قلوبكم) (٢٢٦)

(٢٢٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥ ص ٨٦

(٢٢٤) المختارات للمنفلوطي ص ١٥٤

(٢٢٥) متفق عليه: البخاري (كتاب) أحاديث الأنبياء (باب) الأرواح جنود مجنده ح ٣١٥٨ ج ٣ ص ١٢١٣ ومسلم (كتاب) البر والصلة والآداب

(باب) الأرواح جنود مجنده ح ٢٦٣٨ ج ٤ ص ٢٠٣١

(٢٢٦) سبق تخريجه. (٥) سبق تخريجه.



ولكن التآلف الذي يتطلبه قيام الجماعة لا يقل عن الحد الذي حدده النبي ﷺ في قوله: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (٢٢٧)

ولأن هذا الحديث هو الواقع الذي عاشه المسلمون في عهد رسول الله ﷺ (٢٢٨)

ب- والأخوة القائمة على التعاون الوثيق ومن الصيغ المعروضة للتعاون:-

أ- صيغة التعاون والتنسيق بين الأطراف في بعض مجالات العمل الإسلامي، وفي بعض المشروعات المفيدة التي يعم نفعها المسلمين كالمشروعات الخيرية والتعليمية وغيرها ويمكن لمثل هذا التعاون والتنسيق أن يتدرج في طريق الارتقاء حتى يشمل الميادين كلها وذلك بحسب ما يرسخه أسلوب التعاون والتشاور من ثقة متبادلة بين الأطراف المتعاونة، ولعل هذه الصيغة تمثل أدنى الحالات الواجبة وأضعف الإيمان في حياة المسلمين.

ب- صيغة إيجاد قيادة مشتركة ممثلة لجميع الأطراف المتعاونة والتزام الجميع بقرار واحد مشترك مع احتفاظ كل طرف وجهة بكيانها التنظيمي، ويتم ذلك بعرض ميثاق عام متفق عليه ووضع نظام داخلي يضبط العلاقات، وينظم الأمور، وذلك على ما يقارب نظام المجلس الأعلى للجامعات مثلاً حيث يكون هناك مجلس أعلى مشترك، ويكون لكل جامعة مجلسها ونظامها الخاص بها، ولكل مجلس رجاله وميدانه.

ولعل هذه الصيغة تمثل أعلى الحالات الممكنة التي نطمح إليها في ظل الأحوال الراهنة.

ج- صيغة الجماعة الواحدة والقيادة الواحدة التي تذوب فيها الكيانات المتعددة، والفوارق الشخصية والتي تجمع المسلمين على قرار واحد وخطة عمل واحدة.



(٢٢٧) سبق تخريجه.

(٢٢٨) حكمة الدعوة / رفاعي سرور ص ١٥-١٦ مكتبة الحرمين بدون.



ولعل كل صيغة من الصيغ السابقة لها تعتبر تمهيدا للوصول إلى مثل هذه الصيغة النهائية التي تحقق الآمال الكبرى للمسلمين، وتذكركم بواقع آبائهم وأجدادهم، وتعيد إليهم عزت ومجدهم... وما ذلك على الله بعزيز.

وإن نجاح المسلمين اليوم في تحقيق أي صيغة من الصيغ السابقة ونحوها يعد خطوة عملية نحو تحقيق العمل الإسلامي الواحد، والجماعة الواحدة^(٢٢٩)

وقبل ختام هذا الفصل لا يفوتنا أن ننبه على الدور الخطير الذي يتحمله قادة الجماعات في عملية التوحد بل إنهم يتحملون النصيب الأكبر في هذه العملية فتعاونهم وتآلفهم وتوحدهم سبيل التوحد والتآلف

وما أكثر القواسم المشتركة التي يكفي قاسم واحد منها لجمع الشمل ورأب الصدع وتوحد الجماعات ومن هذه القواسم:-

- وحدة العقيدة المتمثلة بالتبني الاعتقادي للإسلام والإيمان به.
- وحدة الغاية والهدف.
- وحدة المصدر فلا معين نستقي منه إلا الوحي قرآنا وسنة.
- وحدة الهموم والمخاطر التي تحق بنا من كل حذب وصوب.
- وحدة المصير في الدنيا والآخرة، فإما النصر المؤزر، ولما الخذلان، ولما الجنة - نسأل الله الجنة - ولما النار - نعوذ بالله منها - فالأمانة مناطقة بالقيادات، فإما التكافل والتراحم ولما التهاجر والتدافع.



(٢٢٩) وحدة العمل الإسلامي/ د. محمد أبو الفتوح البيانوني ص ٩٢-٩٣



أهداف التربية القرآنية

إلى قيادات العمل الإسلامي.

إنه لا يميل عن هذا التكامل والتراحم إلا التهارج المدمر والفشل المحقق والفناء المحتوم!!

لا بديل عن التكامل والتراحم سوى الحالقة التي لا تحلق الشعر ولكنها تحلق الدين!

لا بديل من هذا التكامل والتراحم إلا استطالة دعاة الضلالة على المؤمنين والمؤمنات!!

لا بديل عن هذا التكامل والتراحم إلا فتنة الناس عن الذين والزهادة في كل دعوة تتاديهم باسمه، والإعراض عن كل داعية يرفع لواءه، ويجاهد في سبيله.

فإلى القائمين على الأمر في الجماعات الإسلامية قادة ومفكرين!

إن أمانة الدعوة إلى تحكيم الشريعة وإقامة دولة الإسلام في هذا العصر قد أنبسطت بكم، وإنها والله لأمانة تنوء بمثلها السماوات والأرض والجال ويأبين أن يحملنها ويشفقن منها وقد أبيتم أنتم إلا أن تحملوها على عواتقكم ، وتقدموا أنفسكم إلى الأمة على أنكم روادها والقائمون بها، وأنكم أحق بها وأهلها.

ولقد مضى على انتصابكم لأداء هذه الأمانة زهاء ست عقود، وها أنتم الآن بعد ما يزيد على ستين عاما من العطاء المتواصل وأرتال الشهداء المتتابعة.. لا تزالون في خندقكم تتهارجون وتتدافعون لم تقيموا دولة، ولم تحققوا أغلبية، ولم تنتصفوا من عدو، ولا تزال بيضتكم مستباحة، ودعوتكم مجرمة، والتابعون لكم قليل.

وكيف يعقد مناظرة مع أخيه ليبطل دعوته، ويفرق الناس من حوله، فهل وقفتم وقفة لتسألوا أنفسكم أين الخل؟ وكيف السبيل إلى الخروج من هذه الفتنة؟





أيها القائمون على الأمر في الجماعات الإسلامية:-

إن التفريط في الحز على الجماعة والائتلاف، والنهي عن الفرقة والاختلاف، والتهاون في إشاعة هذه المفاهيم بين أتباعكم ومريديكم خطيئة كبيرة وجريمة منكرة، فإن كان مرد ذلك إلى التعمد حرصا على زعامات ومواقع فهو خيانة عظمى لأمانة الإسلام، ولأمانة هذه الألوف المؤلفة من المسلمين ممن وثقوا بقيادتكم، وسلموا باجتهاداتكم، وندروا أنفسهم للعمل للإسلام من خلالكم حتى أصبحتم عقولهم التي بها يفكرون، وعيونهم التي بها يبصرون! وإنكم الآن في مفترق طرق

* إما التكامل والتراحم وإصلاح ذات البين ؛ فيرشد المسار، ويستدير الزمان، وتعاد لكم الكرة على عدوكم.

* ولما التهاجر والتنازع وفساد ذات البين. فتفقدون شرعية قيادتكم وشرعية اجتماعكم وشرعية أعمالكم التي تصبح يومئذ ضرراً، وتفرقاً بين المؤمنين :

يقول ربنا :- سبحانه وتعالى - (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠)) (إبراهيم / ١٩ - ٢٠)

(وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (محمد: ٣٨).

ولن المأمول فيكم -بإذن الله- أن يكون تنازعكم هذا كبوة عارضة، وانتكاسة طارئة، وأن يكون طائفا من الشيطان قد مسكم ثم لا تلبثون أن تتذكروا فإذا أنتم مبصرون،

وأن تنهضوا تغدون السير إلى الله، وتتسابقون، وتتناصحون في طريقه، وتتراحمون،





وقد قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ
(٢٠١) (الأعراف / ٢٠١)).

أيتها الجماعات الإسلامية :

التكامل أو عدم الشرعية (٢٣٠)



(٢٣٠) الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي/ د.صلاح الصاوي ص ٣٣٩ - ٣٤٠